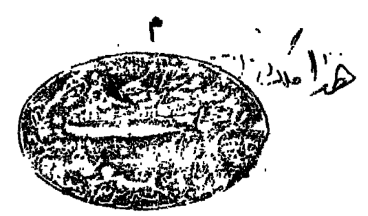


٢٥

كتاب غاية الحق في تفصيل الاخلاق الفاضلة وأضدادها على أسلوب
جليل الوضع وجميل الطبع ويليه كتاب مشهد الاحوال
جمع من محاسن الادب ولطائف الطرف وتحائف
النخب وهما من تأليف الفاضل الشهير
فتح الله أفندي مراش متعه الله
بعوائد أعماله وأفاض عليه
من بره ونواله
آمين

٣







مقدمة

انني بينما كنت ذات ليلة ضاربا في أودية التأملات العقلية وطائر
على أجنحة الافكار المتبلبلة في جو الهواجس والاحلام التخيلية واذ
قد انفتح لدى أعين خواطري مشهد عجيب تلعب فيه أشباح الاعصا
السالفة وترن في هوائه نغمات الشعوب الغابرة من وراء حجب التوار
الخالدة فرأيت ممالك العالم القديم تتعالى الى أوج العظمة والكرا
وترتقي الى سدرة الآداب والتهذيب حيثما ينتهي مجد الانسان النازل
من الخليقة منزلة الاول من العدد فبينما كنت أرى المصريين مشتغلين
بتهذيب الفلاحة والزراعة وتربية العلم وصناعة الايدي والاثوريين
مجدين في اختراع طرافة المشادات والابنية والفينيقيين آخذين بتوسيع
المتاجر وشق عباب البحار وتقريب صلة الهيئة الاجتماعية واذا راية
فارس مقبلة من بعيد حاملة شمسها الساطعة وأسدها الزائر وهي تخفق
على رؤس جيش عرمرمي يتموج فوق صهوات الخيول الصاهلة التي كل
كانت تضرب بحوافرها أديم الارض كانت تثير غبارا يلقي وخط الشيب
على هامة الزمان وينسج برده الاشهب لجسد التاريخ وهكذا لم يزل
يتقدم ذلك الجيش الجرار تحت تلك الراية الخافقة الى أن مد بساط
سطوته على كل أولئك الشعوب الذين كانوا يرفلون في حلل الثروة والنعيم
فأحنى كل ركبة لدى تلك النار الفارسية وأهال كل قلب بطلعة ذلك
الاسد السائد ومابرحت دولة فارس متمتعة بتلك الاراضي المحروسة
وذلك الغنى الوافر حتى برزت عساكر مكدونية وأحدقت من كل

جانب

جانب تحت بيارق الاقـدام والبسالة مثيرة لهب الحروب الهائلة الى أن
ظفرت بجميع ما تيلك الممالك وأخمـدت نار فارس ولم يزل الصولجان
المكدونى يفرع تقـدما ونجاحا وميـدان ملكه يتسـع بالسطوة
والاقتدار الى أن رأيت نسر الروماني ين صاعدا من الشمال وهو يخفق
بأجنحة النصر والظفر منقضا على جميع ما امتلكه المكدونيون من تلك
الممالك الواسعة والبقاع الشاسعة وهكذا قد بسط جناحيه وخيم على
العالم فانتصب لدى أعينى حينئذ قوس النصر الرومانى فى وسط ساحة
الدنيا وعدت أرى جميع شعوب الارض تتقاطر أفواجا أفواجا وتمر تحت
ذلك القوس العظيم اشارة للخضوع والطاعة ومابرحت تلك الدولة
العجيبة تمتـد وتتسع منتفخة بالغلبة والجبروت الى أن انفطرت الى
شطرين عظيمين فكان الاول شرقيا والثانى غربيا فأخذ ذلك يتعاقب
بين ارتفاع وهبوط تحت رحمة الاقدار وهذا يتشعب ويتفرع الى جملة
ممالك وولايات تحت اختلاف الاطوار ولم تزل تمحص لا عين فكرى
تلك الظواهر الى أن انفتح أخير الدى أبصار بصيرتى باب رحب مكتوب
على قنطرته العقل يحكم ومنه عاينت برية فسيحة جـدا ولاح لى عن
بعد بيرق يخفق متقربا فوضعت نظارة الاختبار وأمعنت النظر فرأيت
مكتوبا به العلم يغلب وظهر لى حينئذ من ورائه جيوش التمدن الزاهر
منتظمة من متون الاختراعات العجيبة والمعارف الكاملة وهى تخطر
متوشحة بأنوار أسلحة الحكمة والعدل متدرعة بدروع الحرية الانسانية
والخلوص المحض ورأيت أمام هـذه الجيوش المظفرة تتراكض ممالك
الظلام مع كافة أجنادها ناكصة على أعقاب القهقرة والانكسار وهى
تتزاحـم بعضها البعض الى الهبوط فى لجج العـدم والاضمحلال حيثما
لا حركة ولا صوت وهكذا امـتدت دولة العقل فوتها على كل بقعة ومكان
وعم السلام على كافة المسكونة وبينما انا مشمول بشمول هذه المرئيات
التصورية فى هذا العالم الفكرى ثمل بما أشاهده فى هذا المرسح الجديد

الذي تتلامع به شموس هذا العصر الحديث واذا قد ظهر لي من وراء الافق الغربي دخان كثيف مد لهم وأخذت آذاني تسمع لغطا آتيا من بعيد يشبه لعلعة رعد شاسع وكادت حينئذ نواظري تستلمح تلامع أسلحة الحرب واذا خالني روح العجب لما عاينت من المنقلب نادتني أصوات الاخبار الشائعة قائلة هو ذا العالم الجديد (اميركا) قد رفض قبول شريعة التعبد ولذلك قد نهض ضد هذه العادة الخشنة بالاسلحة والنار اذ لم يعد يحتمل وجود بقية لدولة التوحش على سطح الارض وها دخان المواقع يبرقع وجه السماء وتموّجات رعود المدافع تنفتح في كتلة الهواء فعندما استوعبت هذه الحوادث ووفيت التمعن حقه تلاعبت يد الاضطراب في جهاز الحياة ومالت الاعضاء الى الارتياح ولم أزل فريسة ترتعد بين مخالب تلك الانفعالات الى أن أخذتني سنة المنام وانفتح لدى أعيني مرسح الاحلام

❊ الفصل الاول ❊ الحلم ❊

ولما غمرتني لجج الرقاد وجدت ذاتي تخطر في برية واسعة وكان نظاهر لي عن بعد غابة عظيمة ذات أشجار ضخمة عالية بأغصان متكاثفة الاوراق ملتفة بعضها على بعض بنوع انه لا يمكن لاشعة الشمس أن تخترق قبابها الشاهقة الى كبد السماء لكثرة تلبدها الشديد وهي تفرش على الارض بساطا ثخينا من ذلك الظل الذي لا يتقلص وبعد أن أجهدت المسير الى أن تبطنت هذه الغابة رأيت نفسي من ثم محاطا بسكوت عميق يتخلله من فترة الى أخرى هدير مبهم يشبه دوي غدير متدفق ممزوج ببعض زفرات من وحوش الغاب أو تغريدات من طائر السماء فأخذت أتتبع هذا الصوت الذي يظهر كأنه ينعي ألم الوحدة أو بث شكوى الفراق ولم أزل مهتديا به الى أصله وأنا أركض تارة وأتوقف أخرى الى أن انتهى بي الجدّ الى فسحة فسيحة واقعة في جوف تلك الغابة ومحاطة بسياج من أعظم الاشجار وهناك رفعت نظري فرأيت السماء

حينئذ واقعة على تلك الفسحة المحاطة بذلك الشجر الهائل وقوع قبة من زجاج على عمد وقناطر من زبرجد وإذ أطلقت نظري قليلا وجدت صخرة منفردة القيام مائلة على ناحية يتدفق من أسفلها غدير عظيم تدفقا يسابق الطير سرعة وهو يتشعب الى جوار تذهب متشتتة في أقطار ذلك الحرش تاركة عند انفصالها صياحا وأنينا موجعين وبينما كنت شاخصا في هذا المشهد البهيج ومتأملا بما تصنعه الطبيعة من الفلتات الغريبة وإذا بعاصف من الريح قد نهض من سكناته وهب هبوبا كاد أن يقتلع جميع الغابة ويطير بها الى أعالي الجبال الشامخة نغضت نواظري إذ ذاك لدى تلك الزوبعة الطائرة خوفا من لذع غبارها الثائر ولما فتحت أجفاني رأيت عرشين منتصبين أمامي على الفور كأنهما مصاغان من الذهب الابريز وهما مرصعان بأفخر الأحجار الكريمة ووضعهما كان قريبا من تلك الصخرة وذلك الغدير وفي كل منهما تحت شخصا جالسا وعليه من اللياقة والكمال ما لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر * أما الشخص الأول فكان رجلا مكتسيا حلة أرجوانية تتلامع كأنوار الضحى وفي يده اليمنى صولجان طويل وقابض باليسرى على رقعة مطوية بغير نظام وهو معتقل سيفا ذا شفرتين وعلى رأسه تاج مكتوب على إكليله يعيش ملك الحرية وكانت عيناه تتناثر شررا وهو عاقد الحاجبين مقطب الوجه بحيث يتضح للناظر كونه منفعلا بنوبة عظيمة من الغضب لأمور تدخل في سياسته وكان شاخصا في نقطة من الأفق يتصاعد منها دخان وقتام *

وأما الشخص الثاني فكان امرأة وعلى ما بان لي انها زوجة الأول وهذه المرأة قد كانت ذات وجه بيضي الشكل يلوح عليه حسن بلغ أعلا درجة من سلم الجمال فاعين تتلامع بأنوار الحور على سواد الكحل واجفن كأنها سكرى بخمرة الفتور ومأخوذة بسحر الغزل وحواجب كأنها صوّرت بقلم رافائيل أو نقشت بإزميل ميخائيل قد جمعت بين الاقتران

والزجج جمع جبينها بين السعة والبلج ورأسها متوج بشعر مسترسل يترامى على أقدامها كطالب شفاعة هيئة تكل عن احاطة تشخيصها الصناعة وسواده يتوج بسنا الصقال اللامع كالليل الذى يخامره ضياء الفجر الساطع وهو مزين باكليل من الذهب والغار علامة للظفر والانتصار وكان وجنتيها صفحة الجبين قد اندفع اليها نور الشفق وكأن جيدها ومباسمها كشقيق أخذ ينفتح اذا ما الصبح انفلق وكأن جيدها صيغ من بلور لطيف يعلو على صدر يحمل كرتى مرمر نظيف أما معاصمها فقد كانت لدوائر الاساور مراكز ترسل أقطارا متساوية الاتصال وكذلك أرساغ أقدامها كانت تملأ الخلخال أما لباسها فقد كان جامعا لكل الاحتشام بحيث لم يكن سوى جلباب عريض حريرى النسيج يحيط بجميع قوامها من العنق الى الاقدام مزرورا على صدرها ومستبدقا عند معاطفها المحاطة به كنطاق ومن هنالك يأخذ بالاتساع الى الاسفل بدون ان يبدى مشهدقبة عظيمة * وبينما كنت انظر اليها نظر المندهش الحيران مأخوذا بخمرة ذلك الجمال البديع مضطربا بوقوع تأثيراته على قلبى الذى كنت أضغطه بيدى خوفا لئلا يطير شعاعا اذلاح لى سطر من أحرف نارية على اكليلها الذهبى يعلن هكذا انحى ملكة الحكمة واذ شرعت أتأمل بعد تلاوة تلك الاحرف فى أبهة هذه الملكة المتواضعة رأيت جبينها زاهرا بأنوار النباهة والذكا وأعينها متقدة بأشعة التعقل والفطنة وأصداغها منتفخة بالحزم والرشد وهى تبتسم بالبشاشة والوقار ملتفتة الى ذلك الملك الغضبان التفاتا يرسم شكل القمر فى الليلة الاحدى عشر ومخنية امامه بايد منبسطة تستميل خاطره وتستعطف قلبه بكلام يقع فى السمع وقوع الدر فى الصدف فسمعتها تقول له هكذا * نعم يجب التغاضى عن هذا الملك الظالم الذى لا يبرح مجتهدا فى زرع زوان الخشونة والتوحش فى حقل مملكتنا ذات التمدن والتهذيب ولا ينبغى الاضراب عن استئصال

كل أعوانه وأنصاره الذين يلبسون جلود الحملان و ينشرون ما بين خراف رعايانا كلما غفلت عنهم أعين التيقظ والانتباه واضعين على وجوههم براقع المكر والخديعة حتى اذا ما تمكنوا من استعطافهم بقوة الاحتيال يأخذون حينئذ بافساد ضمائرهم السليمة مظهرين لهم شرف التعبد لملكهم وما به من الفوايد والمنافع الى أن يطرحوهم أخيرا بأيدي ذياب عبوديته ولكن مع ذلك لا ينبغي معاملة ذلك الملك العنيد وأوليك الاعوان المردة الا بما يقتضيه قانون شريعتنا العادلة أي بالاناءة والحلم والتدقيق حذرا لئلا نحسب من الاجانب ظلاما أو حمقى

كيف يمكنني ان أعامل هؤلاء القوم بما تقتضيه نواميسنا حسبما تشورين مع أنني قد أفرغت جهدا طويلا وتكلفت تعابا ليس بيسير حتى أوقعتهم أخيرا في قبضتي أفما يخشى من هربهم بواسطة الحيل والخدع الى حيث لا نعود نظفر بهم ثانية فها أنا قد اعتمدت على شنق هذا الملك الخبيث وسجن جميع حفدته وعبيده مؤبدا تدبر مملكة العبودية بكل سرعة ولم نعد الى حاجة لما كانت تدفعه هذه الدولة من الخراج لان جميعه آت من مال الظلم * اياك تصنع هكذا يا أيها الملك المعظم لئلا تفتح سبيل التمرد والعصيان الى شعوب مملكتنا وتعود الثورات الاهلية قائمة لانه معلوم لديك كم وكم من الناس يميلون طبعا الى تلك الدولة ما عدا الذين قد مالوا اليها بقوة الفساد والغش فاذا الاسمح الله أخذت الحروب الاهلية بالانتشاب نعدم راحتنا ونقع في وجل عظيم فتصير المصيبة الاخيرة شرا من الاولى اذ نكون كالطبيب الذي يسرع الى سفك الدم حالا في الحميات الخبيثة بدون ملاحظة المزاج والبنيه فيهلك المريض بشدة انحطاط القوى الحيويه * فأشور عليك اذا يا أيها الملك المهاب وأرجوك ان تتنازل الى قبول مشورتي بأن تستحضر لديك ذلك الملك العنيد مع أهم أعوانه وتضع عليهم شرائع وقوانين جديدة يسلكون بموجبها وتشدد ذلك الوضع بالصرامة اللازمة وتدون بينهم

وتبكيتهم ثم تجعل لكل منهم مناظرا من طرفك وكذلك يجب أن تكون أكثر عساكرهم من جنس عساكرنا كيلا يعود لهم مقدرة على مخالفة الناموس أو العصيان والتمرد ولكي يعلموا أنك أنت هو الملك الاكبر مقدارا والاشد عزيمة والاوسع مملكة وأجنادا وانه بأي وقت تشاء يمكنك شن الغارة عليهم وأسرهم وسجنهم حسبما فعلت الآن

قد ظهر لي الآن من كلامك يا أيتها الملكة السعيدة انه يجب ارجاع هؤلاء الظلمة الى مملكتهم بعد تلك الحروب التي أثرناها عليهم وكل ذلك التعب فأنا أتعجب منك كيف مع كونك بهذا المقدار حكيمة تشيرين علي بهكذا مشورة ولا تشورين باستئصالهم عن آخرهم لكي نأمن غوائلهم ومكايدهم * فقاطعته الملكة قائلة ان اشارتي اليك يا أيها الملك الجليل بوضع شرائع جديدة على أولئك القوم أصحاب تلك المملكة المشؤمة وبارفاقهم بمناظرين عليهم من طرفنا وبجعل أكثر عساكرهم من جنس عساكرنا انما هو عين استئصالهم وابادتهم لانه بذلك يمكننا وضع الايدي على مملكتهم وضمها الى مملكتنا بكل سهولة وبدون أدنى انزعاج لداخليتنا ولكن مع طول الزمان والصبر الامر الذي به قد نجحت أكثر ممالك العالم حسبما تخبرنا التواريخ ولكن اذا أوقعت بهم الآن حد السيف بدون التبصر بعواقب العجلة فأخشى عليك من الوقوع في بلبلة البال والندم على الحال * وبينما كانت هذه الملكة الحكيمة تبسط أفكارها لذلك الملك الجليل واذا برجلين مقبلين من جوف الغابة بأقدام مهرولة وبوحوة عليهما سيما الانشغال ولم يزالا يتقربان الى أن وصلا امام المظهر الملوكي وسجدا هنالك بكل احترام ووقار وكانا متدرعين بأسلحة الحرب وأعينهما ملتهبة بضرام المواقع وأحذيتهما متوشحة بما نشجه النقع والدماء سائلة على حدظباهما ومضمخة ثيابهما العسكرية وكان مكتوبا على خوذة أحدهما هذا قائد جيش التمدن وعلى منكب الآخر هذا وزير محبة السلام

وعند ما وقعت من الملك التفاتة اليهما حياهما بالاكرام وقال لهما هات أخبراني بما فعلتما شفاها فأخذ الاول يسرد الحوادث هكذا

ان نصرتنا الكاملة على الاعداء لم تحتمل أكثر من موقعتين أما الاولى فكان حدوثها على هذا الوجه وهو أن هؤلاء الاخصام عند ما شاهدوا جيوش آدابنا المستظهرة مقبلة عليهم فرقا فرقا عدوا حالا على قتالنا منظمين صفوف أجناد مقاومتهم وأخذوا يدافعون فجومنا عليهم نيران مدافع العناد بدون أدنى اكتراث بنا وكان حامل بيرقهم رجلا يسمى بالبغض ＊ فعند ما لاحظنا قحتهم هذه زمرنا حالا ببوق النار الدائمة ورفعنا بيرق النزال فكنت ترى حينئذ جيوشنا تلك الغضنفرية غائصة في سحب دخان الغيرة متلامعة ببروق سحيق التعاليم على صهوات جياد المدارس التى كانت تحجم طلبا للهجوم وشوقا للاقتحام ولم تزل قنابر براهيننا تنقض على صفوف الأعداء كالصواعق من أفواه مدافع استظهاراتنا التى كانت ترعد تحت سماء حرب الحرية ولم تبرح بنادق ألفاظنا تمطر عليهم رصاص العزيمة الى أن رأيت تلك الصفوف أخيرا متفرقة كبنات نعش ومنهزمة امام نظام فيلقنا الذى كان يحكى الثريا شملا والجوزاء مسيرا وهكذا لم نزل هاجمين عليهم وهم ناكصون على أعقابهم حتى ظفرنا بالغلبة والانتصار وتركنا أكثرهم بين قتيل وجريح والبقية أدبروا وتحصنوا في معاقل الآراء السابق تصديقها

أما الواقعة الثانية فكان وقوعها على هذه الكيفية وهي أن أولئك الاعداء قد أرسلوا الينا رسولا حاملا من طرف ملكهم رقعة بها يعدنا أنهم يتركون الاسلحة بشرط أن نتنحى عنهم قليلا عساكرنا فوعدهم سعادة رفيقي هذا (وأشار الى وزير محبة السلام) أن يجري شرطهم وكتب لهم بذلك رقعة ودفعها للرسول فأخذها وذهب وهكذا أتممنا الوعد ومذ شاهدوا تنحينا عن معاقلهم طمعوا بتغاضينا وأخذوا يجمعون عساكر جديدة مجددي العزم واندفعوا علينا ثانية كالوحوش الضارية تحت



ادارة سبعة قواد تسمى بالارواح الشريرة وكان حامل سنجقهم جنديا يقال له الخيانة ❋ فعندما رأيناتأهبهم للقتال وهجومهم علينا اغتيالا ومفاجاة تحت لواء الخيانة هرعنا حالا الى أسلحتنا القاطعة وقابلناهم بأمواج كتائبنا المنتصرة وأخذنا نصادمهم مصادمة بني أسد لبني كلب وكنت أنا وهذا الوزير نخترق صفوف أجوقهم شاهرين سيف الهمة والمسعى ونضرب يمينا وشمالا بكل عزائمنا لكي نشد قلوب الجنود المنقضة عليهم كالنسور وكان دخاننا يبتلع دخانهم ورعود مدافعنا تخرس مدافعهم ولم نزل نجز رمدهم ونفل حدهم حتى استظهرنا عليهم مليا وأوضحنا تقهقرهم جليا ولم نرجع عنهم حتى أوقعنا جميع عساكرهم وقوادهم في قبضتنا بعد حرب أقوم من ساق على قدم وأشهر من نار على علم ولم نكتف بهذه الغلبة فقط بل دخلنا أيضا الى معاقلهم السخيفة لكي نستخرج ما فيها من القوات وبينما كنا نتجسس ونبحث في تلك الحصون واحدا فواحدا وجدنا في أحدها رجلا هرما قد نفضت أقدام الايام على هامته غبار الشيب وهو مختبئ في احدى زوايا حجرة ناكس الرأس مكفهر الوجه مخطط العزائم والقوى ذارف الدموع منحني الظهر حتى يرى كأنه صنم لا يمكنه أدنى حراك فقبضنا عليه أيضا وأخرجناه الى الخارج وربطناه مع سبعة قواده المذكورين ومن يحمل بيرقه بسلسلة حديدية ووضعناهم في سجن عندنا تحت الاسر وحالا أخذت قلما وقرطاسا وسطرت به هاتين الواقعتين كواحدة على وجه الاختصار وأرسلت الاسطر الى عظمتكم مع بريد مخصوص

أجاب الملك قد وصلتني رقعتكم مع البريد المذكور ولكنني لم أستوعب كل الحوادث حسب الواجب ولذلك رددت اليكم البريد لكي يدعوكم الى هنا وافهم الامر منكم مشافهة فمن هذه الرقعة التي أبرزتموها الي لم أعلم سوى موقعة واحدة وانكم موعودون من الاعداء بالتسليم وترك الاسلحة عندما كان نظري يسبق ويرى من بعيد دخان وغبار معركة مهولة

وأذني كانت تسمع لغط الشبه دوي رعود من أفق شاسع ولم ألبث أن أغرقتني لجة البلبال لأنني لم أعلم النصر لمن يكون * نعم ان هذه المعركة التي هي الثانية ربما كانت جارية حينما كنتم تشرفون معروضنا بتلاوته لاننا بعد برهة قليلة من نهاية الكفاح الاول أسرعنا الى اخبار عظمتكم وشرعنا في الاعتراك الاخير ونلنا النصر والظفر من حيث لا تعلمون * ومع ذلك كنا نقتصر على انجاز تلك الموقعة الاولى حسب المرغوب لو لم يدخل غش هؤلاء المردة على سلامة قلب وزير محبة السلام (وأشار اليه) اما هذا الاخير فقد كان مطرقا في الارض غير متحرك وكانه واقع في هواجس كثيرة فالتفت الملك اليه وقال له بالحقيقة ان سلامة قلبك قد صارت السبب الوحيد لانتشاب تلك الموقعة الثانية لانه لو كنت تعرض عن تصديق دعواهم بالتسليم عالما أن الحرب خدعة لكانت جيوشنا أنهت الموقعة الاولى بحسنيا اقتضت الثانية وكنا اغتنينا عن ثقلة هذه الاخيرة ووفرنا رجالا ومالا

فأحنى الوزير رأسه لدى الملك وقال انه لم يخطر ببي البتة امكان هجوم هؤلاء البرابرة علينا مرة ثانية بعد ان شاهدوا ما شاهدوه من بسالة أجنادنا الأقوياء في الحروب وتيقنوا جيدا عجزهم وضعفهم بالنسبة الى ثباتنا وقوتنا فقد جرت الأقدار بما لم يخطر بالأفكار ومع ذلك فليست اجابتي لطلبهم كانت مبنية على اقتناعي فقط بكونهم لا يجسرون على محاربتنا ثانية بل وعلى طمعي بحقن الدم ايضا اذ قد خطر لي انه اذا لم نجب طلبتهم وواصلنا الحصار والمهاجمات فقد يمكن ان يجري نهر من الدماء حسبما جرى ذلك في كثير من مواقع العالم منذ يشوع أريحا الى تيطس أورشليم ومابعده * فقاطعه الملك قائلا انه يوجد في طريق الانسان كثير من الموانع التي لا يمكن الحصول على رفعها الا بسفك الدم وكذلك قد يصيب الانسان كثير من الحوادث التي لا يمكنه دفاعها الا ببذل الروح وعلى كل حال لا نسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

ولكن يا أيها الملك المعظم ليس يجيد للانسان أن يسرع حالا الى اهراق
الدماء على نزر الاشياء وليس جميع الحوادث والاحوال تساوى الدم
الانسانى الذى لا يوجد أثمن منه ولا يجب مضارعة أولئك الشعوب
الذين يبادرون الى شن الغارات وقتل بعضهم بعضا على أقل أرب
لا يعتد به أو أدنى خرافة لا يثبت لها فى رقعة التمدن بحيث لا يؤل صنيعهم
هذا الى دمار ودثار أخصامهم فقط بل والى انحطاط وخراب هيئتهم
أيضا اذ أن الرجل الظالم يرتد وجعه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه
فلا برهان اذن على سمو عقل الانسان وتروض اخلاقه ودعة بحبته
أعظم من محبته للسلم ونفوره عن الحروب والخصومات على أنه
بالسلامة تنمو الهيئة الاجتماعية وتتسع دائرة تقدمها بالثروة والمعارف
والآداب * بالسلامة تخصب الحقول وتغطى الارض غلاتها وتجود
الفلاحة ويكثر الحصاد * بالسلامة تعمر البلاد والقرى وتتسع التجارة
التى عليها يقوم مدار الاشتراك مع كافة العالم * بالسلامة تتقوى الممالك
وتعظم رجالا ومالا * وبالاجمال انه بالسلامة يقوم شرف البلاد ومصالح
العباد * ولكن اذا أخذنا بتصفح الحروب وغوائلها فانا نرى العكس
تماما * على انه بالحرب تتبدد الهيئة الاجتماعية وتضيق دائرة تقدمها
ونجاحها حيثما يرسل الابهام مركز الجهل اقطار الخراب * بالحرب تمحل
الارض وتضن بانتاجها وتتقهقر الفلاحة ويقل الحصاد * بالحرب تتهدم
البلاد وتبور المتاجر فى أودية الاضمحلال وتنقطع الشعوب عن مشاركة
بعضهم بعضا * بالحرب تضعف الممالك ويقل رجالا ومالا وبالجملة انه
بالحرب تذل البلاد وتبيد القبائل ويصفر الخراب * ومع كل ذلك فقد تلد
السلامة حروبا والحروب سلامة * بناء على ان زيادة الراحة قد تنشئ
أخيرا راحة لا تذهب الا بواسطة التعب والرياضة * وأيضا زيادة
التعب قد تسبب جملة اعراض رديئة لا يمكن اخضاعها الى الزوال الا
تحت سلطة الراحة. والسيكون أما ترى حيثما تمردت علينا مليكة

العبودية وأخذت تفسد في الارض بواسطة اعوانها وتعبث بسذاجة
شعوبنا كيف نهضنا ضدها ابتدارا وأشهرنا أسلحة الحروب حذرا من
ان يبتلعنا القعر وتطبق البئر علينا فاها ❊ وهكذا أتممنا تشتيت شمل
العدو وصحنا عليه بصافور الغلبة والظفر ضارببن بطبول الحرية التى
نحن أولادها وحينئذ فأنا الذى تدعونه وزير محبة السلام قد اخترقت
بذاتي جماهير معسكر هذه الاعداء واقتحمت قلاعهم نا ضيا سيف الهمة
والمسعى حتى أنزلت بهم النكال دفعا لوقوع القلق والاضطراب في
بلادنا ورفعا التسلط القبائل الاجنبية علينا الامر الذى يفعل الخراب
أكثر مما تفعله الحروب فهنا نرى ان السلامة قد انشأت حربا ❊ وعند
ما تستر جميع هذه الحروب راحتنا السابقة وهدونا الاعتيادى منادية
بكون سيف السلطان طويلا نقول من ثم ان صخرة الحرب قد أفاضت
مياه السلامة الدائمة التى بها يتمتع كل آت بعدنا كما يتمتع بماء هذه
الصخرة التى فجرتها العناية بعصا موسى الاعتاق كل سارح فى برية
الحرية أو فى غابة الحق (وأومئ الى الصخرة التى يتدفق منها الماء وأحاط
الايماء جميع الغابة) وبينما كان هذا الوزير يتكلم كانت الملكة
لا تبرح آخذة وضع الجلوس المحتشم متكئة على ساعد العرش السامي
وزهرة راحتها بوردة خدها الازهر وعلى مباسمها تقرأ الحلاوة آية
الكوثر وهى تهز رجلها اللطيفة اشارة لاستيعاب الخطاب متوسمة
بوجه محبة السلام بأعين تفيض جمالا وكمالا على طلعة تنفث فى العقول
سحرا وتدير على القلوب خمرا فهى ترمى فؤاد قانوبس (الهة العشق) بنبال
الفتور وتأخذ قلب باكوس (اله السكر) بنشوة الخمور مع أنها تخلق
في مينارفا (الهة الحكمة) مهابة واحتراما وتجرى فى روح المريخ
(اله الحرب) بردا وسلاما ❊ فما أتم الوزير كلامه الا ورأيت زنجيين
مهرولين من بعد الى ساحة هذا المرسح ولم تزل بطون الادغال تبتلعهما
تارة وتتقايأهما أخرى حتى أدركا أخيرا هذا المحط وسعدا على الفور تجاه

المشهد الملوكى مكشوفى الرأس مطرقى الاعين قد عبثت بأنفاسهم غصص الرعشة والهلع وغب سجودهما أبرز أحدهما من جيبه درجا مطويا ورفعه منشور الذى العظمة الملوكية وهو مطأمن الظهر مخال العزائم ❊ فألقت عليها الملكة لحة عين ثم أمرت قائد الجيش بحركة الايماء أن يتناول الدرج ويتلوه عليها فالتفت القائد وأشار الى حامل هذا الدرج بالدنو فدنا وألقى بين يديه الكتاب ونكص فتلاه ذاك بصوت عال واذا مكتوب به هكذا ❊ الى العظمة الملوكية ❊ . ان تقادير النحس والتعاسة قد حركتنا نحن معشر الاشقياء الى رفع الاسلحة ازاء وجه عظمتكم الملوكية بحيث لم نكترث بيدكم القوية وساعدكم الرفيع وهو الامر الذى جلب علينا من لدن ملوكانيتكم غضبا لا يخفى وسخطا لا يطفا فسقتم علينا جيوشكم الزاخرة وصيرتمونا كالهباء الذى تذريه الريح عن وجه الارض فلبسنا اللعنة كالثوب لانه لم نعلم لكثرة جهالتنا ان كل سلاطة هى من الله ولذلك قد منعنا رب الحكمة كل حركة وأبقانا لديكم كعمود لوط حاملين على عاتقنا رجسة الخراب مسودى الوجه مضطر بين بين يدى الغضب الآتى ❊ فاذا كان لم يزل يوجد فى قلبكم نحونا ذرة رحمة فاقبلوا من عبيدكم اعلان الندم على ما فات وأطلقونا من سجن الحماقة وأسر الجهالة ونحن نعدكم وعدا ثابتا أننا نجرى جميع أوامركم وقوانينكم فى كافة ولا يأتينا الصغيرة ولا نعود لوضع أدنى خلل فى نظام مملكتكم ذات الاتساع والعمار عالمين ان سيف السلطان طويل وان الذى يعصى السلطان أو الشريعة تكون نهايته الدمار والدثار وأنه لا يمكن قط لاى ملة كانت أو أمة قهر الصولجان الملوكى أو مجاوزة قوانين السياسة وأنه واجب على كل انسان ان يخضع خضوعا مطلقا لعظمة السلطان عالما أن الله قد جعله على الارض قهرمان وسلمه مقاليد الشريعة ذات الامان ❊ فحينما أتم القارئ تلاوة الدرج طرحه على الارض مرتعدا بثوران الحمية وصرخ ❊ يا للمكيدة ❊ فتناوله وزير

بحجة السلام وتلاه بنغم الضمير ثانية بينما كانت الملكة مشرئبة والبهتة شاملة وجهها وصارخة ﴿ يا للحيرة ﴾ وبعد برهة صمت تكفي تكرار التلاوة السرية رفع الوزير عينيه مجيباً الى حضرة الملكة واضعاً الدرج جنبه برفق وأخذ يستميل بلحظاته قلبها الى اجابة أولئك المسجونين ويحركها بظرافة تبسماته الى الشفقة عليهم * فانعطفت هذه السيدة الى الجانب الملوكي ورمقته بأعين رطبها الاشفاق وقالت له بتبسم يطفح بأنوار الحنو * دعهم يحضروا الى الحاكمة عسى يفلحون * أخشى وقوع المكيدة * أنا أكفل ذلك والحكمة تعرف طريقها * ليكن لك حسب قولك * فالتفتت الملكة الى الوزير وقالت له قم فاذهب بذاتك واستحضر المسجونين الى هنا كي نحاكمهم فنهض المومى اليه للوقت وجاز مسرعا * ثم قالت الملكة لقائد الجيش اكتب رقعة الى الفيلسوف واستعجله بالحضور الى هنا ففعل فقالت له أرسلها مع هذين العبدين فدفع لهما الرقعة حالا بعد ان أطلعهما على محلته في مدينة النور فذهبا يدرعان الارض والقائد راح يتخطى في ناحية وأخذ المظهر الملوكي يضرب في أغوار التفكرات وما عدت أرى سوى هيبة السكوت المتعمق ولا أسمع سوى هدير الماء المتدفق

﴿الفصل الثاني * الهواجس﴾

وبينما كنت أجول في مراسح الاوهام العقلية وأطوف في مسارح الخيالات الفكرية اذ استلمحت شبحا يتقارب من بعد وهو يخب في بطن الغاب غائصا في غمر الظلال المتكاثف ومازال يعسف على قدم الاقدام حتى نفذ من تلك الغمرات المدلهمة وظهر في مرسح الاحلام ظهور القمر من كبد الغمام * ومابرح يتردد قدوما ويتحدر هجوما حتى رأيته خر لدى العرشين بأسلوب ما به شين واذا هو رجل أحمر نسمة الوقار وعلى وجهه تلوح حذاقة الافكار فهو ذو جبهة تشير برحابتها الى تمام العلم والعمل ونظرات أشد نفوذا من نبال بني ثعل وكان لباسه جامعا

بين المهابة والاحتشام جمع الحرف بين الصحة والاشمام ذو قامة لا تعرب
عن العامة ورشاقة تتوقد بها النامة اماسنته فلم يتجاوز آحاد الحسين على
ما كان يلوح لى ويستبين * فلما صادفته لحظات الجالسين على مقاعد
السلطنة بثته أشاير التحية مظهرة دلائل الابتهاج بقدومه ثم أومأت
اليه الملكة أن يجلس حذاءها فتقرب وجلس مستريحا على ركبتيه
فأوعزت اليه براحة الجلوس ففعل * وبعد فترة من السكوت التفتت
اليه هذه السيدة وقالت له * هل عرفت كيفية نهاية الحرب * نعم
قد بلغنى أن النهاية كانت انتصار الكم والله يعطى النصر لمن يشاء
ولكن بعد موقعتين بحكيان العويرض بما تكلفناه من تعب شاق
لا راحة الا بعد تعب * ولا نعيم الا بعد شقا * وهل بلغك ان ملك
العبودية وأعوانه قد أسروا وطرحوا فى السجن تحت سطوتنا بعد ان
أدرنا عليهم رحى المنايا وأمطرنا على هامهم البلايا * لا لم يبلغنى
أمر الاسر * أجاب بدون عبء نعم هكذا تم الامر وقد أنفذوا الينا عرض
حال ينطوى على ترك التمرد والعصيان والوعد بعدم الرجوع الى زرع
الخلل فى نظام مملكتنا نادمين على ما اجترموه ضدنا ومسترحمين منا ان
نطلق سجنهم ونفك أسرهم * لا شك أنه يجب اجابة استرحامهم
أجاب الفيلسوف رافعا كتفيه ولا ينبغى معاملتهم بالقساوة حذرا من
ملامة العموم * فقاطعه الملك بعد صغى وامعان قائلا ان الامارات التى
بها انجحوا اسبل التوحش والعبودية فى مملكة التمدن والحرية تستحق
النهوض ضدهم بكل قساوة لانهم أخذوا يسلبون حرية الناس
ويزرعون بينهم الخصومات والخرافات فلو لم تستدركنى هذه السيدة
بمشورة حكيمة لكنت أنفذت أمر الشنق ملكهم وسجن أعوانه
وأنصاره مؤبدا * هكذا تم الامر أجابت الملكة أما المشورة التى
تنازلت عظمة الملك بقبولها هى اننا نستحضر أولئك الائمة ونضع قوانين

وشرائع

وشرائع جديدة يسلكون بموجبها ونرفقهم بنظار من طرفنا ونمزج عساكرهم بعساكرنا وبذلك نامن غوائلهم ونستولي على ولاياتهم بالتدريج بدون اثارة الحروب وشن الغارات فنخلص من فخاخ دولة العبودية ✻ فاطرق الفيلسوف ساعة ثم رفع عينيه الى السماء وأخذ يتأمل قليلا ثم أدار رأسه يمينا ويسارا وأحاط جميع الغابة بنظره وهو يهمهم بكلام مترادف ثم أعاد الاطراق ثانية وأسدل على عينيه براقع الجمود حتى صار لبواشق الافكار فريسة ✻ فشرعت الملكة تتأمل في هذه الظواهر مندهشة كانها ترى مشهدا عجيبا وأخذ الملك يفاوض العدل والحلم وما كان الا كلمح البصر حتى نبر الفيلسوف من هواجسه وقال لم أفهم معنى الخلاص من دولة العبودية وهل يمكن ان يوجد لاحد خلاص منها ✻ أجابت الملكة كيف لا يمكن ذلك وهل يخفاك فعل المدافع والبنادق ✻ انني لا أرى وسيلة يمكن بها الخلاص لاحد من لزوم التعبد على انني أرى جميع الطبيعة مربوطة بسلسلة الاستعباد بعضها لبعض ✻ أجاب الملك وكيف ذلك وهلا يوجد حرية في العالم ✻ لا ✻ ولا يوجد طريقة بها يحصل الانسان على شبه الحرية لكي ينال لذة ✻ نعم يوجد ✻ أوضح لنا ذلك ✻ فاطرق الفيلسوف برهة ثم أخذ يتكلم هكذا ✻ اننا اذا تتبعنا الانسان منذ ولادته الى نهاية أمره انما نرى حياته تجري خاضعة الى ما لا ينتهي من العبوديات وهكذا نرى في جميع المخلوقات فالطفل المولود عندما يسقط على الارض يصرخ وينتحب علامة لاشعاره بوقوع سلطان المحيطات به عليه ولم يزل عبدا طبيعيا لامه ما دام يغتذي من لبنها الى ان تضع له المرضعة على الثدي اشارة لطرده من حلاوة الحياة القاصرة الى الدخول في مرارة الحياة المستقلة وحينئذ يميل بوجهه الى مواجهة عالم الغلبات فتدفعه شرائع الاستقلال الحيوي في عبودية الموجودات وتعصف به زوابع الاقدار في مغارة الطبيعة فيعود مندفعا ومجاذبا جميع الكائنات املا في الخلاص من

فواعلها وتاثيراتها الطارئة عليه فيخضع للحرارة ليستعين بها على الفرار
من سلطة البرد ويميل الى هذا الاخير ليدفع عنه غلبة تلك الاولى
و يبسط يديه لدى مكارم المملكة الالية علنا ليسترجع منها
ما اقتنصته من بنيته بالانحلال او التنفس خفية ويبتنى من الجوامد
بيوتا تحميه من حوادث الجو وهجير الشمس و يستنجد المعادن لوقاية
أبنيته من غوائل الصواعق المنقضة و يستخدم أجنحة البخار
ليطير بها الى كل فسحات الارض وهكذا لا تبرح طيور افكاره تحوم على
دوحة الطبيعة وأقدام آماله تعدو فى ميادين العالم حتى تنتصر أخيرا
على جميع قوّاته كل تلك الا كوان وترجه فى أودية العدم حيثما تحبط به
ظلمات الفناء وتكتنفه غمرات السكوت بعد حياة قد تقضت بالتعبة
لكافة الحادثات وجرت تحت رق المصايب والاتعاب والامراض
خاضعة لقوى مقتدر او ضعيف مستتر حسبما تقتضى الغايات
أو الضرورة فلا حرية اذن للانسان وهكذا تجرى على هذا المجرى سائر
الموجودات أما ترى الحيوان القوى كيف يستعبد الضعيف اما ترى
ان كل الحيوانات كيف تسترق لخدمتها جميع جماهير الوجود النباتى
اما ترى كيف تجمع القوات الجاذبة ما بين المتفرقات العنصرية وتخضعها
لسلطان الاجتماع والتراكم تحت عبودية الفواعل الكيماوية وأسر
قوات التناسل بحيث لو امكن للعناصر الهيولية ان تأخذ حرية الانفراد
لما أمكن قيام انتظام الطبيعى أصلا أما ترى كيف تدخل السيارة فى
سلطة الثوابت قم بنا النظر فى أجنحة التصوّرات ونرتفع ببخار الافكار
الى سماء الحقيقة وهناك أريك كيف ان هذه الكرة الارضية
تظهر لنا عن بعد سابحة فى أعماق الفضاء وهى تدور منحنية على نفسها
كشيخ أحنت ظهره أثقال السنين وكيف ان هذا الجرم العظيم منقاد
بسلاسل سرية الى الخضوع لانتظام الفلك الشمسى بحيث لا يمكن له الخروج
عن حدود دائرته المضبوطة باقطار من تشعشع جاذبية ذلك المركز

قوله الالهية اى عالم الحيوانات فى عالم النباتات [illegible]

الثابت

الثابت وكيف ان جميع الاجسام المنتشرة على سطحه خاضعة لحكم
تقلب الفصول والاوقات حسبما يقتضي حلوله في احدى جهات تلك
الدائرة المنطقية وكيف ان كل تلك الاجسام نراها ثائرة على بعضها
لتدفع عبودية التغلبات حتى نشاهد بينها معامع مهولة فهنالك تسمع
ضوضاء حروب الجو تضج ضد غلبة المؤثرات وترعد في آذان الارض التي
تراها تارة تقذف السماء بلهيب غضبها وتهيج عالم المتحركات بصدع رؤس
الجبال العالية اذ تشاهد كلا من انواعه يشن الغارة الشعواء على ضده
حتى يهلك الجنس ويباد فترى اسلحة تتلامع في الشمس وتقعقع في
الهواء وجيوشا تتضارب على صهوات الخيول تاركة سحب غبارها تغشى
وجه السماء وأيادي تتجالد وتتقارع ومخالب تخلب وتجرح واظافر
تنشب وتهشم وحوافر ترفس وتصدع وأجنحة تخفق وتلطم
وذنابات وأفواها تلدغ وتلسع وكذلك نرى مملكة الحياة النباتية
مشتغلة بدفاع غارات الطقوس بوسائط وطرق لا ينجلي غموضها ولا
يحصى عددها وهي تضج وتئن ليلا ونهارا مما تقذفه بها لطمات الارياح
الهائجة التي تخطف ورقها وتنثر ثمرها وترى ايضا عالم السوائل يقاسي
تبديد التبخير تحت أحكام الحرارة فيهب الى العلا وينضم هنالك الى
بعضه على اشكال متخالفة ثم يهبط غائرا في بطون الجوامد فيصادمها
وتدافعه ثم تقذفه الى حيث يذهب آنا مضطربا متذعرا مما قاسى
فكيف لا يمكن والحالة هذه ان يقال لا حرية في الخليقة ولا خلاص
من العبودية ❋ ومع ذلك فقد يمكن للانسان ان يحصل على شبه
الحرية ويتمتع بلذة الحياة على نوع ما اما حصوله على الحرية فلا يمكن
الا اذا أدرك ان سني وجوده مهما كانت عديدة بالنسبة الى ما سبقه من
العدم وما سيرد عليه ليست الا كبرق طفيف لمع في ليل دامس وان
جميع مصايب الدنيا وأكدارها تحيط بهذه الفترة الحقيرة من الحياة
التي يجب ان يستثنى منها أوقات نومه وطفوليته وشيخوخته وهي

قوله غارات الطقوس من حالة الجو من حرارة وبرودة اه



الاوقات التي تعتبر عدما وان جميع المحيطات به تجتهد في هدم بنيته لتسترد منه ما سرقه من موادها بالاغتصاب ولا تغفر السرقة الا بالرد الذي هو حكم المغتصب * فاذا عرف هذا جميعه يعود متحررا من سلطان الوقائع ومعتوقا من عبودية الزمان فلا يلبث معرضا للاكدار والاحزان لعدم ميلانه اليها ولا يوجدها ثما بالمسرات والملذات لكونه لا يعتبرها بحيث يرى الجميع بخارا يتصاعد قليلا ثم يضمحل ومن لا يبالي بالالم لا يشعر بعضضه ومن لا يعبأ باللذة لا يدرك بهجتها *

اذا كان وقع السيف ليس يمضني * فعندى سواء غمده وغراره
وان كان جمر الخطب ليس يصيبني * فلا خوف لي مهما يهب شراره
أنا لا أرى في الارض شيأ يروقني * لذلك نور العمر عندى ناره
أيطر بنى هذا الزمان وكله * عراك على الدنيا يثور غباره

اما حصول الانسان على لذة الحياة فلا يقوم الا اذا طرح ثقل العالم عن ظهره وارتضى بما قسم له من الله لقيام وجوده خالعا كل أمارة تجعله عبدا وأسيرا لمن يتعالى عليه وذلك كالحسد والطمع والكبرياء والحقد وهلم جرا موجها اقدامه على هذه الارض حسبما يهديه الصواب والاختبار منعزلا عن الناس ما أمكن واضعا الافكار ناموسا يحفظها في قيود الاستقامة والرشد لا مجالسا به عن كثرة الكلام لئلا يحسب تكلمه هذيانا راكضا وراء الحكمة والعلم معرضا عما يؤول الى خراب بصره وبصيرته كالتهافت على اللذات الجسدية والتمرغ في أوحال التهافت والفساد ناظرا في كل لحظة الى الموت الذي يتهدده على ممر اللحظات عالما أن كل نفخة من نفسه مأخوذة من روحه عارفا ان القوة الضابطة لاقدامه على سطح الارض ستكون يوما ما سببا لابتلاعه الى عمقها * فبهذا جميعه قد يحصل الانسان على لذة قصوى في مسير حياته اتيبشا هذاته محولا من جميع وثاقات الاكدار والالام الادبية والطبيعية ومنقطعا عن كل عالم العبوديات اللازمة والمتعدية

واذا تحركت به الاميال الى مخالطة أشباهه بالنوعية فعليه باختيار
من حسن وطاب واجتناب من قبح وخبث على أنه بذلك تنفسد
الفطرة السليمة التى هى أصلية فى الانسان وبهذا تصلح وتجود وتسمو الى
أوج الكمال ❊ واذا اتفق وجوده فى مركز بعيد عن دائرة المخالطة
الحسنة فعليه بالانفراد بذاته ومخالطة العوالم المحيطة بحواسه حيثما ينال
لذات لا مزيد عليها ويغتنى بها عما سواها ❊ فان الانسان المثقف
لا يدرك لذة أعظم اعتبارا من تلك الملذات التى يدركها عندما ينشر
شراع التعقل لسفينة أفكاره ويطلقها فى بحور هذه الموجودات لدى
مهب أرياح الحوادث ❊ هنالك نرى غزالة العالم تبرز يومئذ من كناس
المشارق الذهبية ناشرة أنوار بهجتها على وجه السماء حيثما تعود كافة
الخليقة مستبشرة بلقاها وتخطراتها فالجبال تتمنطق بمناطق لجينية
وترفع قممها الغاطسة فى غمرات الظلام فاتحة باعاتها للاعتناق طفحات
الضوء والمياه تتموّج بلمعان الاشعة المنبعثة من لدن أبى الانوار كانها
متسربلة بدروع نارية والاشجار ترجج رؤسها لدى بشائر النسيم كذى
طرب متوّجة باكاليلها العسجدية ذات المنظر البديع والازهار
تبتسم ازاء وجه الطبيعة نافخة بأطيابها التى تذهب مبشرة سائر الخلائق
بثوران حركة الحياة والاطيار تغرّد وتصيح مهللة ومكبرة على أدواحها
العديدة ومنازلها المتفرقة وسائر الحيوانات تأخذ بالحركة والانتعاش
هنالك نشاهد هذه الغزالة مائلة على خط الزوال بوجه يقدح شرراحتى
اذا ما بلغت الطفل وأوشكت الفراق صبغت بدموعها الدموية وجنات
المغرب وغارت فى كهف الافق سادلة على المسكونة ستار الظلام تاركة
العالم فى حالة سكوت الموت منهضة الجمود العميق فى جميع البنية
الآلية سالبة من جميع المواد المظلمة ما أفاضته عليها من الصور الجلية
حينئذ تتبلبل الارض مع السماء وتضيع الجبال فى الاودية ولا يعود يقال
سوى ما هذا السكوت العظيم ❊ هنالك تحوم عقولنا على كل حادثة

قوله الطفل بالتحريك الغروب والغزالة من أسماء الشمس اهـ مصححه

طبيعية وظاهرة أدبية فترتقب طيور السماء متبصرة باجتماعاتها وانفراداتها واختلاف أصواتها وحركاتها وتتبع مسير وحوش الغاب متأملة في فرائسها المرتعدة وحروبها المتقدة وتهب مع الرياح الاربع الى حيث لا يعرف الى أين ذهابها ولا من أين ايابها وتقف حائرة عند نهوض الزوابع وانتشاب الانواء وتراكض البروق وانقضاض الصواعق وهدير الرعود حيثما لا يدرك الباحث من الاسباب سوى ما نظن به ولا نعلم من الحقائق سوى ما يراه ماديا فيغرق في بحور الاندهاش والذهول ملتطما بأمواج الهذيان والبحران مأخوذا بخمرة الهواجس والاوهام الى أن يصبح كريشة تتجاذبها رياح الاحكام المضطربة ويأخذ في تصوير الغيوم الى اشكال وصور تتجدد على ممر الدقائق والاوقات خالعة كل هيئة حقيقية ❊ هنالك نهجس بهذه المواد الكونية من أسمى جرم الى أدنى ذرة باحثين عن أصولها وفروعها وعلاقاتها ونسب بعضها الى بعض وغاياتها وأحكامها ناظرين في كل من أجناسها حركة حياة متوزعة على سائر أنواعه تحت ناموس المناسبة فالبعض يجمد متصلبا والبعض يسيل مائعا والبعض ينتشر طائرا وهذا ينمو بلا حياة ولا انتقال وذا يتمتع بالنمو والحياة ولا يتحرك وذاك يفاخرهما بأسلوب نموه وحياته وحركته المطلقة والارادية ❊ هنالك نتصفح هذه الاشياء وتلك الحوادث فنقول ان كلا منها له حياة خصوصية تقوم بتدبير وظائفه وحركاته الذاتية وحياة عمومية تشركه مع بقية الاشياء وتربطه بعالمها ثم لا نرضى فنقول ان الكهربا هي السبب الوحيد لجمع وتحريك كل العناصر فانها روح العالم ثم لا نرضى فنقول ان سيال الحرارة هو عنصر جميع الحركات والتحركات وعليه مدار سببية الحياة والتقسيم ثم لا نرضى فنقول ان النور ذاته هو القائم باحياء وتحريك كل مادة مؤلفة أو بسيطة ثم لا نرضى فنقول ان شريعة التثاقل التي تثبت

قوله البحران الارجحية القصوى من المرض اه

أقدام الاكوان فى مراكزها وأوضاعها وترشد جميع خطواتها الى سواء السبيل هى هى ذاتها سبب القيام العام ومبدأ الحركة ثم لا نرضى فنقول ان الفضاء الغير المتناهى هو ينبوع البداية والنهاية ومنه أخذت كل الاصول العالمية واليه سترجع ثم لا نرضى فنقول انه يوجد رب متنزه عن ادراك الافهام ذو عناية دائما بتدبير عموم تلك المخلوقات ومنه الحياة كانت وكل به كان وبغيره لم يكن شىء مما كون وهو محرك الحركات وأصل الكائنات واليه مصير الاشياء جميعها لا اله الا هو ولا معبود سواه فالا نرضى بهذا المقال ونسحب جميع أفكارنا من مواقع الاوهام والوساوس الغريبة معانقين عروسة الحقائق وبكر كل برية متمتعين بلذة الحياة وحرية المعيشة ❋ وبينما كان الفيلسوف مواصلا خطابه كان الملك والملكة شاخصين فيه باعين يخامرها الركن والاصغاء مستوعبين معانيه بكل اتضاع ودعة وعند نهاية مقالته جعلت الملكة تقول له هكذا ❋ اننا قد عرفنا عدم امكان وجود حرية للانسان بل ولا لسائر الانواع وان جميع الاشياء لكونها مرتبطة بخدمة بعضها البعض فهى مقيدة أيضا بعبودية بعضها البعض ولكن عندما تكون هذه العبودية غريبة عن الفائدة أو مضرة لصالح الامور فالاجتهاد بابطالها ضرب من اللزوم وقانون صوابى وبناء على ذلك عندما نظرنا دولة الاستعباد تتداخل مابين شعوبنا تحت طرق مختلفة حيثما لا ينجم عن هذا التداخل سوى الاضرار بهم وفساد طباعهم السليمة نهضنا حالا ضدها وسطونا عليها سطوة اسكندر على دار يوس وسحقناه كما علمت أما حصول الشخص على لذة الحياة معتوقة من كل حاكم وصافية من كل مكدر فهو أمر لا يمكنه البتة ولو تطبع على تتبع تلك النواميس التى ذكرتها والتى تصعب فى الاجراء بمقدار سهولتها فى التصور حسب كل الاعمال الفلسفية لان التطبع لا يقلب طبعا وما كان هكذا فهو غير لذيذ عند الطبيعة وبعيد عن السهولة واذا أمكن الانسان السلوك كما

أشرت فلا يكون ذلك الا لمن وسمته العناية بسمة الانفراد وهذا شاذ وليس حكم الشاذ الا الحفظ وعدم القياس عليه * وعلى كل حال ان الانسان اذا كان متعبد الاحكام دولة التمدن والصلاح يكون داخلا في حقيقة الحرية التي تطلبها الواجبات الانسانية على أنه اذا كان ذلك التعبد لازما فتلك الحرية ملزومة لان اعتناق الانسان واجباته لا يدعى عبودية ولكن اذا كان الشخص معتوقا من رق تلك الدولة فهو يكون بالضرورة داخلا في عبودية ضدها تبعا لمقتضى الحال * ولكون الدخول في أحكام دولة الخشونة والبربرية يفسد أحوال البشر وينثر نظام جمعيتهم نازعا منهم كل الصفات الحميدة والسلوك السليم وذلك هو الامر الذي لا يوجد أضر منه لمملكة التمدن والصلاح وجب علينا دفعا لوقوع البلبال والوبال فيما بين رعايانا أن نثور على تلك الدولة الاتية التي اذا لم نمح آثارها لم تقم حرية الانسان المطلوبة أصلا وهي الحرية التي لا يمكنك انكارها مهما رددت الهواجس والاوهام الفلسفية التي لا وجود لها الا في العقل الذي قد يخطر فيه ما لا حقيقة له في الظاهر * فاردف الفيلسوف كلامه قائلا أنا لم أمنع امكان الحرية الادبية بل الطبيعية ولا شك أنا اذا أطلقنا أنظارنا الى عالم الآداب وتبصرنا بشرائع الحكمة نعاين أقواما أحرارا وآخرين عبيدا حسبما تقتضي أحوالهم وكيفياتهم وعلى كل حال ان الاجتهاد في عتق العبيد وهدم مباني العبودية هو أمر ضروري وواجب * فطرح الملك أنظاره على الفيلسوف وقال * اذن مشروعنا في محاربة مملكة العبودية واستنقاذ شعوبنا من قيودها لا يستحق الملام * كلا بل هو حسن وواجب يا أيها الملك المعظم لان الاستعباد مكروه عقلا وطبعا وقد نهض العالم باسره ضد هذه العادة المستهجنة وما ساواها فحاربوا من ظلم واعتدى وأعدوا السلاسل والأغلالا

* الفصل الثالث * مملكة الروح *

واذا كان التمدن والحكمة يناقشان الفلسفة رأيت جمهورا آتيا من شاسع وما زال يحمل متقربا تحت كراديس الاغصان حتى بزغ من أفق الغاب وانتصب أمام المشهد المهاب وبينما كان يظهر لي ان الشمس مالت الى الطفل وعاد الغروب يطوي ذلك الشراع الذهبي الذي نشرته ايدي الاصيل على هام الشجر لم أعد أرى حينئذ سوى اشباح ضئيلة تتخبط في الفسحة ولا عاد يمكن تمييزها الاندفاع تيار الظلام عليها بحيث أوشكت جميع الغابة أن تمحي تحت أقدام الظلال أو تغور في غمر الظلمات المتراكمة * وما كان الافترة قصيرة حتى رأيت نار المعت عن بعد فجأة وصارت تتقرب تاركة خلفها مصابيح مضيئة ولم تزل تتكاثر هذه النبارس ممتدة المنا من وراء العرشين حتى ملأت ميدان النظر ولما خرقت الاضواء جلباب الظلام رأيت رجالا كثيرة عليهم أبهة العسكرية بارزين كمن كمين وهم يوقدون مالا يحصى من تلك القناديل التي كانت معلقة على الاغصان وما برحوا يتممون مسعاهم حتى ملأوا الغابة جميعها أنوارا فأخذت تتموج بالاضواء الساطعة وصارت شعلة واحدة حتى أظهرت مشهد الجمال أشاهد أبهج واسنى منه فصار يظهر لي كأن الارض أخذت تقذف السماء لبلا بما طرحت عليها من شهب الرمضاء نهارا أو كأن جميع عرائس الغاب جعلت ترشق علينا بروق نظراتها وعدت حينئذ اخال نفسي كأنني قائم في وسط فلك يتشعشع بالنجوم والكواكب التي لا عدد لها وما زلت اتبع بانظاري هؤلاء الرجال الذين زرعتهم الهمم في أربعة اقطار الغابة لكي يذيعوا آثارهم ويبثوا انوارهم اللامعة حتى رأيتهم يرجعون منضمين احواقا احواقا ويعسكرون وراء المحفل الملوكي مثنى وثلاث ورباع حيثما كان يحثهم الصوت العالي قائلا اتعوا الصفوف فاني اراكم خلف ظهري واذ أمعنت النظر في هذه الصفوف الملوكية رأيت على صدر كل منهم لوحا مكتوبا فيه هذا جندي التمدن دام كاسرا وما لبثت ان أخذت بمجامع حواسي جلالة

هذا المشهد اللامع بالانوار والساطع بالبهجة والازدهار حينما كان
الملك نازلا فى عرشه نزول الشمس فى الحمل مغمورا فى أشعة الهيبة والوقار
والملكة بازغة من سماء مجدها بزوغ الزهرة من افق الصباح مكتسية
بحلل الكمال وحلى الجمال والفيلسوف جالسا قبالتهما جلوس الدعامة
على أساسها موثق الاعين بسلاسل الافكار والهواجس وقائد جيش
التمدن متخطرا فى محله تخطر الاسد فى عرينه واجواق الجنود مصطفة
حول المرسح كالزراز ير على الاجار بينما كان الليل ناشرا شراع الهدوء على
جميع حركات الطبيعة وضاغطا بكل ثقله على الهواء كيلا يخترقه صوت
آخر سوى تكتكة المصابيح او تغريد البلابل * ولما أخذ السكوت قراره
طفق الملك يناجى الفيلسوف هكذا انه يوجد مملكة كبيرة جدا وقوية
الى الغاية يقال لها مملكة الروح وهى ليست بعيدة عن تخومنا فهل تعرفها
نعم انه توجد هذه المملكة وأنا اعرفها حق المعرفة فما سبب سؤال العظمة
عنها * لاننى أريد شن الغارة عليها أيضا * وما الداعى الى ذلك *
هو سماعى عنها انها تتصرف كثيرا بما يضاد سياستنا وان ملكها
الجالس على العرش القديم كثيرا ما يجتهد بخراب شرائعنا واضمحلال
كل مملكة لا تخضع لنواميسه * فهز الفيلسوف رأسه وأجاب هكذا
لا تعط صغيا لكل محدث أيها الملك المعظم لان أكثر خراب العالم ينشأ
عن أحاديث ذوى الغرض وكثيرا ما يتكلم الناس بلغة من لا ينتظر
وحقيقة الامر هى خلاف ما بلغ أذنيك لان العالم لم يدخل فى دائرة
التهذيب ولم تقم مملكتكم هذه الا منذ قيام تلك المملكة القديمة واذا
كان البعض من رعايا كم ينسبون اليها بعض اراجيف فهذا ناجم عن
الصالح الخصوصى الذى من شأنه ان يهدم بناء الصالح العام *
فارشق الملك نظره وقال ان كثيرين من ذوى الصدق والثقة قد
اخبرونى عن جملة أمور خشنة تواظبها مملكة الروح فهى على ما يقولون
انها أولا لا تفتر من بث التصورات الباطلة فى عقول الناس لكى

قوله الاجار * بكسر الهمزة وتشديد الجيم السطح اه قاموس

تنهض

تنهض بذلك تصديقات سخيفة تؤسس عليها أقيسة دعواها بالسياسة المطلقة وعلى هذا الاساس قد شيدت قوس نصرها فى ساحة العالم ونشرت عليه راية سلطانها ثانيا لم يكفها التسلط المطلق على الانفس والاجساد حتى جعلت تمد سلاسل سطوتها الى اعماق القلوب أيضا لكى تجتذب السرائر والضمائر الى ميدان أحكامها وعبوديتها ثالثا الاتكل اعوانها وانصارها من الجولان فى كافة المسكونة لاجل زرع الشقاق والفتن حتى ان أكثر الحروب التى جرت فى الدنيا كانت مسببة من اطوارهم على ماقيل فهل يسوغ لنا الصمت عن هذه المملكة اذا كان هذا شأنها * وبعد برهة من السكوت وثب الفيلسوف على قدميه وأحنى رأسه أمام الملك وقال اسمح لى أيها الملك أن أجاوب عظمتك بالتفصيل عما شرفت به آذانى .* قل ماتشاء * أولا ان هذه المملكة ماعلمت قط ولن تعلم الا بما يقود الناس الى نوال السعادة الحقيقية كما يظهر لنا ذلك بتدقيق الاستقصاء والفحص بدون التفات الى مايهذر به أهل الغرض الاعمى وجميع تعليماتها مأخوذة من الكتاب المعصوم الذى لاينكره الا أهل الضلال المبين ولو لم يرتفع قوس نصرها فى ساحة العالم وتخفق رايتها على كافة الاقطار لكان النوع البشرى يقع فى هاوية الفساد ويعم الخراب على جميعه سيما فى هذه الاجيال الاخيرة حيثما انتبهت الطباع الخبيثة من غفلات السذاجة لدى ارتفاع نهار التمدن الذى لايوجد عنده لجم لرد جماح تلك الطباع سوى ماتعلمه مملكة الروح فاذا رغبت عظمتكم فى خرابها تكون هذه الرغبة واقعة على نفس مملكتكم أيضا فلا تنقموا على ذواتكم ثانيا اذا كانت تمد سلاسل سطوتها الى اعماق القلوب فلا يكون ذلك الا لايقاع التهديد والخوف على السرائر والضمائر الشريرة لا للاستيلاء عليها فلو لم تكشف هذه المملكة حجاب غفلات البشر عن المستقبل وتظهر لهم مايكمن فيه من المخاوف المستعدة

لابتلاءهم من كان يمكنه ردع الفقير عن الغنى من كان يستطيع ردجماح المقتال من كان يحسن تقييد رجل السارق من كان يقدر على قمع ثوران الزانى من كان يمكنه قطع لسان شاهد الزور وبالاجمال من كان يمسك العالم البشرى عن تمزيق بعضه البعض ويحفظ نظامه من الانتثار ثالثا ان الانسان لانطباعه على السوء ينسب جميع المعاصى والقبائح لمن ينهى عنها ويوبخ مرتكبيها وبناء على ذلك قد توهم البعض من الاشرار كون حول ان خدام مملكة الروح فى الاقطار المسكونة هو لاجل غرس الخصومات والقلاقل بين الناس مع ان الامر بالعكس أى انهم يهتمون دائما بنشر الاتفاق والسكينة فى العالم ولو اضطرتهم الحال أحيانا الى ترك السلم واشعال نيران الحروب يجب ان لا تقتصروا على ان تتركوا هذه المملكة وشانها بل ينبغى ان تكون مملكتكم موجهة كل قوتها الى مساعدة مسراها وانتشارها على انه اذا كانت دولتكم قائمة بالابدان فتلك ثابتة بالارواح ومن المستحيل قيام البدن بدون الروح فمن الجهالة تغافل ذلك عن هذه واذا خامر افكاركم الميل الى محاربتها فلا يخطر لكم امكان الانتصار عليها بل يجب ان تعلموا انكم سترجعون القهقرى ناكصين على اعقاب الندم لان يد القدرة ممتدة دائما الى مساعدتها واغاثتها حتى لا يمكن لنفس أبواب سقر ان تقوى عليها وطالما اجتهدت ملوك قبلكم بدثارها واسقاطها ولم ينجح لهم اجتهاد وبمقدار ما كانت الاضطهادات ثائرة عليها كانت هى تزداد قوة وامتدادا الى ان استغرقت فى حضنها العالم وأخضعت كل ملوك الارض تحت موطئ قدميها وماذلك الا لكون العناية العلوية قد سلمتها زمام السياسة ورافقتها فى كل المسالك ولن تزال هكذا تنمو وتكثر وتشحن الارض الى ان تتم المشيئة ❊ فبعد أن استوفى الملك كلام الفيلسوف ووجده فى غاية الصواب أيقن ببطلان فكره وخطا اعتماده وعلم ان ما كان يبلغه البعض من أهالى مملكته ضد مملكة الروح هو ناشئ عن روح

التغرض

الا بغرض والتعرض وهكذا اعزم على تقديم الاعانة والاغاثة بدل المضاربة والمحاربة • وبعد فترة من الصمت التفت الى ملكة الحكمة وقال ان جميع كلام هذا الرجل صواب وليس فيه أدنى ارتياب وكل ما كنا نسمعه كان باطلا ولا حقيقة له واذا افترضنا عدم صحته وأشهرنا الحرب فلا نرجع الاخائبين وربما نقع فى خطر اضمحلال كل مملكتنا وسياستنا لان ما نساعده الروح لا يغلبه الجسد * فأجابت الملكة بتواضع لاشك فيما تكلم الفيلسوف ولا ريب أن الاعتماد السابق كان باطلا لان السياسة العلوية منتصرة دائما على السفلية وما يكون هابطا من الاعالى يسطو مطلقا على ما ينهض من الاسافل وما تفعله الصدف لا تغلب مفاعيل القصد * لعل سياستنا ودولتنا وجدتا على سبيل الصدفة والاتفاق اذا تتبعنا شجرة امتداد السياسة والتملك فى العالم من حيث الاصل انما نراها باسقة من جرثومة المصادفات والتقادير فالتفت الملك الى الفيلسوف وقال له ماذا تقول أنت * فأطرق الفيلسوف قليلا ثم أجاب لاشك فيما قالته حضرة ملكة الحكمة * هات فصل لنا ذلك * ان تفصيل هذا الامر يعسر جدا ولا يوجد نور واضح نستهدى به الى الحقيقة وانما يمكننى ان أورد على ذلك ما أتناوله من الاستقراء والاستنتاج التاريخى * لا بأس خذ راحة الجلوس وقل ما يخطر لك فامتثل الفيلسوف الامر وجلس وبعد اطراق قليل رفع رأسه وجعل يقول

* الفصل الرابع * السياسة والمملكة *

كما ان نظام هذه الكرة الارضية لا يمكن قيامه بمجرد حركتها اليومية على نفسها فقط بل يحتاج الى الحركة الشمسية حول فلكها أيضا هكذا الانسان بما أنه محمول على ظهر تلك الكرة وآخذ جميع مواده ومقوماته منها فهو تابع بجميع أطواره لاحوالها فلا يمكنه القيام بمجرد اقتصاره على ذاته فقط وذلك لعدم مقدرته على حفظ نظام حياته الشخصية بل

يحتاج الى الدوران حول مركز المجموع الانساني وكان القوة الجاذبة
التي تتبادلها جميع الاجرام السماوية لاتسمح بوقوع خلل في نظام الفلك
العام هكذا يحتاج ذلك المجموع الانساني الى قوة تحفظه من الوقوع
في الخلل والتبديد * واذا أخذنا نفتش على قوة مثل هذه فلا نراها
سوى في السياسة والشريعة على أنه بذلك يوجد الانسان محافظا على
التئام شمل جمعيته * أما ينبوع ظهور السياسة والسيادة والشرائع
فهو جار من تغلب الناس بعضهم على بعض منذ القديم وهو الامر الذي
أنتج التمالك والمملكات على وجه الارض * فلا سبيل لمن يرغب
الاطلاع على حقائق الحوادث البشرية وطرائق حدوثها الا في اطلاق
طيور التبحرات الدقيقة لتحوم بواسطة أجنحة البحث والاستقصاء على
شواجن التاريخ العام حيثما تشتبك شجر المواقع في منحدرات الاجيال
الغابرة وتهوي غدران الوقائع من شواهق القدمية العالية * فلا ريب
أنه اذا تطلبنا معرفة أصل انتماء وانقياد العالم البشري بعضه الى بعض
وكيفية انتشار السيادة والشريعة فيه انما يدعونا الامر الى التوغل في
أودية التواريخ الفسيحة وهناك تبرز لدينا عروسة غابة الحقائق من خباء
الازمنة السالفة مقدمة لنا بين أناملها زهرة المراد فنعلم حينئذ ان
الانسان لم يسد في أول أمره الا على عيلته ومتعلقاتها فقط ثم آلت به
حركات الظروف الى أن يسود ويسطو على قبيلة ثم أفضت به تلك
السيادة والسطوة الى التسلط على شعوب مختلفة وقبائل متنوعة حيثما
تودي به تعيش الملك * فهات بنا نهبط باقدام الاستقراء في أعماق
القدمية الغامضة حيثما قد ابتدأت تلك الحركات وأخذت بالصعود الى
قمة التمام الاقصى حتى اذا ما بلغنا سدرة التتبع مخترقين فلوات الادهار
المتراكمة نجد أنفسنا منتصبين على عرفات البداية اذ نشاهد الانسان
القديم يهرع الينا شاهرا حسام السيادة هكذا * انه لما كان النوع
البشري تائها في البراري وثقوب الارض لايجد له مقرا في بطون الاودية

التي كانت تهدده بانقضاض قمم الجبال الشامخة عليه ولا راحة
في فسحات القفر الذي كان يقذفه بثوران العواصف القاصفة ويلذعه
بلهبات الهجير المستعر بين أثافي الجنادل والآكام ولا مفرا من زوابع
الحوالي كانت ترشقه بحجراتها اذ ترسل بروقها الى أعينه فتخطفها
الدهشة وتطلق صواعقها في آذانه فيرتعد جزعا وتسكب أنواءها على
هامته فيخر ساجدا لديها طالبا رحمة كأنه يطلبها من اله يستحق العبادة
كانت الارض وقتئذ غير محروثة ولا مزروعة وعديمة كل فلاحة ومع
ذلك فقد كانت تزهو ببساطها السندسي الذي بسطته عليها يد الطبيعة
تحت مضارب السحاب منسوجا من كل شجر عظيم ونبات وسيم
فبينما كان أحد افراد هذا النوع العظيم مضطجعا على كثيب مرتفع في
فلاة قفرة الاديم تحت سماء وضيئة الاثير رائقة النسيم محفوفا بنسائه
وبنيه واذا بنسمة هبت عليه عند انتصاب عمود الصباح منطوية على
نفحات زهور متنوعة الاطياف وحاملة صراخات المواشي التي كانت
تسبح رب الفلق فأرشدت لحظاته الزائغة الى أفق شاسع يترعرع
الجلباب خضل الاخضرار ويترقرق تحت مساحب ذيول الغيام ومساقط
انداء الفجر فعندما بدا لديه ذلك المشهد الناضر وثب على قدميه في
الحال وصاح بلفيف عيلته المقرون وهو باسط يد الايماء قائلا أما
تنظرون ذلك الافق البعيد الذي يتبين لنا من خلال البروغ كيف هو
بهيج المنظر وحسن المظهر قوموا بنا نذهب اليه ونجسسه عله يكون
صالحا لاقامتنا فنخلص من هذه الارض المحلة وتعب تلك الحياة التائهة
ونتمتع برغيد العيش فما أتم كلامه الا ورأى أقدام جميع تبعته تهرول
امامه الى المحل المومى اليه * ولم يزل هذا المهاجر يطوي أديم الثرى
بلاد بارحل رفاقه آخذا هدير الحيوانات دليلا الى خصب المناخ حتى
انتهى به المسير أخيرا الى بقعة رحبة الارجاء فوقف للحين وليتوقف
وأطلق نظرات التأمل ليرى جليا ما كان يلحظه عن بعد خفيا واذا هو

منتصب فى غوط قد كسته العناية بوشاح الجمال العجيب وكللته الطبيعة بأنوار الفصل الرطيب فهنالك كانت الشمس تسبل أشعة ضحاها على طلعة ذلك الروض الازهر فيزدهي بألوان أجنحة الطاوس هنالك كانت الانداء تتراقص على ثغور الزهر الانور فتمثل تراقص الحبب فى أفواه الكؤس هنالك كان الجو الصافى يتعطر بأنفاس السحر فتهب نسماته ناشرة على الدنيا أطياب البشرى هنالك كانت عرائس الربيع ينثرن من رؤسهن لآلئ النور على حدائق الرياض ويرسلن نظراتهن الصاحية الى آفاق الارجاء الغبرا هنالك كانت رؤس أشجار الخمائل تحرق بنيران أنوار المشرق وأقدامها الثابتة تغرق فى مسيل الماء المتدفق وقدود أغصانها تترنح تحت عقود الزهور لدى خطرات الرياح وصفحات أوراقها تتلامع بطفحات النور تلامع الاسنة والصفاح هنالك كانت الاطيار تصدح باختلاف الالحان هنالك كانت المواشى تسرح متنوعة الابدان فلما شاهد هذا الانسان سموّ تلك البقعة الزاهرة وكيف ان الطبيعة قد توجتها بكللا كاليل الجمال وسكبت عليها مياه البهجة والازدهار التفت الى جمهور ذريته وقال هوذا مدبر العالم ومدبرنا قد أرشدنا الى مقر الراحة فى مكان خضرة حيث لا بكا ولا تنهد فهلموا لنمكث ههنا تحت هذه الافياء الممتدة بين الزهور والينابيع ونستريح مما قاسيناه من النصب والوصب فى تلك التربة الجدباء فأحنى كل منهم رأسه امتثالا وساروا جميعا تحت ايعاز اشارته الى حيث الحط فكان حلولهم تحت ظلال دوحة لا تلفحها الفحة الرمضاء ولا تخترقها أشعة البيضاء ولما استروح الكل ريح الارتياح وطفحت على شفاههم تبسمات الافراح جعلوا يتبادلون أحاديث البارحة ويتذكرون كل غادية ورائحة أمام بهم فقد كان شاخصا فى الافق حيثما كانت تتراقص بنات الصباح ذوات الاكاليل الذهبية امام ملكة المشرق الراكبة على عجلة نارية ومنذ هشا بعينا كانت الانوار ترسمه على وجه الطبيعة ذات

بالحلل السندسية وكأن لسان حاله يقول

وهذا الصباح بدا وبالانوار * طبعت وجوه الكون فى الابصار
والشمس قد نشرت بيارقها على * قمم الجبال أمام جيش نهار
وعلى عمود الصبح قد شاد الضحى * برج النهار مسلحا بالنار
والشرق أوتر قوس نور وانثنى * يرمى على الدنيا سهام شرار
وغدا يزج على الرياض أشعة * كالنار تحرق أرؤس الاشجار
والفجر مدّ على السحاب رداء السنا * فهوت درارى الأوج فى التيار
والليل مزق ثوبه حزنا على * فقد النجوم وغار فى الاغوار
مازال مدّ النور يدفع فى العلا * جزر الظلال كعاصف لغبار
حتى امتلا جوف الفضاء من الضيا * وزهت بذلك كافة الاقطار
والنهر أصبح بالسنا متموّجا * يجرى يرد الضوء للنظار
فترنم القمرى فوق غصونه * طربا وفاحت نسمة الاسحار
والنسر هب الى العلاء كأنه * يبغى المسير مع السحاب الجارى
ومن الغمام الشمس حين بدت حكت * وجه الحبيبة لاح تحت خمار

و ذ أفاق من غفلات هواجسه نظر الى أولاده ونسائه فرآهم جالسين حوله كغروس الزيتون وهم يتعاطون كؤس الحديث فأخذ يخاطبهم هكذا * ها ان معارض الصدف قد دفعتنا الى هذا المكان الفاخر فلنلبث به ولا نحد عنه وعلى ما أرى أنه لا يعوزنا شئ ههنا مما تحتاجه حياتنا فها أشجار تطرح علينا أفناءها وتنثر أثمارها وينابيع تدفق لنا مياهها ومواشى تسمح لنا بألبانها ولحومها واذا أرعد البرد فرائصنا وغرّقتنا الانواء نصنع من صوف هذه الحيوانات ثيابا تدفينا ومضارب تقينا فاشربوا هنيئا وكلوا مريئا فى جنات تجرى من تحتها الانهار حيث لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون * فلئن كان التاريخ يعجز عن تمزيق حجاب القدمية القصوى ليكشف لنا تفصيل ما أحدثه الزمان مع تلك العيلة هناك الا أنه مع ذلك قد ينهج لنا طريقا نسير به على قدم

الاستقراء الى حيث تقول * ان هذه العيلة قد اغتنمت لذة العيش في ذلك المحل الخصيب فتمكنت به آمنة وصارت تعيش بنتائج الارض وحواصل الحيوانات المنفردة هنالك وتسلك تحت ارشاد الكبير منها خلفا فخلفا ولم تزل مع تقدم الزمان تنمو وتتسع بانضمام آخرين اليها حتى صارت جمهورا غفيرا يجري تحت سياسة ذلك الكبير الذي كان يخترع شرائع وقوانين يلتزم باعتناقها كل من هذا الجمهور لدفع وقوع الخلل في نظام الجمعية وبناء على ذلك سموه أميرا * ولكون المواشي والانعام قد كثرت أيضا وتعاظمت هنالك لتواصل الداخلة وانقطاع الخارجة كما تطلب طبيعة حيوان الكلا حيث يوخذ الانسان لم تعد من ثم تلك البقعة كفؤ الاشباع الجميع بدون توجيه الاعتناء اليها فصارت القطعان تتشتت ولذلك بادر الناس الى فلاحة الارض وتهذيبها بعد ان تعلموا العملية الانباتية من نفس الطبيعة لانهم كانوا يراقبون كيفية هذه العملية من السنابل أو القصلات التي كانت تطرح الحبوب أو البزور في التراب بعد النضج فتندفن هنالك ثم تنهض نامية على شكل الاصل * ولتسهيل اجراء التقليد للطبيعة بالفلاحة شرعوا يستخلصون المعادن الصلبة من مدافنها ويعاملونها على النار الموقدة من حطب الغاب فيسكبونها آلات ويستخدمونها لحرث الارض وتحريك الاثقال آخذين الثيران أعوانا لهم * وعلى هذا النمط أخذوا يتمتعون مع مواشيهم بغلات الارض وأثمارها مضاعفة فصاروا يدفعون الاعشار لاميرهم أجرة لما كان يعانيه لاجلهم لانه كان يحمي برجاله مزارعهم وحقولهم ويمنع تعدي هذا على أمتعة ذاك مدافعا عن تخومهم هجوم المغتصب ساهرا على جميع أحوالهم السياسية بدون أدنى خلل في ترتيب الجمهور حاكما ما بينهم بالعدل قاضيا بالانصاف ناشرا على الجميع راية شريعة واحدة غير ملتفت الى الامتيازات الأدبية مالم يكن لاربابها نفع للصالح العام مجتهدا بكل امكانه في راحة شعبه

ورفاهيتهم عارفا أن من يأخذ أجرته يطالب بالعمل واذا لم يعمل يسقط من عين ذاته بحيث من لا يؤثر أن يعمل فلا يأكل عالما ان السياسة أو الرياسة اذا وقعت في غير محلها تطلب من الشعب انقيادها غير مأخوذ بخمرة حب الرياسة التي متى خامرت العقل منعت بأبخرتها الكثيفة نفوذ أشعة الصواب فيه متيقظا لكل واجباته صاحيا في كل أعماله ذا سلوك حسن مع الجميع محبا للغرباء قادرا على السياسة لا اسكيرا ولا ضرابا ولا طماعا وبعد مضي فترة من الزمان صار أولئك القوم ينحتون من الجبال حجارة ويشوون من التراب قرميدا ويوقدون من خشب الشجر نارا ✻ ولما رأى أولئك القوم ان هيئتهم الاجتماعية قد انطوت على كل شروط الامن والسلام وصارت حديقة حياتهم تزهو بأثمار الدعة والسكون تحت سياسة أميرهم واعتنائه أعلنوا جميعهم وجوب الطاعة والانقياد له دافعين قلوبهم الى محبته وصاروا يسمون ذواتهم عبيده ويحامون عن حقوقه وبيته بكل مقدرتهم وهو كان يضاعف اهتمامه بجميع صوالحهم العامة والخاصة غير مفتكر الا في دوام راحتهم ولا ملتفت الا الى وقايتهم من كل المزعجات مسميا اياهم شعبه وأولاده ✻ ولما كان لا يمكن لنظر الراوي ان يدرك جليا كيفية امتداد تلك السياسة على العالم ولا أن يستوضح حقيقة المسالك الذي نهجته لها الاقدار لما يعارضه هنالك من ظلمات الاحقاب والاعصار وجب عليه حينئذ أن يستخدم العقل كمصباح لكي يمكن لاعينه بواسطة أشعة الانتقالات الفكرية أن تنفذ في تلك الظلمات الدامسة فتفوز بمشاهدة ما وراء ذلك ✻ فهلم اذن يا أيها الراوي واتل علينا بقية ما جرى هنالك وأخبرنا عما عثرت عليه من المواقع بعد ان استطلعت العقل نيرا في أوج الغوامض ✻ انني بعد ان أولجت نظري طويلا في بحر زاخر من الظلام الهائل حيثما كانت أمواج التيه والمعاثر تتلاطم تحت مهب عواصف الايام والليالي أنفذته اخيرا من هذه اللجج العميقة

الى سهل فسيح الامد يعانق بباع نهايته أفق البداية واذا مرسح عظيم قد انفتح امامى واذ كنت عاجزا عن استجلاء الاشباح اللاعبة فيه تماما لشدة توغلهم فى عباب القدمية وضعت على أعينى نظارة الاستقراء وجعلت أتأمل * فرأيت جموعا عديدة من الناس قائمين بمهمات عظيمة ومقيمين ضوضاء حافلة وهم يصيحون بعضهم على بعض قائلين هلموا ابتنى لاميرنا برجا يبلغ رأسه الى السماء فكان البعض يقطع من الجبال حجارة والبعض يصنع طينا وآخرون يشوون لبنا وغيرهم يسردترابا ومابرحوا يحفلون بموسم البنيان حتى انتصب برج عظيم وصارت تخفق عليه راية أمير القبيلة * وهكذا شرع كل من الناس يبنى له بيتا ولمواشيه مذودا حتى قامت مدينة عظيمة المشاد يضج فى شوارعها أفواج وافرة من العباد * ولما صارت الاسواق تطن بمطارق معامل المعادن والشوارع ترن بأصوات الصنائع والاشغال والساحات ترتجف تحت أقدام المحافل والمعامع والمراسح تتموج لدى لطم أمواج الاصوات الاحتفالية الآتية من أفواه آلات الطرب صار يدوى فى آذان الشعوب المتفرقة صوت ذلك الضجيج المرتفع واللغط المادر فكانوا يتقاطرون أجواقا أجواقا ويحومون فى ظلال المدينة طالبين من سكانها أن يقبلوهم فى الجوار لكى يتخلصوا من مشاق البادية و يفوزوا براحة الحضر * وهكذا كانت تلك المدينة تقبلهم بكل اكرام على شرط ان يخضعوا لاحكامها وشرائعها و يؤدوا الاعشار لاميرها فلم تلبث أن تعاظمت جدا وتضاعفت مساحة وسكانا وصارت محاطة بأسوار رفيعة وحصون منيعة حتى أضحت مركز رهبة يدور عليه احترام القبائل وموضوع عظمة يحمل عليه حسد البشر * وبينما كانت هذه المدينة الزاهرة رافلة بأذيال اليمن والكرامة مختالة بسربال الهدوّ والسلامة تطفح فى حاناتها كاسات السرور وتشدو فى حدائقها بلابل الحبور واذا عجاج يثور عن بعيد ونقع غبار يتصاعد الى الجوّ حتى

عاد يظن ان زوبعة شديدة قد نهضت من جوف الثرى وهمت ان تكحل
عين السماء باثمد تراب الارض * وكانت أصوات كهدير هجيات المياه
تهب من تلك الجهة فصليل تمازجه قعقعة اللجم وصهيل تتخلله نقرات
حوافر الخيل وما كان الا كتردد الفكر بين شك ويقين حتى أسفر ذلك
الغبار عن جيش جرار يتموج على الصهوات ويفرى بطون الفلوات
فلما نظرت عينا الامير ذلك العجاج الثائر وسمعت أذناه تلك الاصوات
الضاجة لم يعد عنده ريب ان عدواً اسمع بجلال مدينته فدفعه لهيب
الحسد الى اشهار الحرب وايقاع الحصار * ولما ثبت عنده ذلك
الغضب المقبل أخذته ثورة الحمية ودارت فى رأسه حرارة الوطن ونادى فى
جميع المدينة معلناً صوت الحرب حينما صارت كافة الاهالى فريسة
ترتعد بين مخالب الجزع والهلع لما عاينوا ما لم يعاينوا فأوعز اليهم ان
يجتمعوا فى احدى الساحات الفسيحة رؤساء ومرؤسين رجالاً ونساء كباراً
وصغاراً أغنياء وفقراء بدون ادنى امتياز أو تمييز لكون الجميع يلزمهم ان
يحاموا عن حقوق الوطن ويقتسموا مطاليب محبته سوية لوجوب حقه
على كل من لا ينكر عليه حق التمتع بخيراته وعندما تم الاجتماع
وشملت النخوة كل الجموع وقف ذلك الامير على محل عال وانشأ يقول
هوذا الغرباء قد أحدقوا بنا فدونكم والطراد وها الاعداء قد هاجمونا
فعليكم بالجلاد انتم الاسود وهم الكلاب فواعجبا الكلاب يقتحم
الغاب هيا الى النزال هيا الى القتال أنزلوا بهم الحسام المسنون
وانظروا أى منقلب ينقلبون ولما فرغ الامير من مقاله برز رجل عليه
سيما الفصاحة والحماسة ورفع صوته فى وسط الجمع وجعل ينشد

﴿الحربية﴾

فيقوا من الغفلات يا اهل الوطن * ان العدو دنا وها نقع الفتن
حتام أنتم يا تراة روابض * هبوا فقد حام الغراب على الدمن
هجم العدو وها الغبار وأنتم * من ذا الغبار ستنسجون له كفن

لاتجهل الغربان في سعة الفلا * يوما اذا نهض العقاب الوكن من
نادا كم الوطن الذي قد ضمكم * في حضنه وسقاكم لبن المن
كروا على الاعداء كرالأسد يا * أسد الوفاء فهم ثعالبة الخون
فاصغوا الصوت أب لكم يرجوالحمى * منكم فهيا طاردوا عنه المحن
أو ما ترون الدمع منه لاجلكم * يهمي فقوموا انشفوا دمع الوطن
لا يحسن الموت الزءوم لدى امرئ * لكن فدى الاوطان موتكم حسن
فتقلدوا اعدد السلاح وبددوا * جيش العدى وخذوا امامكم الزمن

فافرغ من انشاده الحربية حتى صارت اعين القوم تنثر شرر نيران الحمية التي كانت تتوقد في القلوب فأخذ جميع الرجال يتراكضون الى الاسلحة افواجا وينفعون من ابواب الاسوار كاندفاع الصواعق من بطون السحب وهم يصرخون لاجبن الاوراء السور وكان الامير ساعيا امامهم كاحد الجنود اما النساء فكن يحافظن على الاولاد ويجهزن أدوات الحرب وهكذا اخذت الحرب تنتشب بين الجيوش فكانت اصوات المقاليع ترن بين الاودية والحجارة تترامى بين الصفوف وعمد الحديد تتساقط على الرؤس ولم يزل حتى صارت الصدور تتلاطم والايدي تتقاوم وكان الغبار يتصاعد من الارض كتصاعد الدخان من فم الاتون ومابرحت هذه الملحمة مشتبكة حتى اخذ جيش العدو يتقهقر الى الخلف ناكصا على الاعقاب وصارت جيوش المدينة تنادي خلفه بالغلبة والظفر ولم تلبث ان شتت شمل الاعداء ونثرت نظام صفوفهم واستأسرت اكثر اجنادهم فوقعت خشية الامير في قلوب سائر الاخصام وعمت هيبته على كافة الصقع وازدادت محبته في نفوس شعبه الخاص وصار الجميع يقدمون له الخراج ويقولون ليعش الملك ولتدم المملكة * وهكذا لم تزل هذه المملكة تنمو وتتسع وتمتد سلطانها الى الاباعد حتى صارت أخيرا واسعة السياسة قائمة الشرائع والروابط بحيث لم يمكن لاحد ان يعيش الاتحت ذلك النظام * فحينئذ

يظهر...

تظهر لنا مما تقدم انه قد كان ظهور السيادة والسياسة على هذا النمط في العالم القديم وعلى ذلك المنوال كان قيام الممالك فمن يعلم ان مملكة آثورا وفينيقيه لم يكن ظهورها وامتدادها على النسق المذكور ومن يعلم ان مكدونية التي ابتلعت تينك الامتين لم تكن هكذا ومعلوم ان رومية التي خفق نسرها على المسكونة قد كانت أكواخا* ولما فرغ الفيلسوف من مقالته هذه نظر اليه الملك نظرة المندهش وقال له * ولئن كان خطابك هذا مبنيا على نتائج الوساوس والظنون مفعما من احلام المخيلة وأوهام الفكر الا أنه مع ذلك لا يخلو من رائحة الصواب وسمة الحقيقة فلا بأس فيه وهكذا رمقته ملكة الحكمة بمقلة المرتضى واستصوبت خطابه وبعد وقوع السكوت في مرسح المطارحة برهة زهيدة وخلو الكلام من الموضوعات أخذ الملك يناجي الملكة بصوت سري * لم أعلم من موضوعه سوى الاهمية * واذ رأى الفيلسوف أن بواعث المناقشة صارت تحول بينه وبين الخواطر نهض مخليا لهما ساعة المناجاة وسار قاصدا جهة قائد جيش التمدن الذي كان يتخطر على مسافة ولما دنا منه وتلاطمت النظرات تبادلا مصافحة الاكف وسلما على بعضهما ثم جلسا معا على جذع شجرة عظيمة قد أضجعها الزمان * ولما مكن الفيلسوف نظره من القائد وجد عينيه متقدتين بلهيب الغضب ووجهه مبرقعا بسحابة الغيظ واثوابه مضمخة بالدماء علم ان هذه الظواهر ناجمة عن مواقع الحروب فأخذ تطيب خاطره بعبارات لطيفة ويبشره باقتطاف ثمرة مشروعه قائلا مالي أرى دخان الهيجاء يتصاعد الى الآن من منخريك يا أيها القائد الشجاع ولماذا يتناثر شرر السخط من عينيك ولم لم تلق عن وجهك لثام الكمود وأنت الظافر بالعدو والقاهر صفوف المردة والمنادي في مرسح الكفاح ها انا الغالب هل الغضب لا يرحل بعد حلول الانتقام وهل الانتقام لا يروى لدى فيضان نهر الانتصار وكيف لا يتبسم الانتصار عندما نظهر اكليل الغار رحب سعة صدرك فقد أنزلت بالاعداء نكبات

قوله اكواخا قال في القاموس الكوخ بالضم والكاخ بيت مسنم من قصب بلا كوة والجمع اكواخ ١٥

الضيق شد حقو يك بالقوة فقد ضعفت عزائم الاخصام انقذ أطوار
وجهك من أسر الغيظ فقد سقطت دولة العبودية كيف ترى الاسد
والفريسة ترتعد بين يديه كيف يعتكر البحر والرياح قد سكنتا
أمامه كيف يدلهم الصباح والليل يتمزق ازاء وجهه * نعم قد بذرت
الحروب ولكن حصدت السلامة نعم قد غرست القتال ولكن جنيت
الظفر نعم قد أمت العبودية ولكن أحييت الحرية نعم قد قيدت البربرية
ولكن أطلقت التمدن فاحكم بما شئت واقض ما أنت قاض * فأجابه
القائد متبسما وكانه دخل في خلق جديد ان دوام لوائح الغضب
والكآبة على وجهي الى الآن ليس مسببا عن تلك الحروب والمواقع
التي ملكتنا بها الغلبة والنصر والتي تستدعي ظهور لوائح الفرح
والابتهاج بل عن سبب مهم جدا * أجاب الفيلسوف وما هذا السبب *
هو اعتماد الحضرة الملوكية على ارجاع العصاة الى أوطانهم ومملكتهم *
نعم قد بلغني ذلك ولكن على شروط كثيرة منها ارفاقهم بجماعة من طرف
دولتكم كنظار على كل أحوالهم واحكامهم ومنها الزامهم باتباع شرائع
التمدن وقوانينه * ان أولئك القوم هم محتالون منافقون وليس لهم
ذمم ولا عهود تربطهم يقولون ما لا يفعلون وفي كل واد يهيمون
اما تعلم انه لا يوجد لجماعة الخشونة والبربرية ميثاق سوى الكذب
ولا شريعة غير الاحتيال والمكر ولا حكم عدا التعدي والظلم ولا حاكم
خلاف الرشوة ومن اصعب الامور اخضاعهم بدون تبديد شملهم
وهتكهم عن آخرهم * نعم كل ذلك هو أكيد ولا ريب فيه ولكن
متى شاعت بينهم شرائع التمدن وطفقوا يتعلمونها من نعومة اظفارهم
وقامت عليهم نظار ومساعدون من طرفكم لا يعودون لا يثنين على تلك
الخصال التي ذكرتها ويصيرون بعد قليل من الزمان طبق المراد *
نعم ربما يتم ذلك ولكن بعد ألف عام * ولماذا كل هذه المدة *
لانهم شعب مجموع من كل قبيلة وملة تحت السماء فكل حزب منهم

بغض الآخر ويجتهد في خرابه ودثاره بناء على ان المحبة لا تقوم في
اختلاف الاجناس. ومتى بطلت المحبة زال التمدن لانها الاساس
الاول له. ومتى زال التمدن تمزقت أحشاء الوطن وخفقت سناجق
العبودية فلا يمكن رفع كل هذه الصعوبات مالم يمر زمان طويل جدا
انه وائن كانت كل هذه المبادي صحيحة فقد لا يمتنع نهوض التمدن في
وسطها الان قوة انتشاره تغلب كل تلك الصعوبات كما جرى ذلك في
اقوام كثيرين مختلفي الاصل والفصل * اظن انه بدون قوة المعجزات
لا يقوم انتشار التمدن ما بين هذه القبائل واذا كان جرى ذلك ما بين
أقوام متعددين مختلفين أصلا وفصلا فهم قد كانوا متفقين ميلا ورأيا *
لا يجب عمل المعجزات هنا ولا الآيات * اذن بأي قوة ينتشر التمدن *
بقوة دعائمه المرتكزة على قلب الانسان طبعا قبل انحرافه الى الفساد
كم دعامة يوجد للتمدن * خمس دعائم * هل يمكنك تعديدها
لانني أفتكر انه يوجد أكثر من ذلك * نعم يوجد ولكن ينحصر الكل
في تلك الخمس * فاشرح اذن لي ذلك *

الفصل الخامس * التمدن

قال الفيلسوف * ان التمدن في اللغة الدخول في المدينة وفي
الاصطلاح ناموس يرشد الانسان الى تجويد أحواله الطبيعية والادبية
وهذا الناموس يبنى على خمس دعائم وهي أولا تهذيب السياسة
ثانيا تثقيف العقل ثالثا تحسين العادات والاخلاق رابعا اصلاح
المدينة خامسا المحبة

* الدعامة الاولى تهذيب السياسة *

انه لما كان نظام العالم الانساني لا يمكن قيامه محفوظا من كل خلل الا
بسياسته كانت هذه الشريعة تقتضي تمام الالتفات الى تهذيبها
وتحسينها لكونها محورا يدور عليه عالم كبير يستحق كل الالتفات الى
نظامه * ولا يوجد لهذا التهذيب أساس آخر سوى توطيد الحق

وتحسين الهيئة لانها المركز الاول الذي يتوقف عليه مدار السياسة
العامة ومتى طرأ على الاساس خلل ما لحق ذلك الخلل بكل ما بني
عليه * ولا يمكن استمرار ذلك الاساس وطيدا الا تحت جملة أحوال
وهي أولا حالة الشخص الذي يتعاطى السياسة فهو يجب ان يكون
رجلا من أصل كريم وموسر لانه متى كان هكذا يوجد ذا تربية حسنة
وصالحة فيكون ذا صفات حميدة وأخلاق راضية حسبما يستلزم حسن
التربية ويقتضي صلاح الاحكام ثم يجب ان يكون مرتاضا بالعلوم
الرياضية والادبية ومثقفا بمعرفة واجبات الشرائع والقوانين لانه
اذا كان جاهلا هذه الامور لا يكون قادرا على تتميم خدمته ويعود حينئذ
مضطرا الى الاسترشاد من الاجانب أو تحكيمهم وهم ربما يضللونه
أو يخونونه لاغراض ذاتية لهم فتصير كل احكامه عبثا ويقع في تتابع
اشمئزاز الجمهور ثم ينبغي ان يكون فطنا نبيها لانه اذا كان خاملا لا تجد
دقائق السياسة محلا في عقله فيضيع الحق وتضطرب الاحكام ويروح
المحقوق غالبا والمحق مغلوبا ثم يقتضي ان يكون عادلا لان العدل يثبت
الحكم ويوطده ويجعل الحاكم محبوبا من جميع الناس ممدوحا من
الاخيار مهابا ومخافا من الاشرار الذين لا لجام لجماح شرهم سوى هيبة
الحاكم وخلاف ذلك الظلم لكونه يهدم بناء السياسة ويعارض
اتجاهات الحق ويلقي المقت والكراهية في قلوب الشعب وينهج سبيلا
رحبا لهجوم العصاة وتمزيق الهيئة ثم يجب ان يكون قنوعا لان الطمع
نتيجة التولع بالمال وحيثما وجد الولع بالاموال يوجد الاختشاء
والارتشاد وهما الصفتان اللتان متى باشرتا قلب الحاكم أراغتاه عن
الحق وجعلتا بينه وبين الصالح العام حجابا كثيفا ثم يجب أن يكون ذا
أناة لان الاناة هي الآلة الوحيدة لاستقصاء الحقائق من صدور الدعاوى
بحيث يقوم العلاج أما العجلة فعليها تنافر الصواب ثم ينبغي ان لا يكون
سكيرا على أنه لا يوجد أعظم طارد للرشد والنباهة من مداناة الدن

ومخامرة الخمر فتى ذهب رشد الحاكم فسدت الحكومة وبطل الحق ثم من الواجب أن يكون شجاعا لان الشجاعة درع للرؤساء وردع للمرءوسين ولا عار أعظم من جبانة الرئيس لانها تبقيه عاجزا عن اقتحام صعوبات الرياسة وتصيره ريشة ترتجف لدى هبوب كل ريح ثم من الضرورة أن يكون غير ممازح لانه متى لازم المزاح سخرت به الناس واستهجنته وربما استقلت بعقله فلا يعود أحد يعتبر أحكامه مهما كان حازما * ولاشك ان وجود صفات كهذه فى الشخص الذى يتناول زمام الحكومة قد يستلزم وجود نتائجها ماين تبعته وحواشيه وهو الامر الذى له دخل كبير فى واجبات السياسة أما العكس فبالعكس وذلك كالمركز الذى تتوقف استقامة أقطاره على استقامة وضعه فبمقدار كونه مستقيما تستقيم وبمقدار كونه منحرفا تنحرف * ثانيا حالة الاستواء ان أعظم المقومات لصحة السياسة واقامة الحق هو مجرى شرائعها متساوية على كل أبنائها دون ادنى امتياز بين الاشخاص أو تفريق بين الاحوال فلا يجب الاخذ بيد الكبير ودفع الصغير ولا الالتفات الى الغنى والاعراض عن الفقير ولا موازرة القوى ومواراة الضعيف بل يجب معاملة الجميع على حد سواء كيلا يقع خلل فى نظام الحق لان كل فئة من الناس لها منزلة فى طريق السياسة تستدعى النظر اليها فكما أن العظماء والاغنياء هم القوة الواصلة كذلك الصغار والفقراء هم الآلة الموصلة فلولا يد الصغير لم يطل ساعد الكبير ولولا تعب ذوى الفاقة لم تسهل متاجر أرباب الغنى ولم تحرس أموالهم ولم تقم قصورهم العالية وسرادقهم المشيدة * لعل ذلك الغنى عندما يأتى من محل ملاهيه ومراسحه الى مسكنه الوسيع ويضطجع على فراشه المصنوع من ريش النعام وينظر الى رقوش حجرته ونقوشها لا يفكر فى ذلك المسكين الذى بعد أن يكد ويكدح طول النهار مقاسيا حر ضيقه ومتكبدا برد شتائه لاجل تشييد ذلك المسكن وتنميق تلك الحجرة يذهب الى كوخه الحقير ويأكل

خبزته اليابسة مع أولاده العراة الجائعين ثم يضجع على طراحته المتخرقة تحت لحاف الاعياء والوصب فهل كل هذا التباين لايكفيه حتى يرغب ايقاعه أيضا فى موقف الحق الذى يستوى عنده الجميع وهل يسوغ لارباب السياسة أن يقبلوا وقوع هذا التباين ويجحفوا بذلك المسكين الذى بدونه لاتصل قوتهم الى مواقعها أفلا يخافون من وثوب التسعة والتسعين وفرط عقد الجمعية * ولماذا يوجد حق لاصوات الاغنياء فترن فى قاعات السياسة ولا يوجد هذا الحق لاصوات بقية الشعب الذين هم الجانب الاكبر والاهم والذين بواسطتهم تقوم سطوة الممالك وقوات الملوك وعليهم يتوقف مدار السياسات * فلا شك ان لسان السياسة نفسه ينادي بوجوب حالة الاستواء ويصرخ ضد الضد * ثالثا حالة المطابقة * ان منزلة السياسة من الهيئة الاجتماعية هى كمنزلة الدم من الجسد فكما أن هذا السائل يقوم بتغذية الجسد وبدونه لاتثبت الحياة هكذا السياسة تقوم بعول تلك الهيئة وبدونها لايثبت النظام وكما أن الدم يجب أن يكون مطابقا فى مقداره ونسب اجزائه لما يحتاجه الجهاز العضوى بحيث اذا لم تحصل هذه المطابقة بزيادة أو نقصان لاتلبث الاعضاء على صحتها وتقع فى حالة الاضطراب الوظيفى هكذا ينبغى أن تكون السياسة مطابقة بقوانينها وشرائعها لما يقتضيه واقع الحال بدون زيادة ولا نقصان. ومتى عدمت تلك المطابقة زاغت الهيئة عن واجباتها واضطرب كل نظامها وكما أن السائل الدموى يستلزم التنقيص عند زيادته استدرا كالوقوع الامراض الالتهابية والزيادة عند نقصانه دفعا لنهوض العاهات الافتقارية هكذا يجب ان تعامل الاحكام السياسية فى محكوماتها حذرا من وقوع البلبال فلا يستعمل الصرامة والقساوة والجور والانتقام مكان الرفق والشفقة والحلم والاغضاء وبالعكس بل يجب توقيع كل فى محله مطابقا بحيث اذا زاد أو نقص يجب تعديله لاخلاله بالواجب

السياسي ولما كانت حوادث الهيئة الاجتماعية تختلف حرماً وموقعاً كان لكل منها شأن يستوجب حكماً يلائمه ويطابقه ولكل حكم قوانين تناسبه وتشاكله وهكذا تكون الاحكام وقوانينها مختلفة اختلاف الحوادث الجارية فمتى استعمل الواحد محل الآخر نشأ خلل عظيم في نظام السياسة يستدعي خلل الهيئة جميعها فلا يسوغ تنزيل واجبات الكبائر منزلة واجبات الصغائر ولا يجوز ايقاع الحوادث العظيمة موقع الحوادث الحقيرة بل يجب اعطاء كل حكمه ليستوفي كل حقه * وبما ان الاحكام والقوانين تعتبر كاجزاء تؤلف جسم الشريعة في عالم السياسة وجب ان يكون كل من هذه الاجزاء ثابتاً على نقطة وضعه وبناء على ذلك نرى أنه متى زاغ أحدها عن الوضع المعين له يقع حالاً في حركة الاضطراب ويستفز البقية الى مشاركته في تلك الحركة ولم يرجع الى سكونه ويسترجع ما لم ينقطع تأثير الفاعل بحيث إذا دام متواصلاً ينهدم بناء ذلك الجسم وتتشتت شمل أجزائه حسبما يتم في الاجسام الزمانية * ثم ولا يستعمل الحرب مكان السلامة ولا السلامة مكان الحرب لان الواحد يبدد والآخر يجمع ومتى نزل أحدهما منزلة الآخر تزعزعت أساسات الهيئة * رابعاً حالة الصالح العام * ان أهم دواعي السياسة وأعظم بواعثها هو النظر الدائم الى الصالح العام وتواصل السهر عليه بحيث مهما أتقنت السياسة نظامها وأحكمته ولم تلتفت الى هذا الصالح أو تغافلت عنه فلا تعتبر الا كساعد على نثر عقد الهيئة الاجتماعية الذي لا يمكن دوامه منظوماً ما لم تكن الملاحظة السياسية عاصمة له إذ ان اهمال ما يسبب العمار هو تسبيب لوقوع الخراب وهذه الملاحظة تنحصر جميعها في توقيع ما يؤول نفعه الى العامة اجمالاً وافراداً ودفع ما يفضي الى الضرر * وذلك يستريح على خمسة أركان وهي تمهيد سبل العلوم وتسهيل طرائق التجارة وتقوية وتنشيط الصنائع والاشغال ومساعدة الزراعة والفلاحة وقطع أسباب

التعدى * اما الركن الاول الذى يناط بتمهيد سبل العلوم فهو يتضمن المساعدة على تقييد المدارس وتسهيل الدخول فيها لاجل كل من رغب وترقية الناجحين بالدراسة على قدر الاستحقاق * وأما الركن الثانى الذى يلاحظ تسهيل طرائق التجارة فهو يتوقف أولا على تقريب ابعاد الاسفار بواسطة اصلاح الطرقات ثانيا على ازالة مخاوف ومعاثر الطريق وايقاع الامان والسهولة ثالثا على وضع حدود ونظامات تجرى على كل أرباب هذه الحرفة بحيث لا يمكن أحدا تجاوزها رابعا وهو الاخير على منع كل الصعوبات التى يمكنها صدم تقدم التجارة وابطال كل عائق لسيرها * والركن الثالث الذى يخص تقوية وسائط الصنائع والاشغال فهو يتأسس أولا على اثارة همم ذوى الاختراعات بتعظيم جوائزهم ورفع شأنهم وتثبيت ما به يمكنهم اقتطاف ثمرات أتعابهم ثانيا على توسيع دوائر الادوات الصناعية وتضييق مساحة التلف والمصاريف ثالثا على رفع كل ما يوقف الخطوات عن الهجوم الى معاناة الاشغال أخيرا على المساعدة فى تكثير المعامل وتسهيل مجراها * واما الركن الرابع الذى يتعلق بمساعدة الزراعة والفلاحة فهو يقوم برفع الجور عن الفلاح وفتح الطريق للزارع وتعجيل خطوات الحصاد ومنع حشر العشار واحتشاد الخزان وبملاشاة كل موانع البدار وتسديد جميع مطالب الارض * وأما الركن الخامس الذى يشمل رفع أسباب التعدى فهو يستوى على ثلاث قضايا فقط وهى حماية المتاع وصيانة الاعتبار ووقاية الارواح

* الدعامة الثانية تثقيف العقل *

انه اذا فحص الجوهر الانسانى من حيث فطرته الاولى وأصله الطبيعى انما يشاهد لامعا بكل الصفات الساذجة والخصال البسيطة حسبما يتبين ذلك من كل انسان يتربى منفردا عن ازدحامات عالم المخالطة * ولما كان يعلم لطافة هذا الجوهر وشدة احتياجه الى وقاية نفسه سيما فعالا

لقبوله

لقبوله التأثر بكل صورة تلوح له والتخلق بكل سمة يحافظ بها على ذاته كان انضمامه في سلك الجمعية اذ ذاك موجبا الانطباع صور الحوادث الاجتماعية والوقائع الادبية على ستائر قلبه وتطبعه بأخلاق وطباع بها يمكنه أن يعارك و يزاحم أمواج العالم البشري و يعيش تحت لواء حوادثه * غيران كثرة تقلبات الاحوال والاجيال تأدت به الى أن يفقد كل اطوار تلك الفطرة الاولى و يصير من أشر المخلوقات وأوحشها ومن ثم لم يعد الانسان قادرا على الدخول في دائرة التمدن الذي يطلب سذاجة الصفات وسلامة الطباع الا اذا كان متزينا بتثقيف العقل الذي يعتبر كآلة عظيمة بها يمكن لكل من البشر أن يسترجع الى طبيعته ما أفقدها التوحش * ولا يتم هذا التثقيف الا بالتروض في العلوم والفنون ودراسة المعارف الطبيعية والادبية ومن المعلوم ان العلم يخلق في الانسان قلبا نقيا وروحا مستقيمة ويجعله ظافرا بكل الصفات الصافية ونافرا عن كل ما يشين الجوهر الانساني ولا يترك له سبيلا الى التفكر في الامور الدنية والاميال المنحرفة وهو الامر الذي تشتق منه كل أفعال الشر وعليه تبنى كل دعائم التوحش * فكيف يفكر الانسان مثلا في دناءة السلوك عندما يكون الفلك طائرا به الى أعالي الاجرام السماوية حيثما يرى ألوف ألوف وربوات ربوات من النجوم التي هي شموس هائلة الجم وكل منها جالس على عرش الفضاء ثابت في مركزه وتدور حوله كواكب سيارة مختلفة الابعاد والاشكال وجميع ذلك له من السمو والعظمة ما يخبر بعظم أعمال الله وكيف يأخذ بذهنه المثل بالقريب بينما تكون الطبيعة هاتكة له أسرارها ومبدية لديه غوامضها فاذا نظر الى الارض يراها تدعوه الى تمييز تراكيب طبقاتها وتعديد مفردات عناصرها ومعرفة نسبة كل من موادها الى غيره واذا تأمل في الحيوان يراه باسطا أنواعه لدى حكمه وطالبا منه فصل كل عن الآخر واذا لحظ النباتات يراها كأنها تدعوه الى معاينة عجائب نوعها وماهية

جوهرها وكيفية تغذيتها وعملية انتاجها وتأثير خاصياتها وكأنها تكلفه احصاء كل من أنواعها وتحديده تكليفا فوق وسعه * وكيف يرتضي بعمل المنكرات حينما تكون الكيمياء مقدمة له مشكلاتها وطارحة عليه مسائل غوامضها فما ينتهي من معرفة صفات عنصر منها وادراك نسبة اتحاده بغيره وكيفية قوامه الا ويبرز لديه عنصر آخر ويدعوه الى تفنيده فيذهب خابطا في عباب المشكلات حينما يقابله مولد الحوامض بايقاده وانارته ويطارحه مولد الماء برشاقته ولهيبه ويناقشه حامل الانوار بلمعانه واضاءته ويدهشه الذهب بثباته وثقله وتذهله الفضة بوضاءتها ونقاوتها ويلطمه الحديد بكثافته وصدئه ويحيره الزئبق بفرازه ونفاره * وكيف يسمح لأمياله أن تسرح في عالم الشرور والمعاصي حينما تكون الجغرافية سارحة به على ظهر هذه الكرة الارضية المملوءة من عجائب الخليقة وغرائب الحوادث فتارة تطير به الى قمم الجبال العالية فيرى ما بها من الاودية العميقة والسلاسل المستطيلة والينابيع الجارية فيفكر فيما سبب المرتفعات وما أحدث المنخفضات وما جمع المياه وأحيانا تمر به على السهول الواسعة والبحار الشاسعة والانهار المتدفقة فيقف متفكرا فيما جدد اليابسة وجمع السوائل الى مكان واحد وأوقاتا تسيح به في الاقاليم والاقطار فيستوقفه اختلاف العرض والطول في ميدان التأمل لتباين المناخات والاهوية وطورا ترحل به الى بلاد لا عد لها وأماكن لا تحصى وجميعها تختلف باختلاف المواقع والوقائع فيقف متحيرا بما تحويه الارض من الامم والقبائل المختلفة بالمذاهب والمشارب والهيئات ومندهشا لما برز من أحوال البلدان والسياسات والشرائع * وممعنا فيما يعاينه من الصنائع المتنوعة الاشكال والتجارات المتشكلة الاحوال وهكذا يطوف به هذا العلم الى أقاصي العالم بدون أن يترك له سبيلا للجولان في عالم المنام ثم وهو جالس على وسادته غير مبارح صديقا ولا مفارق حبيبا

وكيف لا يبدل الاعمال الرديئة بالصالحة عندما يكشف له التاريخ
حجب الاجيال الغابرة ويطلعه على كثيرين من البشر الذين كانت أعمالهم
سببا لاحوالهم ان رديئة فرديئة أو صالحة فصالحة ويظهر له كثير من
الناس الذين بواسطة سمو أفعالهم قد بلغوا أسمى المراتب وأعلى المنازل
وكم وكم من الناس الذين بواسطة دناءة أفعالهم قد هبطوا الى الحضيض
الا بل يظهر له ان كثيرا من الممالك العظيمة القوة والراسخة الاركان قد
أفضت بها قبائح السلوك الى الاضمحلال والتلاشي وكثيرا من الولايات
الصغيرة قد آلت بها قوة الاطوار الحميدة الى الاتساع والامتداد ورفعتها
الى سماء المجد والكرامة وخاصة يظهر له ان أفعال الخشونة والتوحش
ليس كانت تبدد الممالك وتستأصل الملوك فقط بل كانت أيضا تشتت
العباد وتهدم البلاد مهما كانت حصينة وغنية * أفلا يشعر بحركة
غامضة في اعماق قلبه تدعوه الى احتقار العظمات الانسانية والفخفخات
الكاذبة الخالية وتجذبه الى الاتصاف بالصفات السليمة والتخلق
بالاخلاق الحميدة وذلك حينما تمتطي تأملاته السرية خيول التاريخ
وتجري في برية سوريا مثلا حينما يشاهد أن عظمة ذلك الاقليم القديم
العهد والكريم التربة والاصل قد استحالت بفعل الاجيال الخشنة الى
دمار مهول حيث لا يرى سوى خرابات تلقي الكآبة على الابصار وعدد
قليل من الشعوب المفتقرة بدل تلك العظمات السابقة والمجد الزاهر
والغنى الوافر أفلا يطرق تأسفا اذ يرى صور مدينة الفينيقيين التي كانت
مركز تجارة العالم ومحط رحال الآمال قد صارت نسيا منسيا ولم يبق فيها
سوى شباك الصيادين أفلا يرتعد لدى سطوة الحدثان حينما يرى
أورشليم مدينة داود ومحل عظمة سليمان قد أضحت قرية لا يذكر منها
سوى المحلات التي لم يحفظها سوى يد القداسة أفلا يضطرب مخافة من
بوائق الزمان عندما يرى انطاكية مدينة الله العظمى ذات الاسوار
العالية والحصون المنيعة قد أضحت رمة مضجعة في قبر الوبال أفلا

قوله الفخفخات أي المفاخرات بالباطل اه قاموس

يرتجف لدى هيئة الايام اذ يرى مدينة تدمر التي كانت مبنية بالصفائح والعمد قد صارت أطلالا دارسة ورسوما بالية حتى لا يشاهد فيها سوى عواميدها باطلة وعضايد ساقطة وهما كل مهدومة أفلا يحس كربا اذ يعاين أن منبج ذات الصيت الرنان قد غدت كالسمك الذي لا صوت له أفلا يقف متحيرا عند ما يصعد على رأس سمعان و يرى أن جميع ما كان يحويه من المدن العظيمة والقرى الخصبة والمزارع الناضرة والاديرة العامرة والكنائس الرحبة قد صار خرابا تاما ودمارا لا مزيد عليه بحيث لم يبق سوى بعض رسوم وأشكال و بعد هذا فلا تسحقه صواعق الاشمئزاز عند ما يتأكد أن جميع هذا الخراب هو نتيجة الجهل والتوحش فبالاجمال نقول ان العلم هو الفاعل الاعظم لتثقيف العقل والمروض الاكبر لجماح الطباع والسبب الاهم لتشييد التمدن والعمار اذ هو يرفع افكار الانسان الى الحقائق السامية فلا تعود اذن على مستحقرات الاشياء و يرسم في مرآة ذهنه صور الكائنات الدقيقة فلا يعود ها ذيا بخزعبلات الامور فتنطفئ من قلبه توقدات الحسد بنظره الى زوال المحسودات و يطرد من صدره ضوائط الطمع بادراكه حقيقة المطموعات وتتلاشى من روحه بقية الاطوار المنتجة رجسة الخراب كالقساوة التي غرقت مراكب مصر والالتطاخ الذي هدم قصور أثور والتغفل الذي كسف شمس فارس والطمع الذي كسر صولجان مكدونيه والضغينة التي مزقت أحشاء فلسطين والكبرياء التي ثلت عرش الروم والخيانة التي قلبت ممالك الرومانيين والبغض الذي شتت شمل لبنان وزعزع أركان دمشق ثم تنمو به الصفات الداعية الى جلالة العمار كالشجاعة والنباهة والمحبة والاتضاع والدعة والاحسان والوفاء والامنية اذ يعود خبيرا بغوائل تلك الاطوار الطالحة وعليما بنتائج هذه الصفات الصالحة ❊ فبدون تثقيف العقل اذن لا يعد الانسان الامع البهائم التي لا عقل لها ولا يمكن ان يدعى

متمدنا فقط

﴿الدعامة الثالثة تحسين العوائد والاخلاق﴾

ان النظر الى عوائد البشر وأخلاقهم يعتبر كاعظم دليل على حالة تمدنهم ومقامه فكلما كانت هذه العوائد والاخلاق جيدة كان تمدن أربابها جيدا وعاليا وكلما كانت قبيحة كان قبيحا ودنيأ ولذلك يجب على الشعب الداخل في دائرة التمدن ان يبذل الاعتناء كثيرا في تحسين عاداته وأخلاقه كيلا يكون تمدنه من باب الدعوى لا الحقيقة كما يشاهد ذلك في كثير من الامم ولما كانت العوائد والاخلاق تارة تعتبر في الخصوص وأخرى في العموم وجب أن يكون كلامنا عليها خاصا وعاما *

أوّلا الخاص ان المراد هنا هو النظر الى تحسين العادات والاخلاق الشخصية أي التي تخص الشخص المفرد وهي اما طبيعية أو أدبية فالطبيعية تدعى ملكات والادبية عادات وجمعتها ترجع الى التطبع لانه الاصل لجميع هذا الباب ولذلك يجب ان يكون المدار عليه فنقول ان الانسان حينما يولد على الارض يكون خاليا من جميع العوائد والاخلاق جيدة كانت أو رديئة ولا يوجد فيه شئ سوى الاستعداد الى التطبع فاذا كان استعداده جيدا مال الى قبول الجيد واذا كان رديئا مال الى قبول الرديء فلا يوجد لتحسين العادات والاخلاق الشخصية أهم من اخضاع الاستعداد الانساني منذ نعومة الاظفار الى التطبع بالطبائع الحسنة والتخلق بالاخلاق الجيدة على أنه في هذه المدة من الحياة تكون الطبيعة شديدة الخضوع لقبول التأثيرات والانفعالات فلذلك كل عادة وجدت في الحداثة ولم تستدرك طبعت أثرها على الفطرة وكانت ملكة عند الكبر لا تسمح باستئصالها الا بعد مشاق التعب الزائد وهكذا كل خلق ومتى حصل الانتقال الى سن البلوغ فصاعدا صار التطبع صعبا جدا على الطبيعة ولا يعود للملكة سلطان عليها بل تصير خاضعة لغلبة العادة التي ليس لازالتها صعوبة

اما كيفية ذلك الاخضاع للاستعداد الانسانى فهى تتم بامالة الاميال عن التطبعات بالعوائد والاخلاق المنكرة والحاقها بالمقبولة ولا يمكن التسليم بكون الشخص متمدنا ما دامت عوائده واخلاقه غير موافقة لما يقتضيه التمدن من التعود والتخلق * فلا يتفق التمدن مع ملكة السكر لان ذلك يطلب تقوية أفعال العقل بتصحيح التصورات واصلاح الحكم وتنشيط التذكر وهذه تقتضى اضعاف الافعال العقلية بايقاع الخمول وافساد الاحكام والقاء الهذيان * ذلك يستلزم حسن الصفات كالانانسة واللطافة وعزة النفس وهذه تستدعى قبح الاوصاف كالتوحش والكثافة والدناءة * ذلك يطلب الالتفات الى الاعمال والاشغال والنشاط وهذه تطلب البطالة والتوانى والكسل * ذلك يستميل الى المحافظة على الصحة ورفع أسباب الامراض وهذه تطرد كل قانون صحى وتفتح سبيلا عظيما لنهوض كل مرض عضال كالحدار والتيبس وسوء الهضم والاستحالات الآلية ونحو ذلك * ولا يتفق التمدن مع عادة النهم لان ذلك يطلب الاقتصار على كفاية الطبيعة طبق انسانيتها وهذه تطلب تحميلها فوق طاقتها فتكسبها الاخلاق البهيمية * ذلك يطلب الترتيب فى المعيشة حذرا من نوب الاحتياج وهذه تقتضى كثرة الانهماك فتكون داعية الى الحاجة * ولا يتفق التمدن مع ملكة الفجور لان ذلك يستلزم الطهارة والعفة وهذه تستوجب الدنس والشهوة * ذلك يلتمس الدعة والتعقل وهذه تبغى الشراسة والحمق ذلك يطلب الاستحياء والادب وهذه تقتضى الوقاحة والعهارة ولا يتفق التمدن مع خلق الكذب لان ذلك يطلب الاستقامة والحقيقة وهذا يقتضى الاعوجاج والتزوير * ذلك يستلزم الامانة والثقة وهذا يستدعى الخيانة والنكث * ذلك يدعو الى النصيحة والتحريض وهذا يستميل الى الخديعة والغش * ذلك يجعل الانسان مكرما محبوبا وهذا يصيره مهانا مبغوضا * ذلك ينهج بصاحبه طرق السعادة والغنى وهذا

يطرحه في وهاد النحس والفقر * ولا يتفق التمدن مع عادة النميمة
لان ذلك ينادي بقبح الكشف عن الاعمال السرية للبشر وهذه تصرخ
باعلانها لدى الآفاق * ذلك يسدل ستارة الخفاء على كل النقائص
والعيوب وهذه مهتمة بخرق كل ستارة * ذلك يفتح صدر الانسان لدخول
الاسرار فيه وهذه تغلقه وتجعل صاحبها مجتنبا من جميع الناس وممقوتا
ولا يتفق التمدن مع خلق الغضب لان ذلك يطلب الهدو والتأني في
الامور وهذا يطلب الضوضاء والعجلة * ذلك يطلب ارضاء الناس
واستمالتهم وهذا يستلزم اسخاطهم وتنفيرهم * ذلك يقتضي البشاشة
والطلاقة وهذا ينتج الوجوم والقنوط * ذلك يجذب بركات الجماعة الى
وجه صاحبه وهذا يسبب اللعنات * ولا يتفق التمدن مع الجبن لان
ذلك يطلب الثبات والصبر على الاهوال والمصايب وهذا يطلب
التقلقل لدى كل حادثة * ذلك يقتضي الاقدام على تشتيت المخاوف
والمزعجات وهذا يقتضي الفرار من كل شئ * ذلك يستوجب استصغار
المستكبرات وهذا يقتضي استكبار المستصغرات * فجميع هذه
العادات والاخلاق الشخصية وأشباهها مما لم يذكر لا يمكن اتفاقها مع
قوانين التمدن ولذلك يجب استئصالها من الناس وتربيتهم على
اضدادها ولو أدى الامر الى صعوبة قصوى وبهذا يقوم التحسين المطلوب
هنا في الكلام الخاص * ثانيا العام * ان كرور أزمنة الجهالة
على بعض البشر وتقلبات الظروف فيما بينهم قد أحدثت فيهم كثيرا من
العوائد والاخلاق التي تنكر عليهم اذا دخلوا في نظام التمدن ولذلك
يجب أن يجتهدوا كثيرا في ازالتها ويستبدلوها بما يناسب روح العصر
فلا يعتبر أولئك المدعون بالتمدن اذا كانت بيوتهم مشحونة بالإثاث
النفيس كالفضة والنحاس وأنواع الزخرف والاقمشة ولم يوجد فيها كتاب
ومناومة ولا أدنى آلة للعلم لكنما اعتبارهم يقوم اذا كانوا يعلمون أن
زينة العقل تفوق زينة المسكن وان هذه نتيجة الاجيال المظلمة التي كانت

قوله الوجوم أي العبوس كما في القاموس اهـ

تنطبق على الفخفخات والعظمات الفارغة وتلك نتيجة الجهل المتنوّر
الذى لا يقبل ما لا نفع فيه * ولا تعتد بهؤلاء المتظاهرين بالتمدن
اذا كانت رؤس نسائهم تتشعشع بأنوار الاحجار الكريمة ذات الثمن
الوافر والعديمة الثمرة ولم يكن فى تلك الرؤس أدنى شعاع للعقل والآداب
بل تعتد بهم اذا رفعوا جميع تلك الظواهر الخيالية وأبقوها للنفقة على
تعليم نسائهم وتهذيبهن كما أنهم لا يعتبرون أصلا مهما ضيقوا أثوابهم
وأطالوا اخيزراناتهم وهرولوا مسرعين اذا لم يوسعوا أفكارهم ويقيدوا
جماح أميالهم المخزقة * ولا اعتبار لاولئك الذين ينفقون المبالغ
الوافرة على تجهيز المآدب الفاخرة والولائم الحافلة فى أيام المواسم
والاعياد ولا يدفعون فلسا واحدا للعمل الخير لكنهم يعتبرون اذا
جعلوا ذلك الانفاق مخصوصا للاعمال الخيرية وعلموا ان عظمات المآدب
والولائم انما كانت معتبرة فى هياكل الوثنيين عند تقديم الضحايا للآلهتهم
يوم الموسم أو العيد * ولا يعتد مع المتمدنين أولئك الذين يتسابقون
مسرعين الى منازل بعضهم فى الايام الموسومة عندهم بالرسمية خابطين
تحت شمس الصيف وغباره وخائضين فى أمطار الشتاء وأوحاله ولا
يوجه أحد منهم خطوة واحدة الى فعل الجميل واذا وجد منهم من يقصد
ذلك الفعل سد الآخرون طريقه بحجارة الملامة كما يرجمونه بها لو تأخر
فى مسابقتهم الى قضاء تلك الرسوم الباطلة * ولا يقبل التمدن من
تثور فى اعراسهم صياحات زغاريت النساء وصراخات حوقات الرجال
خصوصا حينما يكون صدوح آلات الطرب داعيا الى الهدو والسكوت
فهم يجمعون بين المتضادات اذ يتركون الآذان مصدوعة ومرتاحة معا
فلا يشتمون رائحة التمدن ما داموا معتنقين هذه العادة الخشنة * ولا
ينخرط فى سلك المتمدنين كل أولئك الذين متى دخلت المنية بيت
أحدهم نهضت ضوضاء الولاول وطارت صراخاتها الذريعة الى قبة
السماء بحيث تقشعر الابدان انفعالا منها وتستولى الكمود والانزعاج

على كل سامعيها ولكن قد يضمون الى عقد التمدن بشرط أن يبطلوا هذه العادة القبيحة و يعلموا أنها موروثة من أزمنة عرب الجاهلية الذين كانوا يكافون الطبيعة الانسانية في هذا الامر ما تستعمله بعض الحيوانات و يتحققوا أن انسانيتهم تكون ساقطة سقوطا حقيقيا حتى أنها لم ترث من أولئك القبائل سوى تلك العادة المستقبحة وتركت كل ملائحهم الجليلة مثل الكرم والنخوة والحماسة وحماية الجار وقبول الضيف وهلم جرا * وهكذا لا يدعون متمدنين كل الذين يجعلون الحزن شريعة ظالمة الى حد أنها لا تسمح قط لمن يدخل تحت لوائها ان يستعمل أدنى شيء من لوازم الطبيعة الا بعد بضع سنين . فلا يمكنه أن يخفف عنه حرارة الصيف بلبس الثياب البيض ولو أفضى ذلك الى الاضرار بصحته ولا يقدر على تنقية جسمه من الاوساخ وتنشيط وظيفة التبخير في ذهابه الى الحمام ولو افترس القمل جلده وأهلكه الاستسقاء ولا يستطيع الخروج الى البستان لاجل استنشاق الهواء النظيف ولو تسرطن جميع دمه ولا يؤذن له بسماع آلات الطرب أو أصوات الغناء ولو أوقعته الاكدار في داء المراق ولا يسوغ له ان يصنع في بيته شيئا من المأكولات الطيبة عند احساسه بقبولها حذرا من قول الناس عنه انه قليل الحس ولكنهم قد يحسبون من أرباب التمدن متى علموا ان الحزن شريعة تطلب عكس ما ينسبون اليها وأنه انفعال كلما حدث في النفس لا يكف عن استنهاض ضده ايقاعا لرد الفعل وكلما كان وقوع الفعل شديدا وسريعا كان رده شديدا وسريعا

وهيهات أن يحسبوا متمدنين كل أولئك الذين يشرعون اذلال النساء وتحقيرهن واهانتهن وزجرهن أيضا بناء على ان هذا الجنس ساقط ولا يستحق ادنى اعتبار مع ان الامر على خلاف ما يظنونه فان الجنس النسائي جوهر لطيف للغاية وأهل لكل كرامة ويستحق كل الالتفات اليه . والطبيعة نفسها تدعو الى اكرامه ومداراته اذ أنه الجزء

الاهم فى الانسانية والمساعد العظيم لقيام الجنس البشرى واليَنبوع الاول لتغذية الحياة ومواساتها فى زمن قصورها ✻ ولا يحسب متمدناً ذلك الرجل الذى يزعم ان الافراط فى معاشرة النساء ومخالطتهن من واجبات التمدن غير عالم ان كثرة التهافت على المرأة تجعل الرجل ذليلاً لديها وكلما ترنفسا ارتفع عندها مقاما ✻ ولا تحلو سيما التمدن على أولئك الذين عندما يتكلمون أو يتخاصمون يفغرون أفواههم ويرفعون أصواتهم الى درجة تمزيق أوتار حناجرهم حتى يكادوا يشاركون الجمل بجعجعته والثور بجعجمته والحمار بنهيقه مع ان غاية التمدن هى نزع كل سمة بهيمية عن الانسان ولا تحسن ثياب التمدن على كل أولئك الذين ينزلون الخرافات منزلة الحقائق وينذرون بها على الآفاق غير عالمين انه لا يوجد شئ يدنس تلك الثياب النقية ويلطخها نظير اعتناق الاكاذيب والاباطيل واشاعتها فهم تارة ينسبون الى بعض الحيوانات خاصيات لو أمكن وجودها لكان الانسان خليقا بها وذلك كنباح الكلب دلالة على حدوث مصيبة ونعق البوم اشارة الى وقوع خراب وهرب الطيور علامة على قدوم وباء وتارة يتهمون الافلاك بما تفعله الظروف والاقدار اذ ينسبون اليها كل الحوادث التى تتم على الارض عموما وخصوصا فيعطون الحرب للمريخ والسعد للمشترى والنحس لزحل والذكاء لعطارد وخفة الروح للزهرة والصفاء للقمر وطبخ المعادن للشمس هذا عدا أمور لا تعد ولا تحصى ينسبونها الى كل من هذه الاجرام التى تقسم بذواتها انها لا تعرفهم ولم تطرح عليهم قط لا حربا ولا سلامة ولا سعدا ولا نحسا ولا غير ذلك فضلا عما ينسبونه الى العين من التأثيرات والى الاحلام من التفسيرات ✻ فلا يمكن لاحد أن يحسن عوائده وأخلاقه التمدنية الا اذا رفع من فكره الاعتقاد بمثل هذه الاكاذيب عالما انها واصلة اليه من خرافات اليونانيين الذين كانت عباداتهم ورسومهم تسمح لهم أن يعتقدوا بمثل هذه الاضاليل وبالاجمال

نقول انه يوجد شوارد شتى مما يقتضيه مقام هذا الكلام العام قد عدلنا
عن جمعها حبا في الاختصار الا انا نختم سياقنا هذا باقائلين * انه
لا يمكن للتمدن ان يقبل في نظامه ادنى عادة قبيحة أو خلق ردىء ولا
يقدر أحد على الدخول تحت ألويته ما لم يحسن عاداته واخلاقه

(الدعامة الرابعة صحة المدينة)

ان أول شئ يستدل به على تمدن أمة ما أو توحشها هو النظر الى حالة
مدينتها فكلما كانت المدينة صحيحة كان التمدن صحيحا وكلما كانت
سقيمة كان سقيما * اما كيفية هذه الصحة المدنية فهى تقوم تحت
جملة أحوال وأخصها ثلاث * أولا النظافة * انه لا مناص للمتمدنين
من بذل مزيد الاجتهاد والاعتناء بتنظيف اسواقهم ومنازلهم تسديدا
لطلب الطبيعة نفسها لان المراد من ذلك ليس نوال الغاية الادبية
وحدها بل مع الغاية الطبيعية أيضا وهى اراحة الطبيعة الحيوية مما
يقلق نظامها ويزعج وظائفها ولا يوجد خطب أشد تأثيرا على هذه
الطبيعة من دخول المواد الغريبة عنها اليها لاسيما اذا كانت مفسودة
فكما ان بعض الجواهر المعدنية لغرابة تركيبه يزعزع أركان البناء
العضوى للجهاز الحيوانى ويسلب مجموع حياته متى دخل اليه
كذا تفعل الانبعاثات الفاسدة بالاوخام والاقذار عندما يحملها
الهواء ويدفعها الى عضو التنفس حيثما يتناولها الدم ويمر بها الى مواقع
التغذية * فكم تقاسى الطبيعة من الاضطرابات المرضية المميتة وكم
تلتمس الانقاذ بلسان حال الانزعاج الوظائفى عندما تمازجها هذه المواد
الغريبة فهى السبب الاعظم لتهييج الحميات الخبيثة كانواع التيفوس
والتيفوئد كما انها سبب قوى لتمهيد طرق الوافدات الوبائية المهلكة
كانواع الطاعون والهواء الهندى * وبالاجمال نقول ان الغاية
الوحيدة للطبيعة هى قبول ما يناسبها لقيام حياتها ودفع ما يستنزل
عليها صاعقة الموت بمغايرته لها ولو كان صادرا عن ذات فعلها الا ترى

كيف أنها تجتهد في طرد التراكيب الصديدية التابعة لالتهاب ما عضوي الى الخارج بواسطة النفث أو الغائط والاستطراق من المركز الانفعالي الى بعض جهات المحيط البدني حتى اذا لم يمكنها تتميم هذه العملية ودخل الصديد الفاسد الى التيار الدموي ألتى عليها رعدة الاضطراب بافساد جميع كتلة الدم وأماتها بعد نزاع شديد * فاذا كانت الطبيعة لاتقبل ما يغرب عنها ولو كان آخذا صدوره من ذات اجزائها لعدم نفعه لها فكيف تقبل ما يكون غريبا وأجنبيا معا * ومن حيث ان الاقذار والاوساخ لها أشد الأفعال السمية كما سبق فلا يسوغ والحالة هذه تغافل أرباب التمدن عن ملاشاتها و يجب الاعتناء الوافر بحفظ النظافة العامة للاسواق والشوارع والخاصة للبيوت والمساكن فرارا من تلك التأثيرات الرديئة ومراعاة لحق المدنية ولاشك اذا نظرنا الى العمل البديهي الذي تصنعه الحيوانات بتنظيف ذواتها نأخذه دليلا على ضرر القذارة ووجوب النظافة ومثالا يقتدي به كل متغافل اذ أن الحيوان لا يفعل الا ما ترشده الطبيعة اليه طلبا لما يصلح شأنها ودفعا لما يفجع بها * ثانيا تمهيد الشوارع والازقة * انه مما يستدل به أيضا على الحالة التمدنية لقوم ما هو ملاحظة كيفية الشوارع والازقة فمن أهم الواجبات للداخلين في التمدن اذن افراغ الهمة في تحسين هذه الكيفية واتقانها على انه لا يسمح لهم التمدن قط بترك الشوارع والازقة ضنكة معوجة رديئة التبليط والتخطيط بل يطلب منهم دائما أن تكون مستقيمة عريضة ممهدة البلاط والخط وذلك لان الشارع أو الزقاق اذا كان ضنكا يمنع سهولة تجدد الهواء و يعوق امتداد النور الى مخادع الناس أو حوانيتهم فيجعلهم مستعدين للآفات اللمفاوية والدرنية كالسرطان والخنازير والسل والاورام البارزة والجدار وأكمداد البشرة ونحو ذلك . واذا كان معوجا فانه يعسر انطلاق خطوات الناس فتتعثر أرجلهم وتتلاطم صدورهم

وتتقارع جباههم وحينئذ يكون السير في الزقاق عسرا كالا انتقالا واذا كان وعرا غير مستوفانه يصدع اقدام الماشين و يسبب سقطات البهائم تحت احمالها الثقيلة فتتهشم حوافرها وتتكسر أرساغها وذلك ينافي ماتطلبه الشفقة على البهائم التى لانطق لها لتشكو مصابها وتندب عذابها هذا ما خلا المؤيدات التى يجدها الشتاء هنالك لان يصنع بحيرات من الاوحال والاطيان بحيث يعود الناس ملتزمين لقوارب يخوضون بها ولا يبقى سبيل لسلوك العميان * ثالثا ترميم الابنية * ومما يتخذ دليلا على تمدن المدينة أو خشونتها هو ملاحظة أمر أبنيتها ولذلك يقتضى لقاصدى التمدن وفور الاهتمام في اصلاح شأن الابنية والمشيدات وهذا يتوقف على فحصها كل مدة لاستعلام حالة متانتها وثباتها فرارا من حدوث الاخطار لانه متى ترك البناء حسرا لعبور السنين بدون ملاحظة أمره أحدثت فيه طولة الزمان تقلقلا ووهنا فيعود خطر هبوطه قريبا وخصوصا في أيام الشتاء عندما يصبح عرضة لصدم الرياح واندفاق الامطار فان سقوطه اذ ذاك يكون عظيما * ولما كان تعرض الناس الى اقتبال هذا الخطر كثيرا وجب على جميعهم تواصل التدقيق على حالة الابنية من الداخل والخارج لكى يتنعوا بذلك أخطارا عظيمة تتهددهم على ممر الدقائق ويدخلوا الى منازلهم بسلام آمنين

* الدعامة الخامسة المحبة *

هوذا رنين صوت الكون العالى يدوى في أعماق العالم العقلى ليستفز سكون الارواح الفكرية الى التطاير بأجنحة التخيلات السرية على روح الوجود العام حيثما يمكنها اختطاف تصورات تدعو القوة الحاكمة الى أن تحكم بان الناموس الذى جعلته حكمة العناية ضابطا لمجموع نظام الخليقة هو المحبة نفسها التى يختلف اسمها باختلاف موقعها * فها هى هذه المحبة قد صعدت على منبر ذلك النظام العظيم وشرعت تنادى بصوت الغوامض هكذا * اسمعى أيتها السماء فأتكلم وأنصتى أيتها

الارض أنا التي قد جمعت شمل الذرات الاولية فكانت اجراما تتلامع في قبة السماء فلماذا دعيت التصاقا أنا التي قد أوثقت هذه الاجرام برباط الانضمام فكانت افلاكا تدور حول بعضها فلماذا سميت تجاذبا أنا التي قد ألفت بين العناصر المختلفة فكانت مملكات تزهو بجمال الارتباط فلماذا لقبت تماسكا أنا التي قد فتحت في اجناس الحيوان مسالك الميل الى ان تحافظ على أنواعها فلماذا دعيت تناسلا أنا التي قد جمعت اشتات البشر الى هيئة واحدة فكانوا متعاضدين في حروب الحوادث فلماذا اتهمت اغتصابا أنا التي قد قفلت مصارع البحر وأخمدت كبرياء لججه فلماذا أدعى جزرا ومدا أنا التي حيثما نزلت عمرت وحيثما رحلت خربت فلماذا لا يكترث بأمري أنا التي لا تغتني الطبيعة عني ولو طاوعتني فلتات الاقدار فلماذا ينكرني البعض أنا التي قد اتخذني التمدن دعامة قوية له وبدوني لا يثبت له بناء فهل يهدمني الاكل متوحش * ها قد عظمت دعوى المحبة وتفاقت الى الغاية لانها قد جعلت لنفسها ربط العالم بأسره وجعلت جميع الاسماء المستعملة في التعبير عن القوة المؤلفة مترادفة على معناها حتى كأنها تود أن تشرح بذاتها معنى تلك المحبة الجوهرية التي قد أنشاها البارى بذاته أزليا وأصدرها كلمة لتدبير الاكوان التي بها كانت وبغيرها لم يكن شيء مما كون * مهلا مهلا فلا عاد يقدر هذا الكلام على اتمام سيره فقد جاوزت الاستطراق اليه اشواط المنتقدين وها غبار أغراضهم بدا يتصاعد عن بعد وكل منهم فاغر أتون فاه ليقذف دخان التفنيد فالبعض يعبسون وجوههم ويقولون هوذا يستنتج من هذا الوهية حركة الموجودات وآخرون يرفعون أنوفهم ويقولون ها ها انما يستفاد من هذا الكلام كون الكلمة مترجحة ماديا في عموم الموجودات وغيرهم يحملقون بأعينهم ويصيحون هذا تعليم الماديين نفسه وهذا فضلا عن سبيسبط عشنونه ويقول كيف يسوغ لمن لم يسلم على عتبة مدرسة أن

يتكلم عن اللاهوتيات بشئ لم يسعه ادراكه وعلى أي قاعدة أثبت حكم القوة الفاعلة للقوة المنفعلة وضعضع الروحيات بالماديات ثم يشهر المدرسية سيوف الشتائم مجردة من اغماد شهادات مزورة ولكن ليأخذ حذره من انتقام الشبل عن الاسد * أما لسان الصواب فيقول لذوي الدقة في التأمل هكذا ان المراد من دعوى المحبة العامة ليس ان تكون هي نفس الذات الالهية منبثة في جزئيات الخليقة بل انها هي القوة التي جعلها الله لتحريك الخلائق وتدبير الكائنات تحت اشكال مختلفة تدعى الناموس العام واذ ذاك فيكون المراد هو الاشارة الى ان الانسان اذا كان يحب نفسه فهو ملزوم تبعا لهذه المحبة ان يحب شبيهه بالانسانية تسديد الحق كماله الطبيعي وذلك اقتداء بخالقه الذي عندما رأى ذاته ملء الكمال أحب ذاته و بمحبته هذه خلق العالم محبوبا منه و جعل يدبر هيئة نظامه بمالم تدركه افكار الطبيعيين فاعطوا الكل حركة اسماها * فينتج اذن أنه بالمحبة قد قام العالم جميعه و بالمحبة تتحرك جميع الاشياء و بالمحبة يثبت كل من المخلوقات على حدته و بالمحبة يحافظ الكل على اجزائه وهكذا فبدون المحبة بين البشر المطبوعين على فطرة الله لا يمكن قيام نظامهم الاجتماعي على الوجه المطلوب اذ أن المحبة هي القوة الوحيدة للتأليف بين افرادهم المتفرقة على وجه الارض والضابط الاول لنظام عالم تمدنهم بخلاف البغض الذي ينزل منزلة القوة الدافعة بين الاجسام فيبعدهم عن بعضهم و يشتت شمل هيئتهم و يسلبهم راحة الحياة المحبوبة لهم بالفطرة الاصلية * فلا يخطئ من يسمي المحبة الهة الهيئة الاجتماعية بناء على ما يصدر عنها من المفاعيل الغريبة والتأثيرات العجيبة بين البشر فلو أقيم لها وثن في هيكل الذهن لكان على شكل غادة كلها جميلة وليس فيها معاب اذ تجمع من الصفات ما يتقرر في هذه الابيات

على وجهها نور الصلاح يلوح * ومن ثغرها عطر الفلاح يروح

وبرق الهدى من لحظها متألق * ومبسمها بالطيبات يفوح
وفي خدها ورد المسرة يجتلى * لنا وبه قطر الهناء صريح
وقدها يهتز عن طرب كذا * على غصنه طير السلام صدوح
رعى الله قلبا فيه قد صاح صوتها * وقاتل قلبا فيه ليس تصيح
هي الاصل في الاكوان فهي مثابة * لكل قلوب العالمين تريح
بها تحسن الدنيا بها انفضل الورى * بها كل شيء صالح ومليح
لدى وجهها تجثو القبائل كلها * وكل سجود لا يعاب صحيح
بها كافة الاجيال غنت وقد أتى * لها من جميع المنذرين مديح
هي الكوكب السيار في فلك الدنا * به السعد يغدو والنحوس تروح

فلا يسمح التمدن بالدخول تحت لوائه لاحد ما لم ينصب في هيكل قلبه تمثال المحبة مقدما له بخور الافكار الطيبة والعواطف الجيدة وصارخا لسان الروح هكذا * ههنا يجلس التمدن على عرش الكمال فتتخرق امامه بيارق الخشونة ويمزق التوحش ثوبه هنا تخطب بلابل السكون على منابر شجر السلامة فيصمت صياح القلق ويخفى الاضطراب صوته هنا ترن صنوج الافراح وتضرب طبول البشائر فتخرس صراخات الاكدار ويتلاشى دوي المصائب هنا يشرق صباح الاغضاء ويتلامع شعاع التغاضي فيغور ديجور الضغينة وتنجاب الظلمة عن الحق هنا يتبدد دخان الانتقام ويتقشع ضباب الغضب فيتضح أثير الصفح ويتلألأ ضوء الرضا هنا تنفطر صخور القساوة وتمور جبال الجفاء فيجري سلسبيل الشفقة وتتهدم سهول الوفاء هنا يفتر ثغر الابتسام ويضحك محيا الندى فيجهم جبين الاكتئاب ويبكي وجه القتار هنا يفرع غرس التمني هنا يثمر غصن الرجاء هنا تدور الهيئة على مركز التمام والكمال هنا ينثل عرش العبودية وترفع الحرية بيارقها * فاذا كان يوجد للمحبة أثمار طيبة الخبر وشهية المنظر كهذه الثمرات كيف لا تحسب اذا دعامة راسخة للتمدن. نعم ان التمدن لا يستغنى عن هذه الدعامة أصلا ولا

يمكن

يمكن ثباته بدونها كما لا يمكن وقوف قناطر الهيئة الا عليها وبعد ذلك فلا بد من وجود حد للمحبة لا تتجاوزه لئلا تجانس ضدها في النتائج القبيحة على أنه ولو كانت المحبة تحسب روح الانتظام البشري وحياته لكن يوجد للافراط فيها كثير من النتائج المضرة وذلك كمعارضة السلامة مثلا لمشروعات الحرب حينما تكون هذه المشروعات واجبة لاصلاح حالة ما أدبية وكالمعاملة بالشفقة اذ تكون الصرامة واجبة وكايقاع الاغضاء والصفح موقع الانتقام الذي ربما يوجد لازما للتعليم وكالاسفار عن الرضا بينما تكون لوائح الغضب مطلوبة للتهديد هذا عدا ما ينتج عن افراط المحبة الخصوصية في قلب شخص خصوصي لمحبوب ما فانه وان كان أصلا تتفرع عنه جملة غصون صالحة لتمدن صاحبه كتلطيف الروح وتهذيب الطبع وترفيع العقل والذوق وحسن المعاشرة الا أنه اذا بلغ أشده يترك وراءه جملة آفات تنكد عيش المعتري به وتسلبه كل راحته كقهر الحرية الذاتية مثلا والاضطرار الى البطالة واهانة الدراهم التي يدعوها البعض اله العيشة وتسليم النفس الى تأثير تواتر الانفعالات الشاقة وتعاقبها كالحزن فالفرح والخوف فالجراءة والتعب فالراحة وهذا ما خلا التأثيرات الكثيرة التي تفترسه على ممر الأوقات فلا يبرح قلبه في حضرة المعشوق هدفا لنبال العيون وموقدا لجمرات الخدود وموقعا لرمح القوام وقدرا لغليان ماء الحيا ولا تزال روحه في الغيبة أتونا لارتفاع لهيب الاشواق والاتواق ومحلا لتناثر شرر الافكار والتصورات وميدانا لمسابقة خيول الاميال والعواطف فيحيي الليل سهرا وأرقا ويقضي النهار تعبا وقلقا اذ يرى ذاته ضاربا في أودية الوحدة والانفراد حينما يشاهد قلبه طائرا على أجنحة شياطين الوساوس والاوهام خائضا في بحور الآمال والمطامع وهكذا يرى العالم باسره كانه مرسح للغرام وخيال للكائنات جميعها تصور لديه ملعب الهوى وتتنفس بامارات وخواطره فتنطق الشمس ممثلة لديه أشعة جمال الحبيب ويحسب

القمر رسم وجهه مطبوعا في مرآة الفلك ويخال الاهلة قلامات من ظفره ويزعم الكواكب أعينا ترشق نظرات الرقيب ويفترض الجبال منطوية على معنى أثقال الجوى أو يظنها أوتاد التمكين خيمة السماء على عالم الهوى ويرى السحاب سارقا دموعه والضباب ممثلا ولوعه لا بل يرى طوفان نوح كعبرته ونار الخليل كزفرته ويتخذ الريح رسولا لتبليغ الأشواق ويرى الماء مقلدا له أنين العشاق ويعاين الاغصان مترنحة بأعطاف المحبوب والاطيار شاكية لوعة فراقه والازهار نافحة بعطر نفشاته والغزلان تغزل بنظراته وتقلد طلاسم لفتاته ونفراته وهاك هذا القصيد شرحا للعشق العنيد

ماذا ترى في العشق ماذا تزعم * يا أيها الصب الكئيب المغرم

هل فيه غير المؤلمات فدونه * مقل تسيل وأكبد تتضرم

اني نفقت العمر في سوق الهوى * بخسا ولم أربح سوى ما يؤلم

كم ليلة قضيتها وظبا الجوى * تدمي الحشى فيسيل من عيني الدم

وكأن صوت خفوق قلبي مزعج * صمت الظلام فيدلهم ويدهم

أصبو إلى برق الربوع اذا بدا * وأضج مالمعت لدى الانجم

أبكي لدى خطرات كل تذكر * والافق يعبس والكواكب تبسم

والليل بحر هاج في عمق السما * فغدا به زبد المجرة يفحم

والشرق يلقي الشهب في جوف الدجى * والغرب يبتلع الجميع ويهضم

وأنا أحير كأنني ضب وفي * دوح الحشى طير الهوى يترنم

في كل جارحة تدب صبابة * وبكل عضو للغرام بدا فم

يا أيها الحب الذي تخفى لدى * أصواته كل الحواس وتبكم

كم راح يخبط فيك يا وادي البكا * قلب وكم سحقت بسيلك أعظم

ما أنت الا دولة غزت الورى * وبظلمها كل امرئ يتظلم

أي السعادة في الغرام لربه * وسحابة البلوى عليه تغيم

البابة مسلوبة ودموعه * مسكوبة وفؤاده متكلم

أبروق رب الحب نقطة لذة * وعليه بحر الظلمات عرمرم
أني أرى وقت النعيم كخلب * يمضي وأوقات الشتاء تخيم
ياويح من للحب عرّض نفسه * جهلا فسوف يذوب فيه ويعدم
سلني أيا باغي الهوى أخبرك عن * أحواله فأنا به متقدم
أني علقت بذات حسن ما بدت * الا وعنها البدر راح يترجم
تجود اذا انضت اللثام بدا لنا * قمر وليل ذوائب متلثم
قد كلمت أحشاي بالمقل التي * فيها الجمال مسلم ومكلم
مقل لعيني نرجس أو أكؤس * لكن لقلبي أسيف او أسهم
من وجهها نور الحياة لأعيني * يجلى ونار فنا لقلبي تضرم
لم ألق نفسي مفردا أو مصحبا * الا وشوقي نحوها مستلزم
شوق يمثلها لطرفي كلما * غابت فينعم حيثما لا ينعم
فهي النسيم تطيب كيف سرت ولا * عين ترى خطراتها اذ تقدم
ماذا على عيني فؤادي قد جنى * حتى تعاقبه عقابا يعظم
طبعت عليه خيال غالية النهى * فأحاطه لهب ودمع يسجم
فأنا بروح الحب مسكون فلم * للنار والماء رحت أسلم
من لي بها غيداء فوق جبينها * نور المحاسن والتعقل يرسم
وبسيف صاعقة الهوى ألحاظها * قامت تحاربني فاني أسلم
أنا لست أنعم في الحياة ولا أرى * حظا سوى معها ففيها أنعم
وكذاك لا أهنا بكل تكلم * ان لم أكن معها بها أتكلم
فاذا نأت عني اعود على لظى * وأروح في خرس وعقلي يعقم
أترقب الطرقات على التلقي * معها وان لم التلاقي أبكم
ترنو الي كذاك أرنو نحوها * والوجد في نظراتنا متبسم
ونصافح الايدي وألسنة الهوى * تروي أحاديث اللقا وتترجم
تمضي فارقب خطوها ونواظري * تجثو لدى أقدامها اذ تقدم
وأعود في كبد تذوب ومقلة * عبرى وما عندي لسان أوفم

أقضي الدجى وأنا أحن الى غد * وكذا يجيء غدو عمري يصرم
يا أيها الغد كم غليت دمي على * نار الرجا والى متى أتنعم
ولكم أحاطت بي تباريح الجوى * وغدا يساعدها القضاء المبرم
فهرعت نحو الروض معدوم القوى * أبكي وأفواه الازاهر تبسم
أترقب البلوى وقلبي راقب * عددا من الآمال لا يترقم
قلب به استهوى الهوى عنقا الى * وادى العنا فغدا يهيم ويلطم
وهاك هذه الابيات الاخر تبيانا لما ينجم عن الهوى وما يعانيه أخوا الجوى

الا م ذوات الخدر يجذبن آمالي * وحتا م أهوى من تدافع آمالي
عيون المهى بالله كفى فلم تذر * لكن بقلبي موقعا ربة الخال
و يا ظبيات الانس نفرا عن الذي * يحب التي من حبه قلبها خالي
صريع باد بارالتي هدرت دمي * فلا حظ لي منك كن قط باقبال
مهفهفة تدنو الغصون لقدها * و يعنو لسامي وجهها القمر العالي
ولما تلاقينا معا بعد هجعة * من البين أورت في الحشى كل تشعال
لبثنا وكل مطرق دهشة اللقا * وصوت خفوق القلب مستنطق البال
وما بيننا الاشواق تلعب في الخفا * وتعرب عن حال الهوى ألسن الحال
تودّ التقاء العين بالعين شوقنا * ويمنعه دمع لأعيننا مالي
فوا عجبا من عاشق رغب اللقا * ومذ ناله لم يغتنم غير بلبال
ولكنني لما تنهدت حسرة * وحاولت اطلاقي لتيار أقوالي
تحرك في أحشائها ساكن الولا * فألقت على نظرة تنعش البالي
وقالت بصوت أرجفته يد الهوى * ولفظ كدر زان مبسمها الحالي
لك الله من صب حوى الصبر كله * فليتك لي أبقيت وزنة مثقال
فليس يليق الصبر الا بمغرم * الى غير ما يهواه ليس بميال
أقلت الهوى عند السوى فلك المنا * ولو مضني فاقصد بسطك يا قالي
فقلت يمين الله لم أذكر السوى * وحسبك تبريا شواهد أفعالي

أنا لست ممن ينشئ الهجر والقلى * ولكنما أنت المقبلة ايصالى
غزوت جميع العقل منى والقوى * فلم يبق لى نطق لأشرح أحوالى
فقد سكتت دون الهوى ألسن النهى * كما حط عن ادراكه الركن العالى
أراك فيعرونى جمود وبهتة * ولا عجب فالسحر فى وجهك العالى
على عدد الانفاس ذكرك فى فمى * وشخصك فى قلبى وعهدك فى بالى
أبات الليالى والشؤون سواكب * على ما أقاسى من شجون وأهوال
على فرط أتواقى على عظم لوعتى * على طول أشواقى على سوء اقبالى
كذا يحكم العشق الظلوم بأهله * ويفتنهم فليحذر الرجل الخالى
فينبغى استعمال المحبة اذا على قدر الواجب وحسب الظروف التى تدعو اليها بدون زيادة ولا نقصان أما ترى كيف أن الرئتين اللتين هما عضوا التنفس لا يتنشقان من الهواء الذى به تقوم الحياة الا ما يكفى لقيام هذه الحياة وما لا يؤثر عليهما ضررا بحيث لو عرضنا أجمعهما اليه لقتلت بهما وبكل الاعضاء عموما فلمنع هذا الفتك الشديد تحفظتا منه ضمن حجاب متين وأخذتا تقتسكان به رويدا رويدا * فهكذا كل انسان يجب عليه اعتناق المحبة عامة وخاصة وتحريكها حسب الاقتضاء بدون تسليم ذاته لجميع قواتها حذرا من فتكها به وتمزيقها جلباب راحته وبذلك تقوم هذه الدعامة الخامسة للتمدن أو السلك الذى به تنضم فرائد البشر بعضهم الى بعض * وبعد أن ختم الفيلسوف مقالته هذه أثبت عينيه فى الارض قليلا كأنه يقصد اراحة فيه من كثرة التكلم وجعل يخط فى الثرى ثم نظر الى القائد الذى كانت سحنته مرآة ترتسم عليها علامات صغيه وارتياح نفسه وقال له هالك دعائم التمدن فاذا كان الانسان قد خلق كاملا فى الانسانية متخلقا بصفات خلقته ومشبها بكمالاته لا يكون عندنا شك اذ ذاك فى كون هذه الدعائم مرتكزة فى قلبه حاملة اسم الناموس الطبيعى حسب تعليم الايتيكا (الفلسفة الادبية) ولا يعود لنا ريب بكون تقلبات الظروف وكرور الازمان قد قلقلت تلك الدعامات

وأفسدت ذلك الناموس وبناء عليه لايكون عسرا تثبيت قلقلة الثابت واصلاح فساد الصالح ولا يحتاج هذا الامر الى مضى أجيال وقرون فتنحنح القائد ونظر الى الفيلسوف بدعة وقال له * ان جميع ما شرحته عن التمدن وكيفية أصوله وواجباته أعلمه جيدا وطالما أتعبت ذاتي في نشره بين الآفاق ورفع رايته ومع ذلك أشكر فضلك على توضيحك اياه لى ولكننى لا أزال أرى انتشاره بين شعوب مملكة العبودية عسرا وشاقا الى الغاية ولو كانت دعائمه مرتكزة على قلب الانسان الطبيعي ومن المعلوم أن الفساد اذا أخذ سعته في محل ما ومكن ذاته خاصة تحت مجرى سنين كثيرة فلا يعد اصلاحه الاضربا من العبث كيف تنصلح الخمر اذا صارت خلا كيف يحيا العضو اذا تغنغر (أى أصابته الميتوتة) كيف يرجع الحديد اذا صار صدأ

ان الخمر تنصلح باقتلاع الاستحالة الخلية منها بواسطة شيء من القلويات ويحيا العضو المتغنغر بارسال المنبهات والمنقيات اليه كاملاح النوشادر والكلس ويرجع الحديد بتصعيد العنصر الهوائى منه وبينما كان الفيلسوف يحاور القائد على قواعد فن الكيمياء لمح من بعد جمهور يتسرب الى جهة المحفل النورانى وهو يتشكل بكتلته ويسرع تارة ويبطئ أخرى حسب أهواء عوارض التضجر وكان يأتى منه صوت صليل حديد ولم يزل متقربا حتى نفذ في المرسح الملوكى واستقبل بوجهه طفحات الأشعة وهناك توقف عن التقرب وعندما أجلت فيه طرفى وجدته مركبا من تسعة أشخاص مقيدين من أرجلهم بسلسلة حديد وزنجيين يجرانها من كل جهة وجملة أشخاص لم أعلم شأنهم ونظرت رجلا يتقدم الجميع وهو يعجل بخطواته ويستعجل

ثم رأيت هذا المتقدم قد انفرد عن الجمهور وسار يطلب جهة العرشين واذ وصل جثا على ركبتيه خطفا ثم نهض وحناها متمسه بوقار ويداه مضمومتان على جنبيه فامعنت النظر فيه واذا هو وزير محبة السلام

واذ رآه الملك قال له هؤلاء جمهور المردة فأمال الوزير رأسه وأجاب بصوت منتصر نعم * حل وثاقهم واجعلهم أمامي صفا فنكص الوزير الى الوراء ثم التفت للزنجيين وأشار اليهما بحل الوثاق ففعلا وبينما كان الصف يتركب والاشخاص اللاحقون يعدون الى الخلف انحدر القائد والفيلسوف وجلسا حذاء عرش الملكة

* الفصل السادس قواد الشر *

أما أنا فرأيت المحل الذي أشغله لم يعد مناسبا لحق المعاينة والاستماع لكون انظاري لا يعود أن يمكنها الاحاطة بجميع الاشباح وآذاني صارت تعجز عن ايفاء حق السمع لما استجد من الضوضاء فتركت هذا المحل وأطلقت خطوات التجسس حتى بلغت الجمهور المحتفل وانخرطت في سلك الاشخاص اللاحقين من حيث لم يشعروا بقدومي فرأيت الجوق الذي كان موثقا بالاداهم قد صار صفا منتظما ازاء العرش بين والقائد والفيلسوف لم يزالا جالسين حذاء الملكة يخاطبانها بحديث لم أسمعه ووزير محبة السلام واقفا بجانب العرش الملوكي وتلوح على وجهه سحنة التفكر العميق والملك مرسلا نظراته لفحص الجمهور وعلى وجهه تتلاعب أطوار الغضب وما لبث السكوت برهة أن التفتت اليه الملكة وقالت له بصوت احتفالي * قد استصوب الفيلسوف والقائد ما تناجينا به منذ هنية في أمر كيفية محاكمة هؤلاء الاسرى فليذهب القائد اذن وليحضر الاشخاص الذين عيناهم الى المرسح فما أتم الملك كلامه الا ورأيت القائد قد وثب وثوب الجواد وطلب موقف الاجناد * واذ اسدل السكوت ستاره ونشر الهدو شراعه أخذت أتأمل الصف المأسور وأنتقد كلا منه وأنا ملتطم بين موجتي التعجب والارتياع وواقع في بحراني التكذيب والتصديق فكان الشخص الذي هو مقدام الجوق رجلا حليف الشيخوخة قد امتصت الايام ماء وجهه المصفوع بكفي الزجر والانتقام وجرثت الشئون سهلة جبينه

وندف الزمان على لحيته قطن الشيب ولا يقدر على نصب قامته من ثقل الحوادث المتراكمة على ظهره وكأن جميع حرارة أعضائه قد تجمعت في حدقتيه اللتين كانتا تنثران شررا ودخانا أما رأسه فكان متوجا بإكليل عتيق الزي قد نخره صدأ القدمية وعلى صدره لوح مكتوب فيه هذا ملك العبودية * أما الشخص الاول بعد ذلك المقدام فكان رجلا ضخم الجثة غليظ العنق مفرطح الرأس والجبهة أفطس الانف ثخين الشعر سميك الشفاه وكانت أرواح التبسم البهيمي تتراقص على وجهه وضبابات الجمود الحيواني مخيما على عينيه وعلى صدره لوح مكتوب فيه هذا قائد الجهل * أما الشخص الثاني فلئن كان منظره جميلا الا أنه لا يخلو من جملة أطوار لا تلذ الناظر فقد كانت سعة جبينه مضنوكة بغضون العبوسة وبياضه مبلبلا بظلمة الشكاسة وكان أنفه الاقنى مرتفعا ومحسورا كذى اشمئزاز وأنفة وحواجبه المقرونة مزورة كذى غضب وسخط وأعينه السود مبرقعة بنظر المحتقر والمستصغر وفمه الاقاحي مفترا بابتسام العجب والتيه وعلى صدره لوح مكتوب فيه هذا قائد الكبرياء .

يا قاتل الله الجمال فانه * ما زال يصحب بالخلا متكبرا

أما الشخص الثالث فقد كان رجلا لا تعجز عن تشخيص أمارات وجهه دقائق الفراسة فاعينه الزرق قد كانت حادة الشخوص جدا حتى أنها اذا نظرت الى شيء تكاد أن تحفظ من الحجاج وتطير اليه وكأن وجهه الاغبس يظهر كأنه مصاب بالاستسقاء لما فيه من انتفاخ الرياء وكانت جوارح بلبال التفكر حائمة على جوانحه وهيئة بكاء الطفل ما كانت تبارح شفتيه هذا عدا أهبة الهجوم التي لم تكن مفارقة عموم هيئته الضخمة وعلى صدره لوح مكتوب فيه * هذا قائد الحسد والطمع * أما الشخص الرابع فقد كان رجلا كهلا وعلى رأسه عمامة قد مزقتها مخالب الدهور وغيرت ألوانها صباغات الاقذار وعلى بدنه ثوب أنكرت نسيجه

جميع

جميع الاقمشة لما أودعت فيه الاوساخ من الزركشة فانه شبعان من الدسم وريان من الوخم ويعلو هذا الثوب وشاح قد توشح بالغثة ونهشت أقطاره أنياب العثة فلا يحصى الامع الاحلاس ولا يعتبر الا اعتبار الادران والادناس . أما وجه هذا الرجل فقد كان بيضيا ومشهده دريا ونظره لا يفتر واقفا على مايلائمه وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ويداه قد كانتا منقبضتين انقباض يد البخيل على ذهب ولجين وهما موثقتان بالاوزار ومطليتان بالاقذار وعلى صدره لوح مكتوب فيه * هذا قائد البخل

رأى الصيف مكتوبا على باب داره * فصحفه ضيفا فقام الى السيف
فقلنا له خيرا فظن بأننا * نقول له خبز افمات من الخوف

أما الشخص الخامس فقد كان رجلا ذا طلعة صفراء وحلة سوداء وأسنان مكزوزة وأصداغ مهموزة وكانت جبهته تسبح في الكدر وأعينه تنثر الشرر وكأنه مشمول بهم عظيم ومأخوذ بغم أليم وعلى صدره لوح مكتوب فيه * هذا قائد الضغينة * أما الشخص السادس فقد كان انسانا صغير الرأس متطاوله كبير الفم فاغره ظاهر الشدق قصير القامة وكان على صدره لوح مكتوب فيه * هذا قائد النميمة * أما الشخص السابع فقد كان رجلا ذا أعين صغيرة التناسب كروية الشكل مضغوطة القزحية متجاوزة حد البروز وذا وجه متطاول مبطن ببشرة كثيفة مدلهمة يعلوه أنف كالهرم المنبط ذو جناح منفرجة وقحة كقطعة جلود وعلى صدره لوح مكتوب فيه * هذا قائد الكذب والنفاق أما الرجل الثامن فقد كان حامل بيرق الخيانة حسبما في لوحه مسطور وكل من هؤلاء الاشخاص كان مترديا بزي خاص فهذا سابح في ثياب عريضة وذا محشور في ضيق الملبوس وذاك عارج على الركبتين فلم أشاهد شبها بين الواحد والآخر * ثم بعد هجعة من الوقت رأيت القائد مقبلا وثمانية أشخاص يهرعون وراءه ولم يزالوا حتى انتصبوا

أمام العرشين وخروا ساجدين لدى العظمة الملوكية حيثما فصلوا بين المحفلين وغب فترة ألقى الملك عينيه على القائد وقال له أهؤلاء المعينون * نعم وحنا رأسه مع الجميع دع كلا منهم ينتصب أمام ضده لاجل الشروع فى المحاكمة فاوعز القائد الى المعينين بما أمر الملك فذهب كل و وقف حيث الاشارة * واذ أثبت نظرى على هذا السرب الجديد رأيت كلا مكللا بالغار واسمه مرسوما على جبهته بأحرف نارية فكان الاول يسمى العلم والثانى الاتضاع والثالث الرضا والقناعة والرابع الكرم والخامس الصفح والسادس الكتمان والسابع الصدق والحق والثامن الامنية وجميعهم كانوا مترد ين بزى واحد * فما لبث السكوت فترة أن صرخت الملكة بصوت عال وقالت تعال يا أيها الفيلسوف فوثب المذكور على قدميه وامتثل امام الملكة وقال مرى العبد اصعد على قمة هذه الصخرة واشرع فى الخطاب علنا وليرن صوتك فى جميع المرسح * أما أنت يا قائد جيش التمدن فتمنطق بسلاح العدل واذهب فقف على رأس ملك العبودية وتقوّ ولا تجزع

* الفصل السابع المحاكمة *

ففعل القائد حسب الامر وأسرع الفيلسوف وصعد على قمة الصخرة ووجه خطابه الى ملك العبودية وأنشأ يقول اصغى أيتها العبودية لكلماتى وأنصتوا يا جميع قوّاد الشر هوذا ملك التمدن قد انتصب على عرش جلاله فانخفض دولة التوحش وها ملكة الحكمة قد أبدت صوتها فلتخرس أفواه الجهالة أين شوكتكم يا مستعبدى البشر وأسنة الحرية لمعت فى الآفاق أين صولتكم يا عاملى الظلم وألوية العدل خفقت فى الاعالى زولوا فقد دهمتكم الغلبة حولوا فقد أخذتكم الرعدة * ها قد هبت بكم عواصف القضاء المبرم الى غابة الحق حيثما تصدح بلابل العدل وتتراقص أغصان الامان تحت سماء التمدن

العظيم فلا عادلسيوفكم مواقع ولا لنبالكم مرامى

﴿العبودية﴾

فاعلم يامالك العبودية أن جميع شرائعك وأحكامك التى كنت توسوس بها فى صدور الناس قدسقطت الآن مبانيها ودثرت أصولها ولم يبق لها مدخل فى جميع العالم وكل ملوك الارض قدنهضوا اضدها ولكن لم يزل بعض الناس الى الآن متمسكا بقية خبيثة من نواميسك التى قد انشرتها بينهم منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنين وسبعين سنة وهى استعباد بنى البشر * فمن المعلوم لدى العموم ان الطبيعة البشرية قد خلقت فى كمال الحرية الادبية وأن خالقها اذاته عزوجل قد منحها هذه السمة الجليلة عندما أطلق لها عنان الاختيار بين الماء والنار واضعا فيها معرفة الخير والشر ومبدعا فى سجيتها حركة الانعكاف على هذا والانكفاف عن ذلك فمن أين يسوغ لبنى هذه الحرية الانسانية أن يبعوا امزيق جلبابها بانياب الاغراض لبعضهم بعضا وكيف قد أمكن للانسان منذ القديم أن يستحسن هذه الزلة القبيحة لدى الخالق والمخلوقات وأن يسلك فى شأنها رغما عن كراهية نفس غريزته لهذا السلوك لانه اذا دخل كل من الناس الى مخدع ضميره انما يرى ذاته نافرا كل النفار عن ارتباطه بعبودية غيره ومتوجعا كل التوجع لمن دفعته الاقدار فى فخاخ هذه العبودية الادبية الخاصة زيادة على تلك الطبيعية العامة السابق ذكرها وليس الانسان وحده ينفر طبعا عن هذه الغلبة بل اكثر الحيوانات أيضا على انه متى عارض حركة أميالها مانع ماظهرت عليها حالا دلائل الانزعاج وأشائر المدافعة فلا يبرح الاسد الواقع فى القنص يزأر و يضج حنينا الى الغاب والعرين ولا يزال النمر الموثق بالسلاسل يصرخ ويعج رغبة فى الوثوب الى أعالى الجبال ولا يفتر الكلب يهر و ينبح طالما يكون مسجونا ولا ينفك الطائر المأسور فى القفص يخفق و يصيح شوقا للطيران الى رؤس الشجر وهلم جرا

فاذا كان الحيوان العديم النطق لايحتمل مضض الرق ولايصبر على ضنك الاستعباد فكم يكون الانسان الناطق خليقا بعدم احتمال هذه المشاق عند ما يقع في شرا كها وجديرا بطلب المناص وكم يكون خشنا بربريا من يهجم على باعة الاسرى ليتعاطى بيع أو شراء اشباهه في الطبيعة وعدلائه في الحد والرسم وكيف يمكن الانسان الطبيعي أن يشاهد انسانا نظيره مغلولا بقيود التعبد والاسر ولايجيم غضبا او يؤخذ بخواطر الشفقة والحنانة لاسيما اذ يرى ذلك العبد الوجع القلب والمنكسر الخاطر مرتعدا ازاء مولاه الاليم القاسي كالفريسة بين مخالب الوحش الضاري وربما أفضت قساوة ذلك المولى الى ربط هذا المخلوق بالحبال وجلده بالسياط تحت مواقع العنف الشديد بدون أدنى رفق أو خشية آثام أيان دعا الداعي وربما كانت هذه الحالة حتى أن هذا المسين يعود صارخا ولامجاوب مستجيرا ولامجير مستغيثا ولامنقذ * فهل يوجد قلب مستقيم لا يلعن عادة اتخاذ العبيد بين الناس حينما يعاين انسانا يحوي كل الاخلاق الانسانية متخذا له أسيادا من جنسه ومقدما كل حياته ضحية في هيا كل أوامرهم المظلمة حيثما لايجازى بسوى الضرب والشتم واللعنات فلا يأكل خبزه الدنيء الا بالتنهد والحسرات ولا يشرب ماء العكر الا بالدموع والعبرات ولاينام على فراشه الحجري الا قلقا بالأوجاع والاوصاب وربما لاتكاد أهداب أجفانه أن ترتحف بمرور نسيم النعاس الاويهب من مضجعه هبوب العاصفة اذ يتخيل رنين صوت في أذنه أو هفيف وسواس ظانا أن سيده يدعوه لقضاء حاجة أو سيدته أتت تنبهه ليأتي فيغير لها رفائد الولد أو يلحيه عنها اذا كان باكيا لكي يمكنها استيفاء لذة النوم وهكذا فلا يعطس أنف الصباح أو يسيل مخاط الشيطان الاعلى يقظته * فهات أعرب لنا يا أيها السيد عن الامتياز الطبيعي الحاصل بينك وبين عبدك البائس وقل لنا ما هو الفرق بينكما من حيث الشعور

والاحساس

والاحساس أخبرنا هل تظن ان جلده الاسود لا يشعر بالفواعل المؤلمة عليه كنفس جلدك الابيض وهل تزعم ان شفاهه الغلاظ لا ترتاح الى مناولة الاطعمة اللذيذة كعين شفاهك الرقاق وهل تخال أن عينه المستديرة لا تشتاق الى التمتع بطيب السكرى كذات عينك المستطيلة وهل تفترض ان أنفه الافطس لا يحس بالشمومات الذكية نظير انفك الاقنى وبالاجمال نقول هل تتوهم ان وجوده في بيتك تحت سلطان دراهمك التي بها اشتريته يجعله غريبا عن جنسك ومميزا عن نوعك وبعيدا عن حواسك حاشا وكلا ان جميع أعضاء هذا الاسير وطبيعته هي نظير اعضائك وطبيعتك ولا يوجد بينكما أدنى اختلاف سوى جلده الاسود الذي ربما يكون زاهيا بنباضر الافعال وبجلدك الابيض الذي ربما يكون مدنسا بسواد الاعمال * فمن أين أبيح لك شراء الانسان وعذابه وقهره يا أيها الظالم العنيت وكيف تمكنك الطبيعة الانسانية من مجاوزة حدودها وشرائعها بمثل هذه الافعال الشريرة ألم تتحرك في باطنك جوارح الشفقة عندما يكون هذا الغريب المسكين واقفا بين يديك القاسيتين مرتعدا مذعورا وعيناه مغرورقتان بالدموع ويداه مبسوطتان لديك بكل ذل وهوان عسى يتقبلان منك العفو والرأفة على ذنب ربما يكون حسنة أطلق هذا العبد الغريب فلا يسوغ لك استعباد الجنس البشري أطلق هذا العبد الغريب فلا عاد يحتمل أثقال تهافتك ومضض خدمتك أطلق هذا العبد الغريب فقد بح حلقه من الصراخ وذبلت عيناه من كثرة الرجاء أطلق هذا العبد الغريب فقد تناثرت لحومه من مقارعك وخفقت قواه من أحمالك أطلق هذا العبد الغريب فقد أجمع على اطلاقه كل ممالك العالم وهار انحبة باروده أميريكا منتشرة الى الآن في آفاق المسكونة مما أثاروا من الحروب على مستعبدي البشر أطلق هذا العبد الغريب أو يطلق ذاته رغما عنك . آه هذا الاسعاف

من جميع الناس ومساعدا من نفس الحكومة المدنية بعد أن يستعطيك أجرة المثل أطلق هذا العبد الغريب ولا تقل ان وجوده عندي خير له وماذا يعمل خارجا لان الله يدبره وحسبه امتلاك بغية الطبيعة أو خذه مستأجرا وارفع عنه ثقل سلطانك أطلقه أطلقه فلا عاد يمكنك استيسار الانسان وسوف ترى أن نفس حضرة قنيل مصر سيبرز أمرا بابطال اقتناص العبيد من أعماق افريقيا وسيلاشى هذه العادة المذمومة من بلاده حسبما يقتضي اجتهاده بتقديم التمدن وتمهيد سبل خطوره مقتديا بولى نعمته جلالة السلطان العثماني الاعظم ذي الشوكة والاقتدار عبد العزيز خان دام ملكه مدى الدوران

واذ كان الفيلسوف مسترسلا كلامه هذا كان الجوق القائم ورائي يموج ويعوج بين الطرب والكرب ضاجا بأصوات السلب والايجاب فكان هذا يقول نعم ان العبودية لا تحتمل ولا يوجد أصعب على الطبع البشري منها ولا أشنع من عادة اتخاذ العبيد وذا يقول لا لا ليس الامر كذلك لان الله قد خلق مولى وخلق عبدا اذ جعل اناء للكرامة واناء للاهانة والكتاب نفسه قد أمر بطاعة العبد اولاه وصرح بدعوى هذا ودعوى ذاك فعلى أي أساس نبني بطلان العادة الآخذة مبدأها من سالف الحقب وذاك يقول بكل حق يجب نسخ هذه العادة الخشنة التي ينفر منها الطبع الانساني ولا يجوز التعبد لسوى الله الذي هو قال (للرب الهك تسجد وله وحده تعبد) وما ورد من ذكر عبد أو أمة في الكتاب يأخذ مفهوم الخادم أو السرية أخذا يتضمن الانتماء البسيط من الفقير الباذل تعبه بحريته الى الغني الدافع فضته بارادته منتفعا هذا ومرذلا ذاك وذلك يقول ان هذا الكلام هذيان كيف نترك عبيدنا الذين قد اشتريناهم بالذهب والفضة وأنفقنا عليهم كذا مصاريف من أكل وشرب وكسوة (اسمعوا يا ناس هل يطاق هذا الفشار العمى) ويقول الآخر ليس الهاذي سوى من ينزل الانسان منزلة البهيمة

بالبيع والشراء والعلف زاعما ان الزنجي أو المملوك الكرجي هو حمار ناطق ولا يوجد فيه أدنى احساس انساني (ماشاء الله على هذه النتائج الذهنية) و بينما كان هذا الجوق المتجاذب يتبادل النضال واذا إيماء وزير جبة السلام يستوقف خطاب الفيلسوف المنتصب على الصخرة كارز لبنان وصوته يقول للزنجي الواحد هكذا اشرح يا ياقوت هنا علنا ما رويته لي خفية . فتردد العبد خجلا ومهابة فأعيد عليه الامر فتقدم حينئذ هذا العبد الاسود قليلا وحنى رأسه أمام المظهر الملوكي ثم نكص الى الوراء . والتفت الى الحاضرين وافتتح كلامه بصوت منخفض يصعب استماعه فناداه الوزير قائلا اجهر صوتك فجعل العبد يقص بكلام جهوري هكذا * انه منذ خمس عشرة سنة بينما كنا ذات يوم أنا وأخي هذا امرجان (وأومأ الى الزنجي الآخر) نمرح مع والدتنا في برية السودان على نحو غلوة من قريتنا وكان سني لم يتجاوز العشر وسنه لم يبلغ الثمان واذا بقافلة من فلاحي مصر نظرناها تخب في القفر بين الامواج الرملية المستعرة بايقاد الهجير آخذة طريق جبال القمر حيثما يتوهم انبعاث النيل فعندما نظر الينا بعض الركاب أخذوا يعرضون علينا عن بعد بعض قطع كانت تتلامع باشعة الشمس مظهرين قصد دفعها لنا فهرعنا اليهم حالا رغما عن ممانعة والدتنا وتنديدها المشتقة عن حلس القلب واذ دنونا منهم على أمل قبضوا علينا بسرعة واردفونا على الابل وأطلقوا الوخد ضاربين في أودية الرمال فطفقنا نتباكى ونتصايح باسطين أيدينا الى والدتنا التي كانت تولول وتنوح عن بعد بحنين يجرح الفؤاد وتنسف الرمل على رأسها وهي تركض لتدركنا زاعمة امكان انقاذنا أما نحن فكنا نزيد في العويل ونبالغ في استنجادها كلما كانت تقرب منا ولم تزل هذه المسكينة تجهد خطواتها حتى أدركت حملنا فأخذت تترامى على أقدام مقتنصينا سافحة دموعها السخينة وتتوسل وتترجى بلغتنا التي لا يفهمونها صارخة بصوت يحرك الجلمود المتحلف كم

عما تعبدونه ردوا علي "ولدي" كرما لرب النيل أعطوني ولدي" ولا تتركوني
أموت بفراقها كمدا ردوا علي "ثمرة أحشائي وأنا أعطيكم كلما أملكه
من الخرز والقرّاز أمامه تقتنصوننا فكانوا يزدادون قساوة كلما ازدادت
بكاء وازدادت والدتنا انتحابا وولولة فكانوا يضربونها ويزجرونها
ويلطمونها في صدرها ويرفسونها بأرجلهم ويلقونها على الارض وهي
لم تزل تندب وتذرف العبرات وتتوسل وتتضرع بأيديها وبكل أطوار
وجهها وهم لم يزالوا يلطمونها ويصرعونها حتى غشي عليها وانطرحت
على وجهها معفرة وكأن لم يكن بها نفس وما كادوا يبعدون عنها قليلا
حتى أنعشتها أرواح الخيمة وضوضاء عويلنا فوثبت على أقدامها منتهكة
وأطلقت المسير الينا ثانية فاذ رأوها قاصدة اعادة الماضي مد أحدهم
على هذه الام المنكسرة الخاطر بندقيته وأطلق الرصاص في أحشائها
فسقطت على البساط المقفر وتلوت قليلا بتنهدات متقطعة وسلمت الروح
متكفنة بالرمال وعندما وقعنا في اليأس من الخلاص صممنا آخذين
الصبر الذي هو سند المصابين عونا لنا وأخذت الاباطح تسيل بأعناق
المطايا التي كانت حاملة كثيرين من بني جنسي قنصا ولم نزل نفري
بطون السباسب والقفار حتى بلغنا الرستاق المصري أما أنا فلم أعلم
ذاتي بعد الامس الا بيد أحد تجار العبيد ومنادي على بيعي في سوق
القاهرة فاشتراني رجل من الاغنياء وأدخلني في داره للخدمة وأما أخي
فما كنت عالما ما تم به وكأنه صار نسيا منسيا فجعل هذا الرجل يعاملني
بأقسى المعاملات وأخذت أطيعه اطاعة العمياء ولكن لسوء حظي
لم تكن طاعتي موجبة لراحتي لانني كلما كنت أزداد نشاطا وهمة في
خدمته كان يزداد صرامة وقبحا وحتى أنه مرارا عديدة كان يربطني
بالحبال ويجلدني بالسوط لاقل سبب كعدم طيراني كالباشق حينما
يدعوني أو عدم اجرائي ما يكون في ضميره كالواجب وطالما كان يقول لي
أما تعلم ارادتي أنا فهمت مزاجي هذا وقد كنت في سن لا يسمح لي بعلم

الضمائر الخاص بالله ولا بفهم الامزجة المنوط بالاطباء ولم أزل صابرا على هذا العذاب الاليم ومقاسيا صعوبات هذا المولى الظالم حتى بلغت الثمانية عشر عاما وخرجت من جزيرته وكان سبب خروجي انه أرسلني ليلة ما لاستدعاء أحد جلسائه عنده فخرجت مسرعا لقضاء أمره وكنت في أثناء طريقي أرفع نظري الى الجو لاستعلم ابتداء هبوط الامطار لان السماء قد كانت في تلك الليلة موشحة بالغيوم الكثيفة ومدلهمة على شكل مريع جدا وكانت البروق تتلوى كالحية الرقطاء وتنتسب من سحابة الى أخرى مخترقة أعماق الفلك * فلما بلغت نصف الطريق حتى انفتحت ميازيب السماء وانحل وكاء السحاب وابتدأ يهبط برد عظيم كالحجارة بحيث صرت أظن أن السماء شرعت ترجم الارض أو الضربة السابعة نهضت من كمين القدم وكانت أصوات الرعود تزلزل أساسات المسكونة وانتشاب الرياح ينسف الجبال نسفا فأخذتني الدهشة والرعدة مما لم تتعوده عيني في تلك الديار لندرة حدوثه فما كنت أشك حينئذ ان الخليقة جميعها تموج هلعا ولما لم يعد يمكنني المسير خوفا من سحق حجارة البرد رأسي وتهشيمها عظامي تواريت في احدى الزوايا وصرت من جملة الخبايا * وعندما انفطر كبد الغمادية وأسفر البدر عن الاضواء الذي ساعة من هيجان الطبيعة أطلقت أقدامي الى تتميم الرسالة فلم أجد الرجل في بيته فرجعت الى سيدي وأخبرته بذلك فأزبد وأرغى وانخر نطم وبرطم وحملق عينيه الاتونية وقال لماذا تأخرت الى هذا الوقت وتركتني أموت خوفا * لان هبوط المطر أدركني في نصف الطريق لذهابي * ولماذا لم تعصه كما تعصيني وترتد حالا يا خبيث * لانه يكسر راسي ويهشم عظامي ومتى عصيتك يا مولاي وكيف أرتد راجعا بدون تتميم أمرك * اذن أنا لا اقدر على كسر راسك وطحن عظامك اكثر من البرد وهل جسدك الذي هو ملكي افضل من رادتي يا عبد السوء ثم هجم الى الاعضاء مكفهر الوجه والاعين وهو يردد

هذا البيت البربرى ماضغا الفاظه

لا تشتر العبد الا والعصا معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد

ووثب على كالوحش الضارى وصار يضربنى ضربا عنيفا حتى أنه مزق جلدى وكاد ينثر لحمى وهو يقول لى بصوت أجش هربت من غضب الله فابشر بغضبى * وأخيرا قلت له اتق الله يا ظالم أى ذنب جرى منى يستحق هذا القصاص فأجابنى أتعنفنى يا أسود الوجه اخسن واخرس ثم ذهب فاتى بعد عازما على ربطى وتجديد الضرب فلما رأيت حياتى وقعت فى الخطر رفعت مهابته من قلبى وهجمت عليه غائبا عن الرشد والحس وواقعا فى الياس فمسكت يديه بقبضتى ودفعته على الحائط دفعا شديدا ورفست بطنه برجلى حتى كدت أخترط أمعاءه وقلت له أقتلك أو تطلق سبيلى يا أسود الطبع ولما أخذ يعاركنى وهو فى غليان الهيجان واغراق الافتتان تناولت الحبل المعد لى وشددت به يديه ورجليه وألقيته موثقا يدعون حرالك* واذ نظرت ذلك امرأته وأولاده أخذوا يصيحون و يضجون ليجمعوا الجيران ففتحت الباب وطلبت الفرار وأبقيتهم فى طغيانهم يعمهون ومازلت أركض هائما على وجهى حتى بلغت دسكرة فدخلتها وطلبت حجرة للنوم فأجيب طلبى فتوغلت فى هذه الحجرة وأغلقت الباب ثم انطرحت على الفراش كالقتيل ولم يكن ما يستنار به سوى سراج طفيف ومن حيث ان أوجاعى وأفكارى كانت فى غاية الثوران لم يمكن للغمض أن يمر باجفانى ولم يقدر الارتياح أن يبيت فى عظامى وبينما كنت أتامل السراج الذى كان موضوعا نصب عينى وأنا مشمول بشمول البلبال اذ رأيته يتراقص كفرائصى ويخفق كقلبى ومالبث هكذا أن سلم روحه فاختطفتنى موجة الظلام وابتلعنى غمر الدجى وأطبقت البئر على فاها وما كنت أرى سوى ظلمة الموت ولا أسمع سوى زمر الرياح المتلاطمة بين الابنية فصارت هوام الاوهام تتطاير فى جرش مخيلتى تطاير الشرر المنتشر وعلت غربان الوساوس

تحوم على خربة رأسي من كل جهة حتى صرت أخال نفسي قائما في وسط
شغفهم ولم أبرح متقلبا على فراش القلق والأرق ضاربا في أودية الويل
خابطا في لجج الليل الى أن تبلجت كوة الحجرة بشعاع السحر اذ علمت ان
النجم قد غار على جواده الادهم والصبح قد أقبل على صهوة أشقر
فقفزت من مضجعي قفز الغزال المذعور ووقفت في وسط المخدع لاجمع
شوارد أفكاري وأنتخب منها ما يرشدني الى سواء السبيل واذ أولجت
يدي في جيبي على غير قصد ايفاء لما تطلبه بديهة الهجس فعثرت على
بعض قطع من الدراهم كانت مذخورة لمصروف بيت مولاي فشملني
الفرح للحال وقلت في نفسي ها قد تسلمت طرف زمام المستقبل
ففتحت المغلق وأطلقت عنان السير واذ بلغت باب العسكرة وجدت
الرئيس مدلجا هنالك فطلب مني أجرة المعروس فأعطيته شيأ من الدراهم
وواصلت الجري حتى أصبت الجسر فلبثت برهة أتنقد ذاتي أن رأيت
ذهبية قاصدة الاسكندرية فركبتها وأخذت تفرط زرد الماء لدى مهب
الهواء وبعد ثلاثة أيام بلغنا الاسكندرية فصعدت الى البر وطلبت جانب
المينا فصرت هنالك عتالا وبعد مضي خمسة أشهر خلعت أبهة العتالة
وصرت ملاحا في احدى المراكب العربية التي تشتغل في بحر الروم ولكن
بعد بضعة أشهر خطر لي ان أترك الملاحة وأدخل في احدى المدارس
التركية وما ذلك الا لانني صرت أسمع شتيمة الجنس العربي واحتقاره من
جميع الافرنج الذين كانوا يصادفون مركبنا أو أحدا ملاحيه حتى ان
أولادهم يظنون ان العرب هم نوع منقطع عن الجنس البشري ولا يحسب
الا من جملة الحيوانات لكثرة ما سمعوه من عبارات الازدراء والتحقير من
آبائهم فقلت في نفسي ان الجهل الفاشي في هذا الجنس أوجب انحطاط
شأنه لدى هذه القبائل ولو كان عنده مدارس كما عندهم ومساعدون
على تقديم العلم ومحبة وطنية منزهة عن أغراض الدين لما أصبح أضحوكة
عندهم بل ربما يكون أرقى من جميع العالم علما لشدة حذقه الطبيعي

وحزمه ولا ينكر الغرب فضل العرب عليه * ولما تمكن من ذهني خاطر الدخول الى المدرسة بناء على ان كلا يعمل على شاكلته تركت مركبنا وركبت بخاريا وقصدت الاستانة العلية دار السلام فوصلت اليها وبعد قليل من وصولي طلبت الدخول في المدرسة العسكرية ففتحت لي الاحضان وشرعت في الدراسة ناسيا كل ما جرى على رأسي وبينما كنت ذات يوم أتمشى على الكبرى وقت الراحة واذا عبد نظيري يقول لي نهارك سعيد هشري نهارك سعيد ومبارك وبعد أن تأملته بامعان شعرت بشرارة كهربائية طارت من دمي وسرت في جميع مفاصلي فسألته ما الاسم مرجان فازددت حنوا وكيف كان مجيئك من بلادنا بقوة الاختطاف وكيف كانت طريقة هذا الاختطاف وهل خطفوك وحدك أم خطفوا غيرك معك خطفوا معي أخي أيضا الا انني كنت أتمشى معه في البرية واذا جماعة من المصريين دنوا منا وخطفونا وقتلوا والدتنا لانها رغبت انقاذنا * فقال لي شك ان هذا العبد هو أخي ذاته وصارت عيني مغرورقة بالدموع وقلبي خافقا بأجنحة الاشواق والفرح ولكنني اجتهدت في اظهار الجلد لاستتم التأكيد فسألته وما اسم أخيك ياقوت وهو أكبر مني فقبضت على يده وقلت له اتبعني لاريك أخاك فأخذته الى حجرتي على انفراد وقلت له أنا هو أخوك ياقوت فتعانقنا وبكينا ساعة حتى أطفأنا بماء الآماق نار الاشواق ثم قصصت عليه جميع ما جرى لي من الاول الى الآخر وبعد ما بلغته ذلك طلبت منه أن يروي علي ما جرى له وكيفية وصوله الى الاستانة فقال * ان تاجر العبيد في القاهرة باعني الى رجل اسكندراني فذهب بي الى الاسكندرية وجعل يستخدمني في بيته وأنا صغير لا أعرف شيأ سوى اللعب مع الاولاد ولما بلغت أشدي باعني لاحد الاتراك فأخذني هذا الرجل وسافر بي الى اسلامبول وأبقاني عنده مدة سنة ثم باعني الى رجل من كبار هذه المدينة وها أنا منذ سبع سنين عنده وكيف معاملته لك بغاية الرقة واللطافة

بحسبما تقتضيه طبيعة أهالى الاستانة ولكن مع ذلك أرغب جدا إعتاقى لان الفكر وحده بوجودى عبدا وبكونى أنا وملك يدى لسيدى وبأن حياتى وموتى بين شفتيه أو يديه ومتى شاء باعنى ومتى شاء اشترانى بحيث لا يوجد لى أدنى حرية معتوقة ولا حركة مطلوقة يجعلنى مائلا كل الميل الى الحرية والانعتاق ولو صرت خادما بأجرة حياتى فقط عند الرعاع اذن تشتهى الانعتاق نعم بكل قلبى فلماذا لا تطلب من سيدك ورقة إعتاقك * وهل يسمح لى بذلك * نعم لانه يعلم ان الحكومة لا تسمح بأخذ العبيد وبأنها تلزمه بتحرير رك الزاما فاذهب وخذ منه ورقة الاعتاق واذا امتنع ذلك فأنا المسؤل * فذهب من عندى وبعد ثلاثة أيام أتانى ومعه ورقة الاعتاق فأدخلته معى الى المدرسة وبعد مرور خمس سنين خرجنا منها ودخلنا فى خدمة دولة التمدن تحت راية جانب السلطان الاكبر وها نحن بين أيديكم نرى أخصامنا بأعيننا ووثاقهم بأيدينا فاعز الله أنصار الحرية وأيد دولة الرفاهية * وبعد تتميم الزنجى روايته التى كانت تؤثر فى جميع المحفل جاذبة كل الالتفات اليها أخذ السكوت موقعا نحو دقيقة اذ كانت الملكة تمسح أعينها من الدموع التى استقطرتها رواية العبد ثم التفت وزير محبة السلام الى الفيلسوف الذى كان مضجعا على الصخرة بدون حراك وأوعز اليه باشارة ان يرجع الى كلامه ففرك الفيلسوف جبهته المرتفعة وأنشأ يقول * هذا ما يجب تبليغه لاذان ملك العبودية الذى اذا لم يسلك حسب مضمون ما تقرر لديه فلا قيام لمملكته ازاء تقدم هذا العصر الجديد فليسمع قواده وأنصاره ما سيرد عليهم أيضا وليركنوا الى الحق * ثم التفت الى قائد الجهل مبتدئا منه وجعل يقول * *الجهل* أما أنت يا أيها الجهل فمن أخبث الارواح الشريرة التى تفسد فى الارض وتعضد ملك العبودية وتخرب أبنية العلم فما أنت الا السبب الاعظم لاكثر الوبال الذى جرى ويجرى وسيجرى فى المسكونة والاصل الاول الذى منه قد

نشأت فروع البدع والخرافات التي تجعل البشر عبيد الاهوائهم وأباطيلهم وتحرمهم لذة حرية الحياة فاذا كانت المسببات تستوجب مقدارا من الجزاء فالاسباب تستلزمه مضاعفا فتكون اذن يا أيها الجهل مستلزما صرامة الحكم بمقتك من الناس وتبديدك وكسر شوكتك والنفار عنك فانك تعتبر كسبب موجب لتلك الآفات المحكوم عليها بالمقت والكراهية منذ بدء الخليقة ويجب على البشر أن يعتنوا باخضاع ممالكك لدولة العلم الذي حيثما نزل أنزل المجد والعظمة والكرامة فبالعلم يحلق الانسان على قة كماله الطبيعي ويعمل بحسب استحقاق انسانيته وبالجهل يهبط الى أسفل السافلين ويتصرف كسائر الحيوانات بذلك تعظم قوة الممالك وتتبين حدود الملوك وبهذا تسقط القوات وينبذ التعدي باعه بذلك يقوم اعتبار الشعوب وتنتشر ثروة القبائل وبهذا يخفق جناح الاحتقار وينعق غراب الاقلال بذلك قد تلألأ محيا الغرب وبهذا قد أظلم جبين الشرق.

فكأن الشرق باب للدجى ❊ ماله خوف هجوم الصبح فتح

ومع ذلك لا يجب على التمدن ان نستأصل جميع جذورك من أرضه يا أيها الجهل فانه لابد من بعض دخل لك في غوطته استدرا كالشروع الدعوى بتمام العلم ما بين غير أهله شيوعا لا ينكر ضرره لان الانسان المدعي بالمعارف على غير أصل انما ينشئ أضرارا جمة اذ يزرع في عقول أصحابه ورفقائه الذين يثقون به قواعد وحقائق كاذبة باطلة وهم ينقلونها الى غيرهم الى أن تشيع وتذيع وربما صارت أساسات يبني الناس عليها ما يفضي بهم الى الضلال والطغيان فيعود مقتضيا النفوذ أنوار الحقائق في أبصار بصائرهم عناء عظيم ويكون سبب ذلك هذا الجاهل المدعي ❊ فيجب اذن للتمدن أن يترك يد القائد الجهل في دائرته لكي يوحي اليه بواسطة تغلب العلم أن يلطم أفواه تبغته ويضع أقفالا عليها فلا يعودون يفوهون بما يؤذي اذ يصبرون خاضعين لتبعة

العلم

العلم ومجتهدين في نوال الحقائق قدر الامكان وعارفين أنفسهم انهم منتسبون الى الجهل حتى أن المتوغلين في بواطن الاشياء أيضا كثيرا ما يلتجؤن الى حكم الجهل لكثرة ما يرون من المجهولات التي يفوتهم ادراكها وكلما ازداد الانسان علما ومعرفة وجد لحكم الجهل عليه اتساعا وغلبة لان نسبة ما يمكن علمه الى عالم المجهول هي كنسبة ما يمكن للنظر احاطته من البحر الى ساحة المياه جميعها أو ما يمكن رؤياه من النجوم الظاهرة القليلة الى بقية الاجرام المختفية الممتنع عددها فكما أن كروية البحر ورحابة الفلك تقدمان للنظر أمدا وعددا أكثر كلما ارتفع الناظر وقوى اسطرلابه الى أن يحكم أخيرا بعدم امكانية الادراك العام فيرجع بصفقة المغبون هكذا العلم يعرض للدارس حقائق ومبادي أكثر كلما ازداد توغلا فيه الى أن يجزم أخيرا بامتناع الاطلاع المطلق فيرتد ضاربا بالسدرية آخذا الجهل عذرا له * فعلى كل حال اذن يجب ان يكون العلم والجهل مترافقين في خدمة مملكة التمدن ولكن بشرط ان يكون الثاني مردودا الى الاول وهكذا يكون كل منهما عارفا بواسطة رفيقه حقيقة حدوده فيلبث الواحد مجدا في تمهيد مسالك الغنار والطلب ويرجع الآخر عن المعارضة الى توقيف خطوات الخراب والدعوى بحيث يصير هذا مدركا حده وذاك عارفا نقصه

* الكبرياء *

أما أنت يا أيها الكبرياء فمن أدهى الارواح التي تتعب في مرادها الاجسام ومن أعظم القوات التي تجعل البشر سالكين تحت نير العبودية لانك تتركهم عديمي الحرية في تتميم مقاصدهم وواجباتهم فتعدم كلا منهم جزأ كبيرا مما يخصه من الحقوق على الهيئة التي هي أيضا تفقد أهم حقوقها على أبنائها بحيث يصير هذا محروما من التمتع بتمام الالفة والمخالطة وتلك معاقة عما تطلبه من الانتظام والالتئام * فهل دخلت يا أيها الروح الشرير في أحد الا وتركته خابطا في لجة البلبال والتعب

وجعلته مرذولا ومبغوضا من جميع بنى نوعه فحيثما جلس رأى نفسه أرقى من محله وأعز من جلسائه واذا ألقى سلاما على أحد أو تكلم معه زعم أنه صنع تنازلا عظيما أو منح الفوز الكبير وان اقتضته الحاجة الى السؤال على أمر أو استفادة شئ ما من أحد الناس يقع فى حيرة عظيمة واضطراب لامزيد عليه ويصير محلا لتنازع عوامل الطلب والترك اذ يرى لسانه منبسطا الى المطلوب وقلبه منقبضا عنه فتثور فى جوانحه نار الالوهية ويأخذ فى ضرب الرموز والاشارات على مقصده عسى ينال الجواب والفائدة بدون تصريحه بسؤال رسمى واذا أعياه بلوغ المراد حاول أن يسبك السؤال فى قالب قصد التنكير لمعرفة لا طلب التعريف لنكرة دفعا لنسبة الجهل أو الوقوع تحت المنة واختلاسا للفائدة واذا أوقعته الصدف بمرافقة أحد الى الدخول فى مكان ما حاول كل المحاولة أن يتقدم عليه ويبقيه خلفه ✽ وهكذا لا يزال هذا المستكبر معجبا بنفسه عاقدا حواجبه اذ يظن ان السماء تعنو لديه والارض تجثو لاقدامه مع أنه يكون بمقتضى هذه الاطوار مبغوضا وممقوتا من الجميع ومعزولا من وثاق الهيئة الاجتماعية التى تتأسف عليه جدا كما أنه هو نفسه يندب ذاته ويتأسف على حياته المقيدة بسلاسل العبودية لكبريائه اذ يرى حاله مقهور الطبع ومحروما من لذات الخليقة ومرذولا لدى الخلائق ومدانا من الخالق فلا يعتبر الا كورقة الخريف المستعدة للهبوط من أعاليها لدى أوهى حركة ✽ فقل لنا يا أيها الروح المتعجرف من أنت وما أنت لتعطيك حقك فان كنت بشرا فاضلك على البشر وان كنت ملكا فأنت ابليس الاستكبار اذ لم تسجد لآدم متواضعا وان كنت ملكا فأنت خادم الناس ما دمت كبيرهم ولا تنفعك كبرياؤك عليهم وستحل فى قبر النسيان قبل حلولك فى قبر الابدان وقد قال قبلك الملك والنبى داود أنا دودة ولست انسانا وان كنت نبيا فما عندك آية سوى الكبرياء وهذه سيما الدجال وان كنت رسولا فقد كذبت رسل

من قبلك وان كنت من ذوى الفضل والاحسان فهذا من الواجبات البشرية ولا يسمع لك واجبك بالعجب والتكبر على غيرك وان كنت غنيا فثروتك لنفسك ولا تنفع بها أحدا مالم تنتفع منه أولا على ان الاغنياء والفقراء متبادلون حقوق المعيشة سواء وان كنت حيوانا فأنت تخضع تحت قدمى الانسان اذ تكون نعجة أو بقرة أو احدى بهائم البقاع ومع ذلك لا ينبغى الرفض المطلق لقائد الكبرياء من مملكة التمدن حذرا من حصول الدناءة التى لا تليق بالبشر بل يجب تركه مقيدا بحكم الاتضاع حتى يستوفى كل منهما حقه حسبما يقتضى الحال فتكون النتيجة حصول عزة النفس المقبولة فى شرائع التمدن وزوال عبودية الاستكبار عن الانفس

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يرفع نفسه * الى طبقات الجو وهو وضيع

الحسد والطمع

ها قد وصلنا الى هذا الروح الذى كثر شره وعظم ضره منذ البدء الى الآن أعنى به قائد الحسد والطمع كعبة الشقاء وركن الفساد فما أنت يا أيها الروح الشرير الا آلة بها يفتك الناس بعضهم ببعض وبها نشأ كل كريهة وعدوان فكم كنت سببا لسقوط ممالك وزوال ملوك وعظماء فبك تشتت قايين اذ أوقعته فى معصية القتل وبك جمدت امرأة لوط اذ أطعمتها بسر غضب الله وبك طردت هاجر اذ نزلت فى قلب سارة وبك طلب يعقوب الفرار اذ أثرت سخط العيس وبك سقط يوسف فى البئر وبيع وأسر اذ فشيت فى أرواح اخوته وبك زهقت روح شاول اذ ملأته حنقا على داود وبك تبلبلت دولة المكدونيين اذ أفرغت فيها سمومك وبك قتل يوليوس قيصر اذ دخلت فى قلوب أصحابه وبك وبأفعالك قد رجمت الفلاسفة وزلت العلماء وانخذلت الائمة * فكم يجب على البشر أن ينفروا عنك ويبغضوك يا أيها الحسد والطمع لانك

تجتهد على الدوام فى القاء الحقد والبغض ما بينهم وفى تفريق شملهم إذ تجعلهم أخصاما وأعداء لبعضهم افرادا واجمالا * فتى دخلت فى قلب انسان جعلته عدوا مبينا الانداده وتازعته الراحة والحرية فاذا كان ملكا أخذ يضارب الملوك و يشن الغارات عسى ينال المرتبة الاولى على الجميع واذا كان وزيرا جعل ينا كد الوزراء ويوشى بهم عند الملك رغبة فى الارتقاء عليهم واذا كان شريفا شرع ينم على الاشراف و يستهجنهم ازاء العامة ويقذفهم بكلمات الاحتقار أملا فى ان يعمى عيون الناس عن ان ترى شر يفا سواه واذا كان غنيا تاجرا طفق يسخر بالاغنياء التجار ويشنع بهم و يشيع عنهم أخبار الافلاس لكى يفتك باعتبارهم مؤملا أن يحط عمود ثقتهم بقوة ذلك التشنيع والاشاعة فيسر فرحا واذا ساقه الحديث أخذ يسند غناهم الى عامل الشح والبخل وان كان هو أشح وأبخل ولم يزل يتزايد حسدا حتى أنه ربما لا يعود يمكنه النظر الى ثوب جديد غير ثوبه أو طعام لذيذ غير طعامه واذا كان عالما او شاعرا أخذ يزدرى بمؤلفات العلماء ويهزأ بقصائد الشعراء باذلا جهده فى تحصيل زلاتهم وغلطاتهم على خطأ كان أو صواب حتى اذا عثر على شئ من ذلك أخذ بوق الانتقاد وجعل ينشر بصراخه كل أموات الغفلة وربما أفضى به الحال الى أن يطرح من يده كل مؤلف أو قصيدة لمن سواه من العلماء والشعراء ولا يتنازل الى القراءة حذرا من أن يرى فكرا أجل من افكاره او قاعدة لا يعرفها و بقدر ما يرى من سمو أفكار غيره وجمالها يكون اشعاره بثوران لهيب غضبه وهيجان بركان انتقاده وهكذا فقلما لا يعود له مكان أن يلفظ بسوى الشتائم والمسبات التى اخفها قوله بحق علاك ركاكة وذلك بدون ابراز أقل حجة يحتج بها هذا اذا لم يطرح قياد العلوم والقرائح فى عهدة الجنس او المذهب وقس على ذلك سائر المراتب والصنوف من البشر الذين يأخذهم روح الحسد والطمع فكم يستفزهم هذا الروح شرورا وبغضا بين البشر وكم يهتك بحرمة هيئتهم

ويخترق ستار اعتصابهم * فماذا يفعلك الحسد يا ايها الحاسد الجاهل وهل تظن أن هذه السيما توصلك الى اوطارك وآمالك حاشا لله ان هذه السيما لا تسديك سوى التقلب على النار الدائمة في الدارين ولا تجديك سوى قلق الفكر وعذاب النفس والتنهدات والحسرات وتجعلك مضغة في افواه الناس ومهملا من الجميع * ولا يخفى ما يتركه الحسد والطمع من الشوائب الذميمة في الانسان وذلك نظير البغض والحقد والحنق والاختلاس وحب القتل والاضرار وكل من هذه الاطوار الرديئة يترك وراءه اطوارا أخر أشد رداءة الى ان يصبح الحاسد مؤلفا من كافة الارواح الخبيثة فلا بدع اذا كان الحسد يشبه الشجرة الهندية التي كلما وصل غصن منها الى الارض نبت وصار شجرة وهكذا الى أن تنقلب أخيرا الى غابة عظيمة تعشو اليها طيور السماء والهمير وذى يسكن في مقادمها * فلا يوجد شيء أشد مقدرة على استعباد النفس من الحسد والطمع فان هذا الروح اذا تمكن من الانفس أوثقها بجندل العبودية القصوى لسلطان الانفعالات وقيدها عن التمتع بأدنى لذة أدبية فتبقى مرتجفة بين فواعل الشهوات كارتجاف العصفور بين مخالب العقاب فاقدة كل سلامة الحواس اذ لا تعود ترى سوى تناثر شرر الاضطراب والطموح ولا تسمع سوى دوي أصوات القنوط والاكدار ولا تذوق سوى مرارة الاميال والآلام ولا تشم سوى رائحة الزهاق الغصبي ولا تلمس سوى خشونة الاشياء التي ليست في قبضتها

ومع كل ذلك فلا بأس من ترك بعض دخل لقائد الحسد والطمع في احكام التمدن لان هذا الروح يقود الناس الى الغيرة والتنافس التي ينجم عنها فوائد جزيلة للترقية الجمعية كالهجوم على درس العلوم وتنشيط الاشغال وتنبيه القوى الاختراعية ونحو ذلك ولكن يجب ان يرفق هذا القائد بالرضا والقناعة ويكون خاضعا لهما لكي يمتنع ضرر ذلك ويقوم نفع هذا فتحصل المغايرة .

* البخل *

هوذا ضجيج عظيم آت من كافة أقطار الارض صراخ شديد يدوى تموجه
فى المسامع فأميلوا آذانكم ياقاصدى التفتيش واصغوا لترى ماهذه
الضوضاء الآتية من بعيد وعلام ذلك الصياح المرعد * هاقد بدا
يلوح لى ان فتنة كبرى تثور فى العالم نعم فتنة كبرى آخذة فى الثوران
لان أصوات لعنات وشتائم تتوارد الى آذانى محمولة مع طلقات الضجيج
فما سبب هذا الافتتان العظيم وعلى من يدور مداره * لعل ذلك على
البخل لان اكثر تلك اللعنات والمسبات تنطبق على اسمه كما تسمعون
بلى على البخل على البخل ولا يوجد ما يستحق نهوض العالم لضده نظير
البخل لانه يجتهد على الدوام ان يحتشد ارزاق البشر ويحشر قوت العباد
احتشادا وحشرا يوجبان خلل النظام العام واستعباد الانام * وها ان
قائد البخل منتصبا لدينا تجاه الكرم وهو قابض بيديه على ساعد دولاب
المعاملات ومساعد قيام الحياة فلنوجه خطابنا اليه قائلين
هاقد نهضت المسكونة عليك يا ايها الروح الخبيث قائد البخل والشح
وها جميع الناس يقذفونك باللعنات والمسبات فأنت مستوجب ان
يحكم عليك بالخذل والرذل بدون تردد لانك تود أن ينغلق كل باب لتقدم
الخلائق وتنفتح كل سبل التقهقر * فتخزن الاموال ولا تدع لها منفذا
أما تعلم ان العطاء ينهج طرق الخير ويسند أخاك الجائع * وتكنز
الدنانير والدراهم فى اعماق الصناديق حذرا من ان يلامسها الهواء
أو يمسها الضياء أما تدري ان الدراهم قد صارت الآن محور المدار على
المعاطاة وان حجزها يضيق دائرة العلاقات البشرية ويعيق تبادل
المعاملات * وتطرد كل سائل ومحتاج ولو على فلس وتميل عن كل عمل
كريم أوسمة تقتضى بذل الورق أما تعرف ان العضد الاعظم لترتيب
حياتك يؤخذ من مثل السائلين والمحتاجين فهم يبنون دارك
وحانوتك وهم ينسجون ثوبك ورداءك وهم يجهزون كل أدوات
طعامك وشرابك وهم يتسارعون اليك من كل الجهات ليحرسوك

من وثبات المختلس وهجمات العدو وهم يمدون أيديهم اليرفعوك لئلا تعثر رجلك بحجر واذا تتشبث حريقة فى منزلك القوا أرواحهم لينقذوك وأولادك ويحموا أمتعتك فلماذا تدوس فى أعناقهم اذا انطرحوا تحت قدميك يطلبون اسعافا ولماذا تعرض عنهم وتشتمهم اذا امدوا أيديهم اليك ليطلبوا اسدادرمقهم حتى اذا أمكن للالحاح ان يقتلع من فولاذ يدك بارة واحدة استشعرت بألم اقتلاع الضرس ولماذا تعصى الآمر باشباع الجائع وستر العريان أما تخشى وقوعك فى ثورتى الدنيا والآخرة * وكم تهجس على مقعدك فى أمر التوفير وتتصل به الى حسابات وكميات تفوق طور الادراك مرتقيا فى سلسلة التضعيف والضرب حيث تقول فى ضميرك انى من الغد سأشرع فى تنقيص كمية اللحم والبقول والزيوت وفى اجهاد الاولاد فى تتميم الاعمال الخدمية استغناء بهم عن الخدم ولم أزل أنقص مقدار الطعام وأعوّد الاولاد على الخدمة حتى نصير أخيرا قابلين ان نعيش على النزر من الخبز والقليل من الجبن أو الزعتر وقادرين على قضاء كل الاعمال الشاقة وبهذا العمل يمكننى ان أجمع كل مال العالم لان درهما ودرهما درهمان ودرهمان ودرهمان أربعة دراهم وأربعة دراهم فى أربعة دراهم ستة عشر درهما و١٦ × ١٦ = ٢٥٦ و٢٥٦ × ٢٥٦ = ٦٥٥٣٦ وهكذا ترتقى من المضروب الى المضروب فيه الى ان تبلغ الحاصل الاعلى حيثما لا يوجد رقم ولا يجرى قلم وحينئذ تأخذ نفسا وتقول ها أنا مزمع ان املك العالم بأسره وأوقف كل دواليب الاشغال وأجعل الناس عبيدا لى * نعم ستفعل هكذا يا هذا البخيل ولكن بعد ألوف من السنين اذا لم تعتب بداء التكميل فليعش رأسك الكريم ولينجح مقصدك العظيم ولا عتب عليك اذا افكرت فى نفسك هكذا لانك ترافق القمر فى مشروعه فكأن هذا الجرم يخال انه سيوقف دوران الارض بعد عدد من الوف الوف من السنين لا يحصى وذلك بتأخير جاذبيته لحركتها ستين ثوان فى كل جيل

هكذا تخال انت ايضا انك ستوقف حركة الاشغال بجذبك كل الاموال من ايدي الناس وتعود منفردا بالسطوة والغنا بعد العمر الطويل فتبا لهواجسك وبعدا لمقاصدك وسحقا لك اماترى كيف تخفق على البشر اجنحة الموت بينما يكونون غارقين في لجج مطامعهم وتأهباتهم وراتعين في حدائق افراحهم ومسراتهم أما تعلم ان السارق قد يأتيك من حيث لا تعلم امايلوح في رأسك الممتلئ من افكار الثرا مساء فكر واحد بامكان انحداره في حفرة الثرى صباحا ولماذا هذا البخل الكثير وذلك العناء الغزير وهبك ملكت خزائن الملوك وجمعت كل ثروة العالم أليس مصيرك الى الزوال والفناء وأنت حامل على ظهرك كل تلك الاحمال الثقال وهل يمكنك أن تمد عمرك الى امد أطول مما تقتضيه الطبيعة وهل تستطيع ان تردع بقوة أموالك مسير المركبات الى الانحلال فسوف توجد راحتاك المنقبضتان على كل تلك الكنوز التي جمعتها بالوهم منبسطتين اشارة الى خروجك من هذه الدنيا بلا شيء وربما لا تجزى ممن يرثك بسوى اللعنة ولو كان ابنك الحبيب الذي به سررت * فلا يعتب العالم اذن اذا أثار عليك الفتن يا قائد البخل وارتفعت أصواته ضدك وتبادرت قواته الى الفتك بك لانك أنت العدو المبين له ولكل صوالحه وأنت المصر على هتك ستار هيئته واستعباد قلوب أبنائه بحشرك أهم أدوات مداره * ومع كل هذا فلا يأس من تركك ظفرك في جسد التمدن لتكون مانعا لهجوم التبذير الكثير الضرر ولكن يجب أن تكون محوطا باوامر الكرم لكي تحصل الرتبة المطلوبة ما بين التبذير والبخل *

* الضغينة *

من هذا الرجل المنتصب تلقاء عرش التمدن ذو الاسنان المكزوزة والاعين المتوقدة بالشرر من هذا الوقف وقوف النمر المستعد للوثوب على الفريسة هل هذا هو قائد الضغينة * نعم هذا هو قائد الضغينة المستعد لان يغدر بكل من يمحضه السلام و يركن اليه * فيا أنت

لما أيها الروح الحقود سوى عذاب اليم للارواح لانك متى اوقعت امارتك فى أحد أعدمته الراحة والسكون وجعلته كالوحش الجاثم على ما يفترسه فلا ينام الا على فراش الغضب ولا يستيقظ الا بأعين الانتقام ولا يروى الا بكرع الدماء ولا يجد فى نفسه حركة حرة لانه يقضى الليل والنهار مملوكا للحقد ومأسور الحب انتقامه وواقعا فى خطر مبدآت كفايته وهكذا فيعيش عبدا وأسير الاطواره ومعادى ومباعدا من معاشرة الذين يستلمحون طلائع هجماته فيجتنبونه * فلا ريب اذن فى اضرار هذا الروح لائتلاف البشر اذ أنه يوقع النفار ما بينهم ويبعد بعضهم عن بعض خلافا لما يطلبه ميلهم الى الالتئام فى دائرة التمدن توطئة للاعتضاد فى الانتفاع فمن الواجب والحالة هذه ان يكون الصفح مرافقا قائد الضغينة وزادعا جماحه كما يجب على الضغينة ايضا ان ترد اندفاع الصفح فى بعض الظروف حذرا من انغلاق ابواب السلام وانطلاق اشواط التهافت ولكل وقت وأوان

(النميمة)

مالى ارى هؤلاء القوم يرشقون هذا الشخص السابع بنظرات النفور والاشمئزاز ويبعدون عنه كانه جيفة نتنة أو جرب معد وجميعهم يومئون اليه بالبنان ويتوامرون ولماذا كل يظهر اشارات الخوف منه والابتعاد ولماذا قد أطبق الجمع على اجتناب هذا الرجل المسكين حتى لم يعد احد راضيا ان يكلمه او يلقى عليه السلام فليت شعرى هل هذا رجل النميمة حيث لا يوجد من يستحق معاملة كهذه سوى النمامين * نعم هذا هو رجل النميمة وقائدها ولذلك يتحاشاه جميع الناس ويبتعدون عنه غاية الابتعاد حذرا من آثاره الرديئة واطواره الذميمة لان دأبه ان يهتك حرمة الاسرار ويكشف الستر عن معائب البشر ويظهر كل الاعمال الصادرة منهم سرا حتى انه يغفل هذا امع اخص اصدقائه وربما تعمد أن يصاحب احد ليطلع على خفياته بالاستنباع ثم يذيعها

بالنميمة ولا يبالى من ارتداد وجعه على راسه فى احوال شتى وذلك عند
ما تستقر الخيانة فيه فيستوجب لعنة الجماعة و يعاقب بالصد والجفاء
مثل الافعوان الاسود الذى اذ يلسع تنسحق أنيابه و يسيل منها سم
فيمتصه فيموت ❊ فلا شك اذن فى عظم اضرار هذا الروح الخبيث
وبكل عدل يجب طرده من عالم الآداب والتهذيب وكسر شوكته وبكل
حق يتعين النفار عنه واجتنابه على من ليس يرضى بهتك اسراره
وخفياته ولا يوجد اصعب على الانسان من وقوع اعماله السرية فى
ألسنة العامة واظهار عيوبه ولو امكن وجود انسان خال من
النقيصة لحق له ان ينتقد نقائص غيره ولكن يمتنع وجود ذلك فلا حق
فى الانتقاد لهذا ❊ ولما كان السقوط المطلق لقائد النميمة قد يفتح
طريقا لهجوم الاشرار على عمل العيوب بدون خشية كشف النقاب
الذى يردع كثيرين عن الكبائر بلجمه جماح الشهوات كان الافضل
ان يبقى له صوت فى آذان العموم لاجل التهديد ولكن بشرط ان يكون
زمامه محفوظا فى يد الكتمان

❊الكذب والنفاق❊

أما انت يا قائد الكذب والنفاق فلا تعتبر الا كهادم لمبانى الآداب
الانسانية ومفسد الاصلاح الغريزية ومستعبدا لحرية الفطرة لانك
متى أوقعت احكامك على احد أحدثت فيه بلبالا عظيما ظاهرا وباطنا
اذ تجعله الخصم الالد لضميره كلما فتح فاه وتبقيه اضحوكة فى افواه
سامعيه فتكسبه العار والفضيحة حتى انه يعود متقلبا على جمر الندم
ومشمولا بقنوط النفس كلما خلا فى نفسه وتبصر بما أنشأ لسانه من
الاكاذيب والنفاق فى مسامع الناس و بما سيرد عليه من التكذيب
والاذلال فينثنى مصمما أن يحفظ لسانه من شين المين ولكن غلبة
الملكة لا تسمح له بذلك مالم يحتمل مشقة عظمى فيعيش اسيرا وعبدا لك
يا قائد الكذب والنفاق ❊ ولما كان الطبع البشرى يأنف

ويستنكف جدا من تكلم الخلاف ولا يميل الا الى صدق المقال واثبات الحقيقة كان الانسان الذى لا يصدق بلسانه ولا يستقيم بجنانه مكروها حتى من نفس طبعه أيضا على انه يرى تطبعه مضادا طبيعته فيكره نفسه ❊ فيجب على كل من الناس ان لا ينقاد الى حكم هذا الروح الشرير المذمومة أظفاره عندما يكون التعوّد سهلا وان يرفض كل تلفظ ينسب اليه مهما كان وهنا الان الذى يبتدئ بالصغائر قد تهون عليه الكبائر الذى يفكر فى القليل يتصل الى الكثير لان الفكر من شأنه ان يطير بأجنحة أدنى تصوّر الى قبة فلك التصوّرات حيثما لا يوجد نهاية ولا قرار ❊ وهكذا فلا جناح على ملك التمدن اذا كان يهلك كل الذين يتكلمون بالكذب لانهم يسعون فى خراب مملكته بما تترك ألسنتهم المنافقة من الاضرار الكلية والجزئية كاثارة الفتن والقاء الفساد وتبغيض المحبين واغراء ذوى الغفلة والسداجة ونحو ذلك فهذه جميعها اطوار تعارض سير التمدن وتباين آرائه ولا تتفق مع نزاهة الطبع الانسانى بما فيها من الآثار الذميمة فلا ظلم اذا طرد قائد الكذب والنفاق طردا مطلقا لعدم نفعه فى شئ واقامة الصدق والحق مكانه ❊ ولما كانت الخيانة قائدة كل هؤلاء القوّاد وحاملة بيرقهم الاسود واصلا تتفرع عنه أكثر الخصال الناقصة والصفات الغير صافية كان الواجب ان يحكم عليها كما حكم على أولئك القوم وان تعامل بالطرد المطلق نظير قائد الكذب

لا عاش من للعهد خان خونا ❊ وبئس وغد لا يصون صونا
جرى أمامى الدهر فاتبعته ❊ عسى أرى خلافا وجدته
صحبت نذلا يستدر ودى ❊ وهو مولع بنكث عهدى
قد كان يدعو نفسه رب الوفا ❊ والآن فى ذكرى يهز الكتفا
أظهر لى الود ليجنى زهرى ❊ ومذ تولاه لوى بالظهر
فصار فحصى عنده زوانا ❊ ودررى أصبحت له أدرانا

عن مثل ذاداود قد تنبا ❊ قد أكلوا خبزي وداروا العقبا
لا بارك الله لذى الخيانه ❊ ولا رعى من لا له أمانه

❊ الفصل الثامن اليقظة ❊

واذ أتم الفيلسوف كلامه حنى رأسه لدى المنتصب الملوكي ونزل من فوق الصخرة وبينما كان السكوت يحكم في المربع لمعت بارقة تخطف الابصار وأعقبها رعد يزعزع أركان القلوب فسطقت على الارض ارتياعا ودهشة وبعد زوال هذه الوثبة الجوية نهضت من سقطتي لأرى ماذا جرى فغشي نواظري ضباب التحير ولبثت عديم الحركة لانني لم أعد أشاهد شيأ مما كان اذ وجدت نفسي منفردا في برية مخفضة لا نبات فيها ولا حيوان ❊ وعندما أجلت نظراتي في اقطار هذه الفلاة القفرة أخذتني رعدة الخوف والهلع وشملتني شمول الكمود والكآبة وعدت حائرا في أمري فسكوت الموت كان يحوم على هذا القفر الوجوم ولم يوجد فيه من الكائنات سوى أتربة تبعثرها أرجل الرياح وحصباء توهم فراش بحر جاف وصخور تشهد على قساوة الزمان وكان الشفق كالحديد المحمى يتطفأ على كور المغرب بمنظر يستفز الكروب ويستهز الرعشة ❊ ولم يكن مسموعا في هذا الغور الراسخ في حضن الوخدة سوى نعيب البوم وصراخ ابن آوى وكلما كنت أثبت تأملي كان يتزايد في باطني حزاك الكمد والكرب وكلما أطلقت أنظاري الى السماء لأنال تعزية رددتها ممتلئة من البهتة والجمود لانها ما كانت ترى سوى سحابات متوقدة تندفع من الجنوب الى الشمال طارحة على الارض نارا ودخانا ❊ وبينما كنت أردد أفكاري في هذا المشهد الصامت وأسرح نواظري في هذه البيداء المجدبة واذا تل مرتفع يلوح لي فسرت اليه وصعدت على قمته ووجهت وجهي الى جهة المشرق حيثما كان القفر يسبح تحت أعمق في تيار الظلام واذ أعطيت صغيا سمعت صوتا ينادي من بعيد هكذا ❊ هذه برية الشهباء فلتبشر بقدوم الخير ❊ فقلت في نفسي من أين

سيأتي الخير الى هذه القفار المجدبة والساقطة من أعين العناية منذ ألف سنة فأكثر ان في هذه البشرى ضربا من المحال ثم التفت الى جهة الغرب لعدم اهتمامي بسماعته واذا مد من الاخضرار يتموج من جانب الافق وكأنه يهم ان يندفق على كل تلك القفار اليابسة فشملني العجب العجاب وأخذت أشخص في هذا المظهر العجيب ذي الجمال الغريب . وبعد أن تفرست قليلا سمعت صوتا ينادي من خلال الغمام وينادي قائلا ابشري ابشري يا برية ارام القديمة وافرحي وابتهجي باشهباء سور يا فهذا العناية الملوكانية مقبلة اليك والمراحم السلطانية هاجمة عليك فلا عاد يفترسك المحل أو يهتك بك الاهمال فلما سمعت هذا النداء الكريم طفقت أرجف من شدة سروري وفرحي وقلت لاشك ولاريب في قدوم الخير والرخاء الى هذه الديار المستعدة لقبول كل اصلاح لانها قد وقعت تحت أنظار عناية حضرة ذي الشوكة والاقتدار عبد العزيز خان دام ملكه مدى الدوران وقد تشرفت بنعمته وجوده ✻ ومما شملني من الاندهاش أنبت نواظري في متن الافق وبينما كنت مشخصا فيه رأيته قد استحال الى بحر من النور الساطع وأخذ يتلألأ كالشمس الضاحية في السماء الصاحية واذلم يعد يمكنني النظر الى هذا المشهد المنير أغمضت أعيني على غشاوة الانبهار وأخذت أضرب في أودية الهواجس ولما فتحت أجفاني وجدت نفسي مضطجعا على فراش النوم تحت سماء اليقظة

✻تم الكتاب الاول وهو غابة الحق ويليه الكتاب الثاني وهو مشهد الاحوال✻

هذا هو الكتاب الثاني من تأليف
فتح الله افندي مراش
وهو مشهد
الاحوال
م



حال الكون

وجود لا حد له ولا مدى وبدء ليس له ابتدا يفوق طول العيان فل
يره بشرقط ويسمو على ادراك الاذهان فلا يمثله الا ذاته فقط حتى اذ
ما لمح كمالاته المجيده واستملح عنايانه المؤيده أوحى الى الابواب
السرمدية فانفتحت وأوعز الى غوامض الحركة فاتضحت فاندفع الغبار
الكوني من تلك المصارع الدهريه وانتشر في هاتيك العرصات الابديه
واذ تبلبل بعضه تسلح بالتجاذب وحمل جمل التجارب فانطبق كل
على قرينه بالالتصاق طبق ايعاز الخلاق فنجمت العوالم الكرويه
شموسا وكواكب دريه وانطلقت ثانويات تلك الملاحم الكونية
أجيج شب من صراع ذلك الجم الغفير فاحرق دقائق الاثير حتى انبجس
نور الاحتراق وأثار غسق الانطباق فكانت الحرارة في الاكوان
نظهور النور للعيان ولما استكملت تلك الجاريات جمادا بعد
انتقادها أجيالا وآمادا نضجت نضوج الثمر في الكمام وانشغل الفضاء
بالاجرام وهالك منها البعض كعطارد والارض ولما أصدرت الحرارة
عنصر الضو تمازجا فانبثقت منهما كهرباء الجو فهالك ثلاثة متوالد
قن في ذات واحده فحصت الكائنات وتحركت الساكنات
وتنوعت الحركات وتجنست وتفاقت الآثار وتكردست واذ الاحت
الارض لتلك المؤثرات صلعاء قفرا قالت فلنكسها باذن الله جمال
البردة الخضرا فانضم عنصر الناريات النواهض واتحد أصل المل
بأصل الحوامض حتى ترتبت الاصول فتداخلت بالاتحاد وتفاعلت
على بعضها المواد وهكذا نهضت الحياة بين تلك الاصول الراقده

فنبهت

فتنبهت الى النمو والحركة سواكن الذرات الجامده فهب النبات للجمال
من وراء تلك الفواعل الغارسه حتى اخضرت اليابسه وأصبحت
الوحشة مأنوسة وآنسه فما كان الله ليرضى أرضا بلا ساكن وقوتا بلا
بدن ولذلك دعا تلك القوة الحيوية الى التعاظم ونبهها الى التراكم
فتعاظمت القوة الحيوية وكملت وشملت أصل الحركة وجملت حتى
انتشرت النطفة الحيوانيه بعد استكمالها مقومات البنية العضوية
فأخذ الحيوان يتجمل ويتكمل ويتوالد ويتسلسل ولما تعدد أنواعا
طلب أتباعا فحمل كل على قريبه حمل البعول حتى برزت المسوخ
والنغول وهكذا احل الهواء جانحه والماء سابحه والتراب سارحه
ولم يلبث ان خلق الله الانسان فكان علم الاكوان

﴿حال الجماد﴾

نزاع دائم فى دقائق الجماد وصراع لا يفتر له انقاد فاذا انطبقت العناصر
تصاب بالجمود والقرار واذا انحلت انتشرت أو سالت الى أهوية وبحار
فالصخور تتحلل والمياه تتسلسل والهواء يتبلبل فعراك لا يقف مداره
وعراك لا يقر قراره وبذلك تخترق المعدنيات فتنهض المرتفعات
وتذوب الجامدات وتجمد السائلات وتفقد العيون سلسالها وتزلزل
الارض زلزالها وهكذا الا يزال الجماد بين اجتماع وانفصال وسلام
وقتال ولا تبرح الحركة بين اقتراب وابتعاد وجمود وانقاد حتى تقوم
الكائنات المختلفه وتبرز الاصول المتصفه بالحياة والثوران
كالنبات والحيوان

﴿حال النبات﴾

فهب النبات من مرابضه الحيويه وانتشر على سطح الكرة الارضيه
فتوج الجبال ووشح التلال وظلل المنحدرات والوديان وجلل
السهول والعيقان فتكلل الشجر بالسحاب والتحف النبت بالضباب
وما زالت الطبيعة تفلح المثوى والارض تصلح المأوى حتى تنوعت

الاجناس وتحددت وتفردت الانواع وتعددت فذهب النوع يحمي ذريته والشخص يحفظ بنيته فاعضاءتهم بالتثبيت والتشييد وأخرى تخدم للتوليد والتجديد واجزاء تردغارات التقلبات والآت تردع طبائع المؤثرات كتضعيف اشتداد الضو وتلطيف كثافات الجو فالزهور تبتسم عن أصول الحياة القوتيه والجزور والاوراق تستق وتنتقي المواد الغذويه على حالة البهيميه فيتقوم الجهاز العضوى ويتشيد البنيان الحيوى ليكون طعاما للحيوان ومقاما للانسان فكان النبات طباخ الاكوان والحيوان أكال الالوان ولما كانت الحياة عرضة للعوارض وموقعا للقوارض جعلت اجناد ذلك الوجود الاكبر تغذو قوائم هذا الكون الاخضر فبينما الجذوع تتيه بقاماتها النضره والاغصان تزهو بأوراقها الخضره والرياض تبتسم بأزهارها الذى سقوط الانداء والغياض تهتز بأدواحها رافلة بمطارف الافياء يهب الجو عليها براعجات أهوائه وساخات أنوائه فتنقض الصواعق آخذة بالجذوع فتناصب بالمجوع وتفتك السيول بالجزور وتنثر عقود الزهور فبينما الكل يكون ملاعب الحوادث الجماديه وفرايس الطبيعة الحيوانيه لاخراجها عن فصلها وايلاجها فى أصلها

حال الحيوان

ولما استكملت الحياة اتقانه وأحسنت القيام احسانه تحركت على الارض فكانت حيوان وانتقلت بالارادة الى كل عيص ومكان فربض الوحش فى الاحجار وسكن الطير فى الاوكار ونام السمك فى الابحار والانهار وهكذا سار البعض على الاربع وساح والبعض خفق بالجناح على الرياح والبعض فى الماء سباح ولما على مائدة الحياة أمكن النقاء الشديد بالضعيف والثقيل بالخفيف والكبير بالصغير والطويل بالقصير انشأ الكل قتالا وخصاما فكان كل لسواه طعاما وهالك انيابا بالتمزيق تمزيقا ومخالب تشقق تشقيقا واظفارا

تنشب نشبا واطرافا تضرب ضربا فعراك عظيم لا يخمد شراره ونزال أليم لا يفتر أواره والموت يفتك فتك الشجيع وهو خاتمة الجميع

﴿حال الانسان﴾

ولما تم الانسان في جنسه وعلم علم نفسه نظر الى الكائنات فادركها وجد وراء المعرفات فادركها حتى اذا ما أطلق على المحيطات به نظر المنتقد وميز الاشياء وفصلها بفكره المتقد ما لبث ان مد على الكل ظلال رايته واخضع الجميع تحت رياسته واذ أخذته جانحة الطمع وغلبت عليه ملكة الولع وهام بحب الذات وبالفوز على الذوات ثارت الموجودات عليه بطبائعها ونهضت ضده الاكوان بشرائعها وأخذت تدافعه وتصارعه وتطالبه الوجد وتنازعه فنضى سيف حكمه وحكمه وأخضع الكل تحت قدمه فكان غلبه غلبة عليه وادراكه مصيبة لديه لاسيما اذ عرف الزمان وميز بين الآن والأوان فغدا يصارع الحاضر ويرتعد من المستقبل ويأسف على الدابر فراحت الحوادث تطارده والايام تعانده حتى أصبح هدفا للاحوال وعرضة للاهوال تارة يهيم بطلب المسرات وتارة يضج في حرب المضرات وبينما الملذات تحيط بقلبه تحدق الآلام بلبه فما ابتسم الا وبكي وما شكر الا وشكى واذا فرح بضع أيام حزن بعض اعوام فلابد لافعاله من رد ولوصله من صد يرى الدنيا دها قابا للملذات ولا تسقيه سوى الآفات فيعيش فريسة لآماله ويموت خائبا من كل أعماله وهاك هذا المقال منسوجا على ذلك المنوال

صاح بي الدهر فاتبعت مسيره ❋ لا ارى أين أين أين مصيره
ظل يحدي ظعني على الارض حتى ❋ طلع الظعن والطريق عسيره
قلت يا دهر هل قراري بعيد ❋ قال لي انظر بعينك الشريره
فتأملت أين سرنا وصرنا ❋ واذا نحن وسط أرض كبيره
قلت هذا المقام قال نعم قلت ❋ وماذا ايدي فقال الحيره

قلت لاخرت ذا خملق مغتبا * ظا كوحش بأعين مستديره
قال لي مه ياعاصيا فهنالك قد * سقت كل الورى فالك خيره
قلت أني ولم أجد غـير قفر * فيه أبكي وحدي دموعا غزيره
قال ماأنت وحدك اليوم باك * كل عين بدمعها مغموره
* انما المرء لايرى غير بلوا * فلابن الانسان عين قصيره
فتمعنت نزهة واذا الاشـياء بانت لباصرى والبصيره
قد رأيت الانسان ملقى على الار * ض كملقى بحر بقفر بجزيره
تايها بائسا ودهر الشقايد * عوه في التيه أن يكون سميره
يطلب النصر في منازلة البو * س وهيهات ان يصيب نصيره
واذا ما الامال سرته فالخيبة تأتي لكي تزيل سروره
كل نفس مظلوقة اسر قصد * وبقيد الضروف أضحت أسيره
فدموع تهل من كل عين * ترمق الدهر وهي منه ضريره
وقلوب تضج في لهف اليأ * س من الفوز بين غير وغيره
* فملوك تدور في طلب الملك فتمسي على الفنا مستديره
يستثيرون جرة العنف والدنـيا عليهم نار العفاء مثيره
ورجال من كل وصف وصنف * وذوات من كل شان وسيره
كلهم راقصون في مرسح الدنـيا وكل يبكي بعين كسيره
وكذا الكل منشد نغمة العيـش ويشكو سروره وشروره
فجميع الانام راكضة ركـضا الي القبر وهي عنه نفوره
عندما هذه الجرائح بانت * لي ودهري أفاد في تعميره
قلت والله لاطربت بعيش * في زمان أنا غدوت خبيره

حال الرجل

فوالج الرجل في الدنيا حاملا على كاهله البلوى فكانت له بئس المأوى ابان اندفع يفلح الثرى ليستنبت القوت بالشقا فيحيي باذل القوى وما بدون ذلك يحيي ولا حياة من السوى فيسقي الارض من عرق الجبين

وروى وبقوته شددها وقوى فانبتت له الخبز وأعارته الحجى وأنالته الداء والدوا واحلته المحل الاعلى فارتقى وتعلى وسعى فى سبيل الكدح واعتنى فحسن لديه المسعى وطاب له المرعى ومازال ان تصلف وطغى وعلى الخليقة بغى فدك الاطواد العليا ونسف ثبيرا ورضوى ليمهد المشى فيبلغ الاقصى ويقصر المدى واقتلع الشجر الاقوى وفطر الصخر الاقسى ليبتنى السرادق والمغنى فينعم فى ظل المأوى ونحر الانعام ليشبع ويتقوى واستخدم البهائم ليتسلط ويتعلى حتى اذا ما على الكل استوى وامتد حكمه حتى الى السهى نهضت ضده الدنيا وشنت عليه غارات البؤسى فانكرته النعمى فارتد يخبط فى البلوى ويهيم فى وادى الردى على طريق الفنا حيث يرجو المنى من أيدى المنى حتى جعل يضج بالشكوى ويطلب الخلاص فلا يعطى فذهب يستوجد اقدارا وقضى ويستوجب أحكام الخفا فامل وترجى وبالاوهام تملى وعلى المحال دنا وتدلى فلولا الرجا والذكرى لبخع بنفسه وقضى والى ربه مضى

ماذا تشاهد فى دنياك يا رجل ❊ ماذا ترى فى وجود كله وجل
ذا مرسح فى خباه الدهر يلعب ما ❊ يستحضر الصاحبان الياس والامل
حكمت فى الارض مطلوق اليدين فلا ❊ يعصاك بحر ولا سهل ولا جبل
كل الخليقة قد ألقت أزمتها ❊ فى راحتيك فانت السيد البطل
فالعينك تبكى وهى راضية ❊ وما القلبك يشكو وهو مبتهل
خلقت للكد فى هذه الحياة فكن ❊ ماشئت سيان منك الكد والكسل
وقد سلكت على هذا الثرى هدفا ❊ لكل ضيم فلا ريب ولا عجل
لكل سن هموم للفتى وعنا ❊ لا ينقضى الهم حتى ينقضى الاجل

❊حال المرأة❊

ولما استوت الطبيعة على كيانها ❊ وتمكنت فى بنيانها ❊ طلبت الحفاظ على دوامها ❊ والذب عن قيامها ❊ فكانت المرأة ظرف

تلك الظروف ❊ وغصناداني القطوف ❊ فبادلت الرجل نظرات الاقتراب ❊ وغازلته مغازلة الاحباب ❊ فرتع في رياض جمالها واقتطف ثمرات كمالها ❊ حتى تماوطائف الاقتران ❊ وحفظانوع الانسان ❊ وقد أشيرالى ذلك في ثمرة العصيان ❊ فحبلت المرأة وتوجعت ❊ وتمخضت وتفجعت ❊ فاندفعت الى التربية والرضاع وتهذيب البيت والمتاع ❊ بينما الرجل يفلح الحقول ❊ ويستغل البقول ❊ ويكدح ويكد ❊ ويجهد ويجد ❊ ولما أغناها شأنها عن المتاعب الدنيويه ❊ والمصاعب الارضيه ❊ وقعت في هموم الهجس وغموم الهدس ❊ فتطلبت الحلي والحلل ❊ وهامت بالرقة والغزل لتختلس نظرات النواظر ❊ وتسترق خطرات الخواطر ❊ حتى اذا نجح رغابها ❊ ولم يخب طلابها ❊ رجعت بصفقة المغبون ❊ ذارفة عبرات العيون ❊ وتنظرالى المرأة نظر المتعجب ❊ وتقول كيف هذا الجمال قد غلب ❊ واذا ظفرت بالمطلوب ❊ وانتصرت على القلوب تاهت بفوزها وتباهت ❊ وبدلالها تناهت ❊ وكلما دنت فاستدنت ولوت فاستولت ❊ وللتصابي أولت ❊ واذا نفيس نفس أهملها وفي غرورها أمهلها ❊ رجعت فاسترجعت ❊ ونجعت فاستنجعت ولم تزل بين ورد وصدر ❊ وبيان وحسر ❊ الى أن تسقط دولة ذلك الجمال الباهر ❊ وتذبل زهرة ذيالك الشباب الزاهر ❊ فتعود تصدع الاذان بقصص صباها ❊ وسير مرباها ❊ ولا تشتغل حينئذ الا بجمع الاشباح وبتفريق الارواح ❊ فتصبح خابطة خبط العشواء ❊ وضائعة في الغارة الشعواء ❊

الحسن في الوجه سريع الزوال ❊ فلتعلم الحسناء ذات الدلال
الحسن سلطان تسود على ❊ عرش الصبا ان يزل ذاك زال
يصبح في عجز فتصدمه ❊ وكم وكم سطا علينا وصال
اليوم وجه حسن وغدا ❊ يلبس هذا الوجه أقبح حال

فتختفى أنوار ذاك البها * وتنطفى جمرة ذاك الجمال
السيف ينبو والقنا تنحنى * وليس يبقى للنزال رجال
يا ربة الحسن جمالك لا * يدوم الا كدوام الخيال
فحسن وجه ذاهب كالهبا * وحسن طبع راسخ كالجبال
فجملى الطبع وحلى النهى * لتقتنى الحسن العديم الزوال
هذا هو الحسن البسيط وما * للجوهر البسيط قط انحلال
لا ينفع الفرع اذا لم يكن * للأصل نفع كيف صال وطال
الفرق بين الفرع والاصل مثل الفرق بين الدين والراسمال
فليحذر الافلاس من لم يكن * ذا راسمال والدوام محال

أما المرأة فهى جوهر بديع البنية واللطافة يشف عن كل رقة وظرافة ولذلك فهى شديدة التأثر كثيرة التفكر سريعة التذكر ولها فى الفهم عقل دقيق وفى العلم ذهن رقيق الا أنها بطيئة الاختراع والتبيان سريعة السهو والنسيان ولشدة تأثرها وغموض تبصرها كانت حليفة الجبانه سهلة الامانه ومن شأنها حفظ الوداد والادب وسرعة زوال الغضب فلقلبها الوفا ولطبعها الصفا وبالاجمال انما المرأة جوهر الانسان وأجل كيان رغم كل عدوان

انما المرأة للمرء نصيب * وشريك ورفيق وحبيب
لا يطيب العيش الا معها * كل عيش دون الف لا يطيب
واذا ما نكدت عيش امرء * ليس تبقى فهى داء وطبيب
ما دعا تنكيدها يوما سوى * رجل عن معشر الانثى غريب
واذا ما عقد الدر على * عنق بغل لاح فى لون كئيب
وكذا الزنبق ان قرب من * أنف تيس عاد فى ريح كريب
هكذا كل لطيف فاقد * لطفه بين كثيف ومعيب
فاعلموا يا علما يا شعرا * يا صنوف الناس يا كل أديب
ان كل اللطف والظرف لقد * جمعا فى ذلك الجنس العجيب

أيها الجاني على مرآته * أنت والله من الذوق شحيب
بئس من يقتل بالانثى فما * هي الأمثل شاة وهو ذيب
أي فضل لصقور فتكت * بحمام أو لليث بربيب
واذا سلطك الطبع على * جسمها فالعقل سلطان مهيب
من غدا محكوم طبع ناشف * بات مرذولا من الطبع الرطيب
انما الزوجان ما بينهما * حق عهد متساو لا يغيب
فعلى ذي العهد أن يحفظ ما * أوجب العهد وان خان يخيب

(حال الطفولية)

هذا هو الدور الاول لحياة الانسان والغلوة الاولى في طريق الزمان حينما يقال للداخل طفلا مولودا وللخارج شيخا مفقودا ولما كان الانسان في هذا المدخل عديم البصيره خالي السريره عاريا من كل الكمالات الادبيه غير حاصل على تمام الوظائف العقليه فلا يرى الا ما يقوم قربه ولا يشعر الا بما يستعطف قلبه فيلعب بالتراب ويذريه ويعبث بالتبر ويذريه ويسخر بالمقبولات والمردودات ويضحك على كل الموجودات فلا يهتم الا بطلب الغذا ولا يحفل الا بما يورث الأذى واذا لا يبرح طائشا بخفة نيته وضائعا في تيه نيته فلا يسمع دوي ضوضاء العوالم ولا روي قوافي العظائم بينما يكون باكا تحت تأثيراتها وفواعلها ومتحركا وساكنا تحت جوازمها وعواملها ومسرعا في طريق حياته الى الدخول في أبوابها والغوص في عبابها فليت عينيه ترى ما يستقبله من الاوصاب وما يستنظره من الاتعاب فلم الثدي الا رمز الردي في طلب القوت وما المهد الا اشارة التابوت

(حال الفتوة)

هذا هو الدور الثاني للحياة الانسانيه والمساحة الاولى لانتشار القوى العقليه أو التل الاول في طريق الاجل ومسلك العمل فيصعد الانسان عليه وينظر العالم بعينيه فيراه مشهدا بديع الجمال ومرسحا

تلعب به الامال وترقص فيه الملذات والامانى وتحوم حوله البشائر والتهانى فيشمله شمول هذا الظهور وتلعب برأسه حمية هذه الامور فيبيت سكران بالافراح ومأخوذا برنين تلك الاقداح فيبسم مدى الاوقات ولا يعلم ما الآفات اذ يظل ملتفا بكساء الآمال ومحتفا باوهام الاعمال فلا ينظر الا الى ذاته ولا يحفل الا بصفاته هائما فى ملاهى دنياه ومتهافتا على جدائة قواه وهكذا فيهبط فى وادى هذا العالم الملم ويخبط فى ذلك البحر الخضم ولا يزال بين هبوب وانكباب الى أن ينشله الصواب ويدركه الشباب

﴿حال الشبوبية﴾

أما الشبوبية فهى الدور الثالث للاجل ومحل الكد والعمل وموقع اليأس والامل حيثما يوجد الانسان ضائعا فى مفازة العمر حائرا فى بوتقة النهى والامر فيرى نفسه قائما فى وسط هذه الدنيا منطقا بكافة الاشيا ملتطما بامواج العالم واهوائه مصروعا ومأخوذا بضجاته وضوضائه وهكذا فتنهض فى قلبه ثورة الحواس وتشب فى دماغه نار الوسواس وتصعر فى سريرته ريح الاحساس فيندفع الى منازلة الاقدار والايام ومقاتلة الحقائق والاوهام فتارة تهب به الآمال الى اوج الافراح والمسرات وطورا تكب به الخيبات فى حضيض الاتراح والحسرات يرى العالم قريب المنال فيندفع وراءه على متون الاهوال حتى اذا ما ظفر بالبعض طمع بالكل واذا فاز بالشبع رغب فى الظل فلا يكون الا مضغة فى أفواه المطامع وكرة تتلقفها القوامع ولذلك انما يوجد مهبطا للحوادث الحدثان ومسقطا لمكاذب الزمان ولا تزال زهرة هذا الشباب الزاهى بين ذبول وافترار ولا يبرح بدر هذا العصر الباهى بين خسوف واستقرار الى أن تنثر الشيخوخة تاج تلك الزهرة وتصفع المبرم وجه هاتيك القمرة حيثما يسقط الشباب من عرشه وترتفع المشيب على عرشه

حال الشيخوخة

ان حياتنا هي بخار يتصاعد قليلا ثم يضمحل نعم كل يضمحل كالضباب حتى الجبال تمر مر السحاب فلا دوام للوجود ولكنما العدم محال ولا طمع في الخلود فكل مركب للانحلال فلا يزال الانسان سائرا في طريق عمره سير المسافر في القفار الى أن يبلغ رابع الادوار وهو دور الدثار هذا اذا أمكنه الخلاص من لصوص الحوادث والمناص من الأسد الكوارث ونهبة الاعراض وقتلة الامراض فيلبث هناك منهوكا من تعب المسير ومضنى التأثير اذ يعوده منحنيا تحت أحمال الحياة وأثقالها ومرضوضا من صدمات الدنيا وأهوالها فتصمت ضوضاء حواسه وهواجسه ويخرس رنين أنفاسه ووساوسه فيكف بصره وتجف فكره ويقل ذوقه ويكثر شوقه ويبخل حتى بالفلس ويزيد حرصه على النفس ويجود بالقلس فاذا التفت الى ورائه ورأى الدنيا التي قطعها والطريق التي تتبعها ظهرت له الاشياء أشباح أحلام ومراسح أوهام وكلها تسري نظيره الى الزوال كالطيف والخيال فيضحك على الجميع ضحك الطفل الرضيع اما اذا التفت الى الامام وطمع ببقية الايام حن الى الوجود وهام بحب الخلود ولا يزال الماضي يدفعه والحاضر يردعه والمستقبل يطمعه حتى تختطف عنان نفسه بازات المنية وتسلبه كل بغية وأمنية فيهبط هبوط البنيان ويغور في قبر النسيان حينما تسترجع الكليات جزئياتها وتسترد المجموعات مفرداتها

حال العيلة

ولما أشعر الانسان برسوم وجوده وأدرك لزوم حدوده أنف الشتات والانفراد وطلب الزواج والعقاد لينفصل عن هيئة الجهل ويتصل الى آداب العقل وفاقا الامكان نفسه وخلافا لعجز سائر جنسه فعاهد زوجته على حفظ العهد وحالفها على دوام الود وعلى قيود هذه

لشريعة أخذا يفلحان الطبيعة فجادت لهما بالاولاد وطبعت بهم لهما الانقياد فحن الأب الى بنيه ومال الابن الى أبيه وبقيام تلك الأحوال تقوّمت الاعيال وتبادلت بينهما الاميال وهكذا فالمودة الاقترانية والمحبة الوالدية هما أركان العيلة والتربية ولذلك فالنمو يحرض الافراح والنقص يحضر الاتراح فيا أن الويل للمفقود ويرن الهناء للمولود وما تلك الاعمار الطوال الا حياة أسماء العيال.

﴿حال الهيئة الاجتماعية﴾

ولما تقوّمت العيال وتبادلت الاميال أخذت كل عيلة تقترب من جارتها بالزواج وتقابضها أدوات النتاج فاشتدت الروابط بين البشر وانتصب عمود الوطر وشرع الناس يحاضرون والى بعضهم يسافرون حتى تشيدت بينهم المعاملات وتمكنت المبادلات فكثرت الحاجات الانسانيه وتفاقت الضرورات البدنيه حتى التزم هذا الى ذاك واحتاج ما هنا الى هناك وما لبث ان انتظم نثار البشر وانضم البدو الى الحضر وهكذا قد استحدث الانسان شرائع الانضمام وأنشأ مواطن الالتئام فنهضت مطامع النفوس وحامت السعود والنحوس حتى ثار الناس على بعضهم البعض وجعلوا يسقون بدمائهم الارض فساد هؤلاء واغتنوا وافتقر اولئك وعنوا فقامت الملوك والرؤساء وتمكنت الاسياد والامراء حتى لقي الانسان ما جناه وهلك بما جناه اذ أضحت الرؤس تنهشم تحت مطارق السياده والافكار تضل في مناهج القياده وأخذت الانسانية بما أبدعت من المتاعب ورجعت تشكو صروف المصائب فما مصائبها الا ما ربها وما أوجاعها الا طباعها ولما احتاج الانسان الى لوازم الحياة الاجتماعيه وبواعث السكنى الانتظاميه أفضت به الضرورة الى التمدن والالقاب وتجميل الطبيعة بالآداب ليحسن نظام الجماعة في سلك الاتصال وتسهل سبل الافعال والاعمال وتتميز الاشخاص المجتمعة وتتهذب الاطباع

المندفعه ومازال الاجتماع آخذا فى ازدياده والنظام سالكا فى انعقاده والضرورة تجهد المجرى والعقل يجد بالمسرى الى أن اتصلت القبائل بالقبائل ولحقت الاواخر بالاوائل

﴿حال البلاد﴾

واذا نظرت الى البلاد وجدتها ✽ تشقي كما تشقى الرجال وتسعد
ولما سكن الانس فى الانسان وجمع بين أشتاته الاقتران أنف البادية وأبى وألف الحاضرة وصبا فجعل ينصب المداين ويغرس الجناين فعوض الخيام بالقصور والدمن بالزهور والاوتاد بالدعائم القوائم والاطناب بالقناطر العظائم فيتحاشى غوائل الاخطار ونوائل الامطار حتى اذا ما اشتغل بمحل دون آخر بحيثما المقام آثر هرع اليه الجوار وأخذوا يستزيدون العمار واذا اتسع المحيط وعظم الخليط قيل بنى الامير المدينه أو دخل نوح السفينه وهكذا تنشأ البلاد وينتظم شمل العباد وبقدر أهمية المركز تتسع الدائره وعلى قبول تلك السعه تقبل الزائره وربما أصبحت المدينة مقاما عميا أو عالما عظيما اذ تعود مشهدا لعجائب الخليقه ومحل كل وهم وحقيقه فتموج فيها الناس موج البحور وتنصب اليها الركبان صب النهور وترن فى أسواقها قعاقع الآلات وتحتبك فى شوارعها مغامغ المركبات وتنفتح ساحاتها لدخول الملذات والآلام وتنطبق قاعاتها على عجاج الغموم والانعام حتى تجمع بين الافراح والاتراح وتؤالف بين الفساد والصلاح فتكون مرسحا لضوضاء البشر وموقعا لوقائع الصور ولم تزل تتقوى تلك القوه وتنتظم تلك السطوه الى ان يحقد عليها الزمان وتنهرها طوارق الحدثان فتأخذ بالرجوع القهقرى ونقصان العبقرى حتى تصبح رمة فى البوادى ومنهب الروائح والغوادى وهاك بابل ونينوى وصور وماشا كلها من ربات السور ومن يعلم ما ستؤول اليه مدينة باريس هذا المقام الاعلى والبلد النفيس حيثما أنا الآن أسحب مطارف المرح

وأحسى كؤوس الفرح متمنقطا بعجائب الآثار ومنشدا على قوس الانتصار

(موشحا)

بان في باريس لي كشف السما * فوق قوس النصر لا في بطمس
حيثما عاينت فيها كلما * طاب للاعين أو للانفس

(دور)

يا أخا الذوق على ذا القوس قف * وأرسل الطرف الى كل الجهات
والزم الحذر فكم طرف خطف * عندما استعلى على ذى الباهرات
فترى كل جلال لو وصف * مثل الثابت فوق السائرات
كل شئ حير العقل كما * حارت الافكار بالملتبس
وأعاد الكف يرجى القلما * مالاقلام هنا من أرؤس

(دور)

غير رسم النور ما جال هنا * مصحبا مرآته المستظهره
انما المرآة تستجلى لنا * ورق الغصن وتخفى الثمره
فكساق نحو ظام قد دنا * حامل الطاسات دون المطره
يا صحابى يمموا هذا الحمى * أنتم السارون تحت الحندس
تغنموا الصبح وتعطوا علم ما * كل نطق دونه فى خرس

(دور)

انني قد جئت باريس العلا * ورأت عيناى ما قد سمعت
شمت ما الانظرت عيني ولا * سمعت أذنى ولا روحى وعت
آه ما هذى المبانى والملا * هل بروج أم نجوم طلعت
كل حى أم جماد قد سما * وبثوب المجد والكبر كسى
مشهد يسطو على العقل بما * فيه من آى بها الدهر نسى

(دور)

مشهد هيهات يجلى للعيان * سره ما لم تجل فيه الفكر

انما الظاهر حظ الحيوان * بينما الباطن حظ للبشر
كل شئ لك فى ذا الافق بان * يقتضى درسا طويلا وسهر
فهو من ابداع فكر العظما * فى زمان الغال لا الاندلس
لو أتى هذا الزمان القدما * ضرسوا أيديهم بالضرس

(دور)

أدر الطرف على هذا الامد * وتأمل ذى الدرارى الزاهره
والانابيب التى مثل الغدد * تفرز النور لتغذى الباصره
وانظر الشهب المنيرات الجلد * كيف ترنو بعيون حاذره
غلب الليل هنا فانهزما * وتوارى فى عباب الاطلس
فالسماء الارض والارض السما * ههنا فاعجب لذا المنعكس

(دور)

وترى كل رداح للغرام * وضعت وهى عليه تحمل
ذات قد هو للحسن المرام * صنم والردف منها هيكل
أين من عندنه كالخوط القوام * وكتل الرمل ردف عبل
أيها الشاعر زرهذى الدمى * تكتسب منهن طيب النفس
هن فى باريس علم العلما * ولكل الناس كل الهوس

(دور)

مابدت باريس فى هذى السنا * قط لولا حب تجميع النشب
زينوها بالمبانى والبنا * والغوانى والاغانى والطرب
فسعى كل اليها ودنا * ينفق الفضة فيها والذهب
ولذا المال عليها قد همى * مثل صوب العارض المنبجس
خلسة طوعنية ماحرما * فعلها قط على المختلس

(وفى حقل الجنان أيضا قلت)

لست أدرى فى أى كون مكانى * هل أنا فى باريس أم فى الجنان
كل ماجاء فى السماع على الجنة ألقاه ههنا بالعيان

هاأنا وسط جنة تحتها الانهار تجرى لكن بها كوثران
كوثر فاض من جميع ينابيع الأماني وآخر من أمان
هكذا أنثنى وخلفى وقدا * مى مجال للحور والولدان
رب ليل قضيته وانا سكرا * ن سكرين فى حقول الجنان
بين غيد وغرد وغدير * وغيوم وغيهب وغوانى
كان فوقى ورق وتحتى زهور * وعلى جانبى صدح المثانى
وسطوع الأنوار من كل نبرا * س به البدر حار والفرقدان
ذى سماء تزينت بنجوم ال * حسن لا البهرمان والمرجان
فأمامى تجرى الكواعب من كل محيا يحيى جنان الجنان
سافرات عن كل سكر وسحر * باسمات والله عن مرجان
وعيون اذا رنت هبط القلب وأضحى يروغ كالسكران
حيثما الحسن فالهوى وهما الاكثر لعبا فى مرسح الانسان
فهما للحياة أصل كما اللذ * ذوت أصل لبنية الحيوان
بهما الناس فى اتحاد وضم * فهما للجماعة العنصران
لم تصب ذا المقام باريس لولم * تك فى الارض أجمل البلدان
كلما ازداد حسنها زادت النا * س هجوما اذا الجمال المنصان
فهى أضحت للخلق مجمع شمل * ولكل الغوانى مجرى رهان
ينفق الاغنياء فيها غناهم * فبها الرزق فاض كالغدران
واذا لم يعش أخو المال رغدا * فهو فى فاقة وفى حرمان
كل ما فى باريس لطف وظرف * وجمال وصحة الابدان
ليس فيها الذى النقيصة من رأ * س ولو قد علا على الدبران
واذا النقص فى موازين ذا الدهر علا فالكمال ذو الرجحان

(أيضا فى حرش بولونيا)

من ذا ينبهنى فقالت لى أنا * قم فالدجى ولى وصبحك قد دنا
قم فالسماء نضت لثام ظلامها * والافق لألأ والسنا بلغ السنا

حتام كالخالى تنام ضحى فهل * عنى سلوت ولم تعدبى مفتنا
ولقد عهدتك ثابتا مثلى على * حب جرى ميثاقه مابيننا
فوثبت أمسح أعينى وأجبتها * أهلا وسهلا بالصباح وبالسنا
والله قد قضيت ليلى باكيا * واذا غفلت فذاك مفعول الضنا
ندما على ماقد جرى أمس المسا * منى فها أنا نادم وأنا أنا
ولو لم أكن بك قد جننت لما بدا * سخط المحبة فاعذرى هذا الجنا
ولذاك لو لم أهو عتبك مازنا * طرفى لغيرك قط يا كل المنى
فتمايلت ضحكا وقالت طب فلا * عتب على من يستخير الاحسنا
ان الخيانة للرجال سجية * وهم الذين الى النسا نسبوا الخنا
يا أيها الجنس الذى لا يستحى * رفقا بجنس للحياء لقد عنا
فاجبتها والجفن يرشح كالوكا * والقلب من لهب الصبابة فى فنا
لا بدع ان أكن استخرتك لى اذا * فوسحر طرفك أنت أحسن من رنا
ولأنت أجمل من تجلى وانجلى * ولأنت أعدل من تمايل وانثنى
فرنت الى بأعين لولم أضع * كفا على قلبى لطار به الرنا
وتبسمت كالبرق نورا والتوت * كالظبى جيدا وانثنت مثل القنا
واشارة لرضائها قبضت يدى * بيد تحاكى زنبقا أوسوسنا
وبدت تغازلنى وقالت كلما * يبنى على أس الهوى نعم البنا
فهبطت عن عرش الكرى مستبشرا * ورحضت وجهى وارتديت الاثمنا
وأخذتها تحت الذراع ضحوكة * وكذا خرجنا والضحى يذرى بنا
والشمس قد أخذت بقيظ هجيرها * تقلى منا فسنا وتشوى الاعينا
فتخذت مركبة وسرنا سرعة * نسعى الى حرش ببولونيا كتنا
حيث الرطوبة والعذوبة والصفا * حيث المسرة والمدار على الهنا
حرش كأن الغاب فيه من القضا * هلعت فشبكت الغصون تحصنا
غاب بها الغزلان ترتع والمها * ترعى فلا وحش ولا غيل هنا
وهنا ضراب عيون عين لا ظبا * وكذا طعان قدود غيد لا قنا

وسنادس بالاقحوان تسمطت * فحكت سماطا بالكؤوس تزينا
وخمائل بالياسمين تسجت * فهناك سلطان الزهور توطنا
وجداول للروض منعطفاتها * أضحت أساور نعم هذا المقتنى
فاذا تاملت البحيرات التي * تجري هناك وبطها المتبطنا
لعجبت من بحر جرى في روضة * ومراكب سارت عليه بلا عنا
والجاريات ومن تجشم نبعها * هبطت به أيان تتبعث القنا
شلالة يهوى الزلال مسلسلا * عنها ويرجع دائرا متعنعنا
عجبا لماء قد هوى متكسرا * وعلى الكسور تراه يرقص في الغنا
فالصخر من بجبس الثرى ورماله * لاملح كلس قام من هدم الفنا
وكذا من السين المياه جرين لا * من ذوب ثلج في الجبال تمكنا
لكنها هيهات يمكن فاقدا * تمييز ذا المبني عن ذاك البنا
وجميع ذلك صنعة الايدي فما * ليد الطبيعة من مواقع ههنا
ومن اختفى ثقل النهار وحره * عدنا على الأقدام نطلب ربعنا

* وأيضا على جسر القناطر *

بين صرح القضا وجسر القناطر * قف تشاهد باريس ملء النواظر
وتأمل ذا البشر هذي الاماني * ذلك المجد ذا السنا ذي المفاخر
حيثما الطرف جال جالت به الدهشة والعقل راح كالضب حائر
عظمات بهن دائرة الانسان دارت على جميع الدوائر
فقصور شمخن حتى على النجم كذا قد نطحن هام القياصر
وجلال ظل الاوائل عنه * في نعاس حتى انتباه الاواخر
ههنا الكائنات تنفث بشرا * وجميع الوجود زاه وزاهر
ههنا الله قد أفاض على الكل * نعيما كالطل ما زال هامر
فثغور الرفاه باسمة الدهر وكاس المنا على الكل دائر
والصفا خاطر بكل الخوافي * والهوى خافق بكل الخواطر
كل هذا الملا جميل ولكن * بعض هذا الجمال للعقل ساحر

فغوان يرتعـن ما بين غيـد * سارحات كالخود بين الجآ ذر
محرزات الجمال من كل معنى * داعيات الى الهوى كل ناظر
كل نهـد كالعاج والمرمر المنحو * ت مستكمل التخلق نافر
وقوام كأنه صنم الاسرار يوحي بعشقه للسرائر
هيكل الحسن واللطافة لم يحـر * ق عليه سوى بخور الضمائر
وعيون سود على البيض تسطو * بانكسار يسبي الاسود الكواسر
يسترقن النهى بلحظة عين * ويصارعنها وهن فواتر
ووجوه يسفرن عن كل حسن * فبروحي تلك الوجوه السوافر
كل حسن وكل لطف عجيب * كل ظرف به العقول حوائر
لانطاق يثنين قدا ولا قد * غريق في الازر أو في المآزر
وبروحي رعبوبة فتنتني * وأنا ما على الصبابة قادر
لي شغل يعيقني عن غرام * فيه كل للعقل والرشد خاسر
كيف أهوى ولم أزل ضايعا ما * بين كتب وكاغد ومحابر
تارة أختفي بجزرة المو * بي وطورا في الروض بين الازاهر
والهوى يقتضي كما قال زيد * أن يكون الفتى عليه مثابر
رب يوم قد مزق الافق عنه * برقع السحب والضيا كان باهر
أقبلت دون موعدلي وقالت * أترى هل يا غائب الدهر حاضر
ذا نهار باه أجبت نعم قا * لت نعم أنت فيه لست بفاكر
قم بنا نغتنم دفاء نهار * مثله في باريس يا صاح نادر
قلت ويلاه من مناخ به يغـ * ـنم يوم الدفاء في شهر ناجر
فطبقت الكتاب والقلب فيه * وذهبنا لله صب مسا ير
وسرحنا حتى انتهينا الى عـر * ض التصاوير حيث عرض الاعاصر
فأردت الدخول قالت وماذا * لك في ذا المكان قلت مناظر
فأبت أن تذوق ذوقي وقالت * طول عمري ما عدت أتبع شاعر
قلت اني أهواك يا سعد لكن * أنا والله عاشق للمآثر

فادخلى العرض أوفخلى سبيلى * ان يكن أول فلابد آخر
فاستعاذت واستهلكت بى ضحكا * واقشعرت من ذا الجواب المهاجر
ثم لم ترض فرقة فولجنا * وأخذنا نطوف تلك المظاهر
وهى لى كالدليل تشرح ماقد * غم عنى شرحا كاحسن خابر
باصول كذى الصناعة حتى * خلت ذاقى مع ذات ميشيل دائر
فهى تدرى التصوير والرسم والالحا * ن والفن مثل كل الاكابر
ليت شعرى متى أرى فى بلادى * كوكب العلم والمعارف سائر
فرجال لايعلمون سوى صو * ف وقطن وسمسم وحرائر
ونساء يجثن لكن على ثو * ب وقرط وخاتم وأساور
واذا الجهل عم مابين قوم * أصبح العلم عندهم كمساخر

(ومن هذا القبيل)

فاض على الغيهب نوء النور * فدكه وكان مثل الطور
واندفع اللألاء كالنهور * فهبط الظل هبوط السور

(وانقلع النجم من الجزور)

فاتشح المشرق بالاضواء * والتحف المغرب بالافياء
واستهل الشهاب فى السماء * ضحكا على هزيمة الظلماء

(وابتسم الاسير بالسرور)

والصبح ذو مكانس الشعاع * يسعى بكنس الظل فى البقاع
يرش ماء الوهج اللماع * فينشر الشعاع كالشراع

(وتنطوى غيابر الديجور)

وبالسنا تكهربت هام الشجر * فطار من أعينها الخضر الشرر
وزقزق الطير لايقاظ البشر * فنهضت من نومها كل الصور

(وانفقئت محاجر الزهور)

حتى اذا ما احترقت بالنار * ذقن الدجى وراح فى شنار
عانقت الكون يد النهار * وبيضت بقلم الانوار

(وماسوّد الليل على الاثير)

والبيد بالنور رغبت وازبدت * كالبحر والهضاب كالموج بدت
واذ بذى الانوار باريس ارتدت * أضحت كمرآة لجين وغدت

(تلوح فيها صور البدور)

من كل بدر لابس الكمال * متوج بالحسن والجمال
ذى غرة غراء تشجى الخالى * ومبسم من كل عيب خالى

(بينهما الصبح فى كسور)

المة قامت لها فى الانفس * معابد والنفس بيت مقدس
وما الى الزهرة منسوب نسى * هنا فلا دمى انتمى والدرس

(هنا الهوى فى غاية الكرور)

وكيف لا يرخى الهوى عنانه * والحسن أجرى دونه فرسانه
فكل قلب شاغل ميدانه * وكل شغل ولجد أثمانه

(ماضاع الا كل ذى قصور)

من لا يرى باريس فى دنياه * لم يدر ما الجنة فى أخراه
ذى جنة ليس لها أشباه * ماصاح فى جوارها ويلاه

(سوى عديم الذوق والفقير)

ليس لذى الفقر بنادى الارض * من موضع ولا بوادى العرض
ما نال بين الناس غير الرض * فحظه فى الارض حظ النبض

(أوحظ أوتار على طنبور)

باريس هذى مركز التمدن * ومحتد العلوم والتفنن
ليس لقبح ضمنها من موطن * فكلها حسن وما بالحسن

(تترك مكان الحسن والحبور)

حسن نماء اللطف والظرف سقى * فاثمر العشق ومن لم يعشق
كم صحت سرا فى ضميرى القلق * حيف على هذا الجمال المشرق

(أن ينطفى فى لجج الدهور)

أما كهذي بابل الازمان * في عصرها ونينوي يونا ن
وهكذا تدمر بنت الجان * هاقدغدت جميع ذي البلدان
(ملاعبا للبور والدبور)

يقضي على البلاد ما على البشر * فاليوم صغر وغدا يأتي الكبر
وبعد ذا موت ذريع منتظر * ذا بطل يفتك حتى بالحجر
(بين يديه منتهى الامور)

ما الموت الا تاجر الارواح * دهقان لم يشبع من الارباح
ما عنده في القبض من سماح * وعدته أجرى من الرياح
(وقلبه أقسى من الصخور)

فلينظر الناظر أو فهو عمي * وليسمع السامع أو ذو صمم
وهذه الدنيا محل الغنم * فاغنم والا عشت عيش البهم
(واضحك على جماعة القبور)

وربما يأتي دهر تصبح فيه هذه المدينة العظمى مثل الخراب ورا موز الانقلاب وقد أوحى لي امكان ذلك الاستقبال أن ألفق هذا المقال

قفي قليلا عروس الدهر وارتقبي * فان سيرك في الاجيال والحقب
مهلا فانت على الاقدار سالكة * في مسلك وقدت فيه من التعب
في مسلك لم تزل أسد القضاء به * تغزو كذلك لصوص الدهر والخطب
تأملي ما على هذي الطريق ولا * تخفي عن الغير ما عاينته من عجب
تأملي بعيون الاعتبار وان * جهلت ما شمت فالتبيان في الكتب
ماذا ترين وقاك الله ماذا بدا * لديك في ذا الطريق الواسع الرحب
أرى فلاة ولكن لا فلاح بها * وليس من قائم فيها سوى خرب
أرى تلال طلول لحن في بقع * تظللت بكروم الشوك لا العنب
أرى مهابط أبراج هوين كذا * عمدا فرادى فكالا وتاد للترب
أرى نهورا ولكن لا فراش لها * غير القتاد ولا جسر سوى الخشب
أرى معاشر خلق ههنا سكنوا * لكنني لا أرى شيخا بلا ذنب

أرى حدائق لكن لانبات بها * ولا سياج سوى الصفصاف والقصب
أرى الكآبة في كل العراص ترى * كذا أرى رحسات الحرب والحرب
أرى على السحب شبحا كله كبر * يسطو على الارض مملوأ من الغضب
كذا أرى منجلا للحصد في يده * ولا يزال على هبط من السحب
فهل علمت الذى عاينت من عبر * وهل عرفت الذى شاهدت من عجب
هنا بلاد على ذا الشوط قبلك قد * حدت بجد عليها الدهر بالطلب
والنحس هب عليها من مرابضه * وحاوطتها اعتيالا غارة النكب
ضاعت وكان عليها الدهر أحرص من * يد البخيل على صاع من الذهب
ذى بابل أينها ضاعت هنا وكذا * ذى أختها نينوى سلطانة القطب
صور وتاجرة الدنيا وجارتها * صيدون أصبحتا أعجاز منقلب
كذا هنا تدمر قد دمرت وومت * ومنبج لم يعد منها سوى اللقب
فها بلاد على كل البلاد سطت * وأرسلت كبرها حتى الى الشهب
تهدمت وامحت آثارها وعفت * ومزقتها نحوس البؤس والعطب
وبعد ضوضاء ذياك الضجيج غدت * تمور تحت سكوت الموت والكرب
وكل أسوارها والناس قد حصدت * عمدا بمنجل ذاك الشيخ ذى النوب
هذا هو الدهر لا يرضى على فئة * دوام ملك ولا سيف على جنب
فسوف ينظر هذا الدهر نحوك يا * باريس نظرة لص نحو ذى نشب
وهكذا يسرق الآثار منك ولا * يبقى سوى أثر فى الكتب محتجب
حتى اذا ماجرى ذكرسناك على * سمع يقال روايات من الكذب

حال الشرق

ههنا وجد الانسان الاول وعلى هذه الارض كان المعول فالشرق مهد الانسان ومبدأ الاوطان فلابدع كونه الاصل للمعارف والتمدن ومنبع العلوم والتفنن ومنشأ القوات والدول ومحل الاوليات الاول أذفيه تهذبت الابدان وذاعت الاديان وظهرت الفلاسفة العظام والحكماء الكرام والشعراء المفلقون والراوون الصادقون فهنالك

أوّل ما فلحت الارض وعلم الطول والعرض وتحددت الافلاك ورصدت وسلكت البحار وقصدت ودرست الطبيعة ووضعت الشرعة وانتشرت المتاجر والصناعة وبدت البراعة والبراعة وكشف اللسان قناعه فمن الشرق مبادي المبادي وأيادي الايادي ولكن الدهر غيور والزمان غدور فلما نظر هذا القضاء فلاح هذه الديار ونجاح هذه الامصار بسط عليها سحاب الكوارث وأثار عجاج الحوادث فوقع النزاع بين الملل وانتشبت الحروب بين الدول وشبت نيران القتال وارتفع لهيب الاهوال فضجت الناس بالفتن وعجت في الرؤس المحن وما برحت التقلبات تمد مضاربها والمكائد تعد ملاعبها والزمان ينفث الانقلاب والخطأ يعبث بالصواب حتى أولج الدهر سنانه في مقتل العقل وأوقع الغلط حسامه في عنق النقل فهجم الظلام من خباياه وبرز الخراب من زواياه فتاهت الاهالي في هذه الدياجر وتساقطت في تلك المعاثر واسترجع الاقبال يسره واستطلع الادبار عسره حتى غرقت العقول في لجج الجهاله وتمرغت الطباع في بطائح الرذاله وهكذا قد انقلبت المدن العظيمة وانمحت الآثار القديمة واضطربت المتون الراسخه وهوت السرادق الشامخة حتى نعب بوم الدمار ونعق غراب الدثار وما زال ان سلم الشرق نفسه ورفع الغرب رأسه

يا شرق أبا الهدى ترى أين هداك * قد غاب ضياك وانمحى كل بهاك
قد كنت لكل ذي ظما بردروي * ما بالك عدت شاكيا حر ظماك
بالامس لكل ساقط كنت يدا * واليوم غدوت ساقطا تحت ضناك
بالامس لكل ذي ضنى كنت قوى * واليوم غدوت فاقدا كل قواك
بالامس لكل معشر كنت حمى * ما ضاع حماك بل قضا خان حماك
يا شرق ولو علاك مدت ظلم * لا تطغ فسوف يغمر النور سماك
للغرب اذا زها فعن ضوئك ذا * فالصبر الصبر فقد ارجع ضياك
لا تخش يا أبا السنا تيه دجى * فالشمس أمامك احتجبت وهي وراك

ياشرق عطشت بعدماقدسقيت ❊ من وردك كل فيئةفوق ثراك
ان كان مياهك الجوارى نضبت ❊ لابدّ لفيضها فبشراك بذاك
فانهض بحمى عبدالعزيزالسامى ❊ هذا سلطاننا فهذا مولاك

❊(حال الغرب)❊

ما كان العقل ليرضى بانحاط مراتب أعماله وسقوط دولة أفعاله ولذلك فريثما كان الشرق يلج فى الظلماء كان الغرب يعانق الاضواء ومالبث أن تبوّأ الغرب صهوة الضحى وهار نهار الشرق وانمحى ومازالت مناطق النور تمتد فى الغرب ان غمرت القارة وأضحت هنالك قارة وهكذا فتحت الابصار والبصائر وتنورت الاسرار والسرائر حتى انتشر العلم والجهل انطوى وجلس العقل على عرشه واستوى فتكملت المعارف والمفهومات وتجملت المعقولات والمنقولات وسقطت الاكاذيب والاباطيل وهدمت الخرافات والاضاليل وارتفعت الحقائق وتشيدت الطرائق فلم يعد للفلك أحكام ولاللعين سهام ولاللجن مسارح ولاللارواح مراسح ولاللسحر تأثير ولاللاحلام تفسير ولا للكيمياء احالة بسيط ولابين المفقود والموجود وسيط بل فتوح معقول وكشف مجهول وابداع روابط واختراع ضوابط وايراد موارد وارشاد شوارد وتحصيل طرائق وتنصيل طوارق وتمهيد طرقات وصنائع وتشييد متاجر وبضائع فهنالك الشمس ثبتت فى مقرها والارض دارت على دائرتها ومحورها والحكمة لبست ثوب الكمال والآداب سحبت مطاريف الجلال والطبيعة فشت أسرار الاجسام والشريعة فصلت بين الحقائق والاوهام والكيمياء حررت عناصرها من حكم الاستقصاآت المتغلبه وأظهرت جواهرها من صدف الآراء المتقلبه حتى وطدت اصولها ومكنت فصولها والطب نشر راياته وأعلامه وكال بغاير الظفر هامه فافتتح معاقل الامراض وزض قوارض الاعراض ان يكن بقوة الاصول العنصرية أو بفواعل الحواصل

النباتية والبدويات تحكمت هنالك واستحكمت وخضعت الاثقال وسلمت فطار الانسان على البخار واختصر مطوّلات البحار وضيق رحبات القفار واستخدم البرق رسول أخباره والنور مصوّراً ثاره وهكذا فقد بسط الانسان الغربي على اجزاء الكائنات وكلياتها واستخدم مجموعاتها ومفرداتها حتى تمم نقصان الشرقي ورقى عليه بالضرب والترقي فلا حياة الا هنالك ولا ريب في ذلك فهنالك الراحة والمراح والطرب والافراح والأمن والامان والحسن والاحسان والثروة والغنى والخصب والجنى والمراسح واللهو والمشاهد والزهو والرقص واللعب والاغاني والأدب فلا يضج الملل في القلوب ولا يعج الضجر والكروب وكل روح ترتاح الى علاقتها ولا تحمل نفس فوق طاقتها حتى اذا كان امرؤ نضو تعب وحليف وصب غارقاً في الاكدار وخابطاً في الاقدار فهو يرى ما يعزيه ولا يرى ما يؤذيه وبينما كنت ذات ليلة في باريس خائضاً في كتبي تائهاً بين خطائي وصوابي وأنا حبيس في حجرتي لا أنيس لي غير وحدتي مللت أنس تلك الوحدة ورخاء هذه الشدة وأنفت مسامرة ذلك النديم الصامت أو الصديق الشامت فهربت الى الشارع لا أعلم أين أنطلق هرب الطير من القفص المنغلق سكران بخمرة التأملات مهشماً تحت مطارق المشكلات ومازلت ان أوقفني باب كبير محفوف بحرس التنوير فلبثت قليلاً ثم دخلت دخيلاً واذا المحل مرسح رواقص وملعب عواقص ومازلت هنالك الى ان احترقت ناحية الدجى والليل الى الغرب التجى فخرجت اذ ذاك وها شرح ما رأيت هنالك

﴿ليلة رقص﴾

كفي على هذا الورق * أسكب أنوار الحدق
* العلم بحر زاخر * وفيه قد طاب الغرق
لكنما للعقل أو * قات ووقت للحمق
كذاك للنهار أشغال وشغل للغسق

هامالك الليل بدا * يجلى على عرش الفلق
والغرب قد حاك له * فى الافق برفير الشفق
والشمس حلت فى الخبا * والنجم فى الاوج انطلق
وسكن الكل سوى * نفس أبت الا القلق
نادى المنى ناهيا فيا * نفس اركضى فلا زلق
قومى الى نهب الصفا * هاعلم الحظ خفق
باريس لما أصبحت * سماحوت كل الفرق
وسبيت جهنم * وبابها قد انغلق
فلنغتنم هذى السما * قبل زوال المتفق
حتام أخلو جامعا * فى الذهن أفكارا عتق
من فاز بالزنبق لا * يصبو كثيرا للحبق
ومن أصاب اللحم لا * يقول ليت لى المرق
ومن كسى مخلقة * هل يفكرن بالخلق
سعيا الى اللذات ما * دمت على بعض رمق
واركب على خيل الصبا * واسبق فاجر فى السبق
لكل سن مسلك * له انتظام ونسق *
فالمرء فى الدنيا سدى * يجاك والعمر شقق *
وكل قلب بالمنى * يبنى الى يوم الغلق
ما القلب الا شجر * وما المنى الا الورق
ومنيتى مدينة * فيها لى السعد برق
أجول فيها وعلى * فى مجال للملق
أقطف من لذاتها * ما عد لى وما اتفق
وفى لظى شبيبتى * كل أسى قد احترق
لا أرعوى ولو عوى * كل عذول او نهق
وليلة سوا دها * كالمسك بالطيب عبق

أوحى الىّ الوقت أن * أطوفها دون رفق
فرحت أجرى والدجى * يزيد فوقى من حنق
مهرولا كأننى * أسعى لدين مستحق
مازلت حتى صرت فى * مغنى على المغنى انطبق
كأنه بحر به * تموج ربات الحلق
نخضت فيه وأنا * أشق امواج الخرق
إذا بصوت قال لى * مهلا أما تخشى الغرق
كم انت ياهذا اقبا * قلت كذا كل قبق
فصار يهجو أبهتى * وطول ثوبى ذى اللبق
بكل لفظ شارد * وكل معنى لم يطق
فلم أزل مطرق لا * عليه بالى ان خرق
وليت منى الابتدا * فالضرب للذى سبق
قلت له ما تستحى * يا قفصا تحت طبق
أو قصبة فى سلة * أو خنصرا فى مختنق
قال وهل نحن الذى * بالازر شوّهنا الخلق
رح يافتى من فيئة * تساؤها مثل الحقق
ومن زوايا سقر * جا لهن مسترق
فالشعر حيات سعت * والخد نيران الحرق
والصدغ يدعى عقربا * والخال دودا أو علق
والوجه يدعى عندكم * بدرا أتهوون البهق
ولم نزل فى جدل * وبيننا يجرى العرق
حتى انتهينا آخرا * للوفق والوفق أحق
والجمع قد قال لنا * كل بما قال صدق
ورب خير جاء من * ضد مع الضد اتفق
واذ جلسنا والقلا * هار نزلزل القلق

اذا غزال جانبى * يغزو فؤادى بالحدق
كأنه مكون * من جوهر لا من علق
يفتر عن ظرافة * منها سنى الحسن انبثق
وينثنى عن قامة * غصن الهوى منها بثق
من لى بها رشاقة * شاقت ومكحولا رشق
يطرق فى الارض ومن * مبسمه الشوق اندفق
فناظر يرعى الحيا * ومبسم يرعى الشبق
ولم يزل طير الهوى * يصدح فى دوح الارق
ونحن فى تمازج * والجنب بالجنب التصق
حتى تنحى للنوى * فقلت لا ومن خلق
فقال ها الصبح بدا * قلت ولو كان انفلق
ولم نقم حتى اختفى * دخان مركب الغسق
ولاح سلطان النها * ر لابسا تاج الالق
والشهب من شراره * قد ذبن والليل احترق
هنا افترقنا وأنا * أمشى وعينى بالطبق

فها خيم التمام على الغرب وعم فتأمل زوالا اذا قيل تم . أوما ترى النزا
بدا يسعى بين ماله والحسد بين دوله فكل وقف على قدم الطرا
وفغر فم الفساد مكدود الإبراده ومعمود العناده وهذا دليل الد
وطليعة الدثار ولا بدع فالشرق أخذ يطلب ماله ليسترجع ما
وما الزيادة الا الفائدة المكرره صلاحة فى الدين مقرره وها ق
استرجع الشرق متاعه ورفع سفنه وشراعه وذلك على عهد عظيم
سلطاننا عبد العزيز ذى الشوكة والسطوة والادارة والدراية والتم
مبدع هذا العصر الزاهر وجامع نفائس الاوائل والاواخر وقد قلت
تاريخا لجلوس عظمته على عرش السلطنة السنية

تاريخ الجلوس الهمايونى

بشرى لكم بالفوز يا كل البشر * فالدهر عن وجه المكارم قد سفر
ولتنعم من نفوسكم فاليوم قد * لاحت شموس العز من فلك القدر
أهدى العزيز لنا الخليفة عبده * من كان في عثمان كنزا مدخر
فاهتزت الدنيا به فرحا وقد * طوى الاسى والسعد كالسحب انتشر
وبدت بجود الملك بارقة المنا * وهمى على الآفاق من نعم مطر
وافتر ثغر الدهر عن شنب الصفا * فصفت لنا الايام واندثر الكدر
ملك على عرش الخلافة مذ علا * ظهر النعيم وحاز عزا من صغر
كل الملوك كواكب لكنما * عبد العزيز لكلهم شمسا ظهر
قد زين التخت العلي بجيده * ابدا كما قد زين الطرف الحور
بالعدل كسرى والتسلط قيصر * وذ كاسليمان به وقوى عمر
نامت عيون الناس تحت ظلاله * امنا وبات لحفظه يرعى السهر
فيه غدا غصن التمنى معطيا * ثمر النجاح وكلنا نجنى الثمر
أخلى قلوب الشعب من خوف الردى * واحل فيها الرعب منه والحذر
لكم الهنا يا خاضعون لحكمه * فلقد ظفرتم بالرجاء المنتظر
قد سد طرق النائبات بحزمه * عن ساحة الملك الذي فيه ازدهر
واذا تولى الملك ملك حازم * لا يتركن به سبيلا للضرر
كتب القضاء على صفاح سيوفه * لا عيش للعاصى اذا السيف اشتهر
قد ألبست كل البلاد بيمنه * حلل الامان وقد نضت عنها الخطر
أعاد ما هدم الزمان مشيدا * بعزيمة تحكى الزمان اذا اقتدر
وبنى من النعماء حصنا للورى * هذى هى الجدوى فقل نعم الاثر
لتسعد الدنيا به ولتبتهج * كل الملا ولتفرح الدول الأخر
كن يا أمير المؤمنين مسربلا * بالفوز ما غنى الهزار على الشجر
ما أنت الا الشمس في أوج العلا * واليك كالحرباء كل قد نظر
ان المهيمن مذ دعاك خليفة * في الارض كي ترعى الانام بما أمر

نادى له ديك العرش عش ياذا القوى ❊ والدهر قال مؤرخا سعد بالظفر
سنة ١٢٧٧

❊حال الزمان❊

هذا هو الرب القادر والاسد الكاسر والحسام الباتر هذا هو الخصم والحكم والحرب والسلم والسيف والقلم هذا هو الداء والدواء والنعم والشقاء والراحة والعياء هذا هو العدو والصاحب والمطلوب والطالب والمنهوب والناهب هذا هو الحق والزور والخير والشرور والحزن والسرور هذا هو الميزان والاوزان والرجحان والنقصان والطاعة والعصيان هذا هو الظهور والخفا والخيانة والوفا والكدر والصفا هذا هو الوجوم والابتسام والثواب والانتقام والحلال والحرام هذا هو الباب والطريق والوحدة والرفيق والفرج والضيق هذا هو الزمان الغلاب والشيخ المهاب كاسر الاكاسره قاصر القياصره رافع الوضيع خافض الرفيع مفقر الأغنياء مغنى الفقراء كاشف الاسرار هاتك الاستار ترجمان النوايا قهرمان العنايا دهقان الخبايا محتد البلايا اذا فرح أحزن وان قوى أوهن ومتى منح أحن فلا يصيب الاليكف ولا ينتقم الاليعف ولا يواسى الا ليؤسى ولا يذكر الالينسي ولا يوجع الاليريح ولا يسدل الاليزيح ولا يأخذ الاليعطى ولا يعلى الاليوطى ولا يحصد الاليزرع ولا يمنح الاليمنع ولا يعدل الاليظلم ولا يبنى الاليهدم ولا يرشد الاليضل ولا يلهى الاليمل ففيه اللهو والملل والخيبة والامل والري والظماء والشدة والرخاء والثبوت والتقلب والقهقهرة والتغلب أيان طال صال وأينما طلب نال وحيثما رمى أصاب وكلما كد أراب فتركه طلب وهدوه شغب وصلاحه فساد ونومه سهاد ويقظته رقاد وحلمه جور ونجده غور وسلسله دور وسلمه قتال وداومه محال ومن شأنه انه كلما أعطى أطمع وكلما طيب أفجع ومما دهانى به فى غاليه

ما دعانی لهذه الاقوال القالیه

﴿سطوة الزمان﴾

جئت ارض الغيث كي أطفي الصدا * فطفت عزمي وزادت عطشي
وأطاشتني فصحت المددا * يالراس عمره لم يطش

﴿دور﴾

لم أجد والله في هذي البلاد * غير داء لي وللغير دوا
ذقت فيها كل كاسات النكاد * وكذا غيري من البشر ارتوى
وبها الدهر كساني بالحداد * وكسى الكل باثواب الغوى
يافؤادي قد جرى فيك الردى * فعلى هذا الردى مت اوعش
واصطبر أو فاختبط كل سدى * قضى الامر فلا تلتطش

﴿دور﴾

لست لا والله أدري جنحتي * لا لدى الله ولا عند البشر
غير أني سالك في دعوتي * ولكل مسلك فيه اشتهر
فرمى الدهر اغتيالا همتي * بنبال الغدر ياقوم الحذر
ذلك الدهر لنا شر العدى * سارق لكنه لا يختشي
يرعش الدنيا اذا ألقى يدا * وهو شيخ النحس لم يرتعش

﴿دور﴾

يالومي في صباحي والمسا * أسد الخطب لقلبي تفرس
قد أعادتني أصماً أخرسا * في ربوع فاه فيها الأخرس
ما احتيال المرء في حكم الاسى * مشكل تحتار منه الانفس
قيل صبرا قلت والصبر غدا * صاحب الدهر ومنه مرتشي
وكذا العقل الذي منه الهدى * صار كالطفل كثير الطيش

﴿دور﴾

ان من كان الشقا قسمته * لا يرى الا الشقا أين سرى
لا يرى في الارض الا مقته * كيفما جد عليها وجرى

وأخو السعد يرى نعمته * أينما ساروأنى خطرا
رب ذي عجزله فاض الندى * وأخي عزم قضى في عطش
ماترى المرء يعيش الرغدا * ويصاد النمر ضمن الحرش

(دور)

قد قطعت الآن آمال الشفا * بعدما جربت كل الادويه
هدم البيت وأقوى وعفا * هكذا غاية كل الابنيه
فطبيب اليأس حسبي وكفى * ان في اليأس لكل تعزيه
لا يغرن الفتى يوم بدا * أبيضا في زمن كالحبشي
فأمام الدهر كل وجدا * مثل عصفور أمام الحنش

(دور)

كانا نحن بني هذا الوجود * نشرب السم بكاسات الذهب
تظهر الدنيا لنا ماء الورود * فندانيها فتسقينا النكب
تركها أولى فلا كان الوفود * نحوها ان اذا أعطى نهب
ليس من أمن لحي أبدا * من زمان جائع مستوحش
فاحذروا ياناس هذا الأسدا * أي ناب في الطوى لم ينهش

(دور)

تفرح الآباء في حظوى البنين * فرح الصاحي بأقبال المدام
ماصراخ الطفل في أول حين * غير قول جئت فاذهب بسلام
لو درى ما النور في الدنيا الجنين * فضل الاجهاض واستحلى الظلام
حرم القتل فقتل أوفدا * والورى عن ذا القضا في طرش
كلما للدهر أعطوا ولدا * ساقه للذبح مثل الكبش

(دور)

يا أبي نم آمنا في ذا التراب * فعلى ذي الارض جاءت نوبتي
قد خلصت الآن من هذا العذاب * بعد ما أثبت فيه وقعتي
دمعك المهراق ما غاص وغاب * عنك لولا دورة في مقلتي

فاهتيك

فأهنيك بموت أنجدا * آه لو ترثى لعيشى المنتشى
طب فساعدت تقاسى نكدا * قد أتى دورى فيا موت ابطش

دور

وكذا يا أم أوجاع المخاض * كن رمزا عن مصابى المقبل
أنت قد أرضعتنى ذاك البياض * لدخولى فى سواد الأحل
خطت لى أقمطة قبل المباض * لم تكن غير قيودى الأول
منذ ما ألبستنى هذا الردا * حاك لى الدهر لباس الفحش
وأعد السهد لى والكمدا * منذ تبسيطك لى فى المفرش

دور

كم بكت عيناك دمعا كالدما * كلما تنظر عينى فى أرق
آه لو تنظرنى الآن وما * فى فؤادى من لهيب وحرق
فاستريحى الآن بالموت فما * أتعب العيش على ذاك القلق
واتركينى باكيا طول المدا * خائفا وحدى رفيق الرعش
ضائعا فى غربتى مبتعدا * صارخا يا سعد من لم يعش

دور

فأنا أبكيكما يا والدى * بدموع ما بكاها أحد
ان فى موتكما القاسى لدى * مات حقا سندى والعضد
أى شئ عوض لى أى شئ * وجميع الارض لى تضطهد
ولذا صرت فتى منفردا * أنظر الدنيا بنظير البرغش
أرتجى فى خلواتى الصمدا * فسواه ليس لى من منعش

وأيضا قلت فى جور الزمان

حتام هذا الزمان يفتك بى * حتام يجرى على بالنكب
ويلاه لم يرو من دماى فلو * مستسقيا كان لارتوى وأبى
فما احتيالى وأين أهرب من * دهر اليه المصير بالهرب
دهر لذى الامتلاء كل سخا * وكل محل لكل ذى سغب

كعارض غرق السباخ ولم * يسق الاراضى التى على لغب
والدهر أعمى العيون وهو على * سبل الورى فاندفوا عجبى
بئس الليالى التى أثرن على * قلبى خطوب الحروب والنوب
كسفن شمسى على الضحى وكذا * خسفن بدرى وليس فى الذنب
لله كم بت والشؤون على * خدى ينسجن حلة الكرب
والليل يلقى رماد ظلمته * فى الشرق فوق الصباح ذى اللهب
ماللليالى غدرن بى أترى * زعمننى ثائرا على الخطب
وما الدهر يأتى بطاردنى * هل ظن أنى مطارد الحقب
فلينعم الآن كل ذى نعم * فالدهر لاه على بالغضب
وهكذا ذى الحياة جارية * ذا فى اضطراب وذاك فى طرب
ياأيها الدهر لا بلغت منى * الا م أيدى سباك تلعب بى
أقت بى دار ندوة جمعت * كل البلا خبت يا أبا لهب
فأنت خصم لكل ذى طمع * وأنت ضد لكل ذى طلب
وأنت للهدم والدثار أب * وأنت أم لكل منقلب
وأنت شيخ وأنت ذو حكم * وأنت تسعى بجاهل وصبى
فكم مدار يصيح ضد لنا * جان وكم مركز وكم قطب
وكم بلاد وكم قرى ووري * حتى وكم أنجم وكم شهب
فلا معين لنا عليك سوى * سوم الرضا فى العنا وفى الوصب
ان الرضا تارة يجرمنى * والصبر طورا يجىء بالارب
صبرت حتى العياء غار على * صبرى ولولا الغنا لكان سبى
وأنفس الصابرين قد خلقت * مقاومات لا تقبل النكب
وكل بلواى جهل دهرى بى * دهر به ضاع أجزى الأدب
والجهل ليل اذا فشا سرقت * فيه أجور النهى بلا تعب

(وقلت أيضا استغاثة بالله)

عظمت على نوائب الدنياء * والدهر قابلنى بكل بلاء

وغدوت فوق الارض ريشة طائر ❊ سقطت أمام عواصف الاهواء
أيان سرت رأيت كل مصيبة ❊ عظمى تهدد في بقطع رجائي
فأود أن أهوى الزمان عسى أرى ❊ تعذيبه عذبا على أحشائي
فكأن قلبي صار عضو الشقا ❊ والحزن لا لعيالة الاعضاء
قلب أبى دفع الدما الالى ❊ عيني لتطفأ نار مبكائي
أبكي أضج أنوح اذ لا سامع ❊ غير الدجى والريح والانواء
فدعوت من لم يدع دون اجابة ❊ فرثى لحالي واستجاب دعائي
ان كنت صنع يديك يا ربي فلا ❊ أدعو سواك ففي يديك شفائي
أنت العليم بما ضنيت به فلا ❊ أشكو لغيرك يا رحيم ضنائي
يارب قد دارت على دوائر ❊ سود وغدت فريسة النكباء
يارب قد قهر الزمان عزائمي ❊ فاقهر زمان القهر يا مولائي
زمن قد استسقى بكل مكيدة ❊ وغدا على ولع بشرب دمائي
صرعتني المحن الشداد فذلي ❊ بيدك الشديدة يا أبا الضعفاء
محن تعاظم فتكها وضراءها ❊ فافتك بها يا أعظم العظماء
يا منقذا أيوب من بلوائه ❊ بالصبر فانقذني من البلواء
أذناك سامعتان أصواتي كذا ❊ عيناك ناظرتان حال عنائي
ان كان سخطك صار داء لي فلا ❊ ريب سألقى من رضاك دوائي
أنت العليم بلى بضعف طبيعتي ❊ وأنا العليم نعم بعظم خطائي
أغصان حلمك دانيات قطوفها ❊ وحنان عفوك فائح الارجاء
عبد اليه مولاه مد يد الرجا ❊ حاشا يرد بقسوة وجفاء
عبد رأى في قلبه رباله ❊ رؤياه شمس الكون في العلياء
فانحاز يقرع صدره طلب الندا ❊ قرع الفقير لباب رب غناء
اني علمت وجود باري الخلق من ❊ ايحاء نفسي لا من الايحاء
ان كنت موجودا فرب موجدي ❊ هيهات مبروء بلا ابراء
ها كافة الاشياء تدعو كل ذي ❊ عقل ليعبد مبدع الاشياء

من ذا الذي سوى السماء وصاغها * وكسا الكواكب حلة الاضواء
من ذا الذي دهق الفضا بعوالم * جلت عن التعداد والاحصاء
بعوالم صيغت بأحسن صيغة * وجرت بكل شريعة غراء
من ذا الذي جعل الجماد مجهزا * قوت الحياة وقوة الاحياء
من ذا الذي أعطى النبات طبيعة * منها الى الحيوان كل عطاء
من ذا الذي قد صير الحيوان أن * يدري المحيط به بلا استثناء
متحركا بارادة متمتعا * بوجوده متطاوع الاجزاء
من ذا الذي من ذلك الحيوان قد * سوى كيانا فاق كل سواء
أعني به الانسان سيد جنسه * رأس الخليقة مالك الحوباء
من ذا الذي أعطاه كل تخليقة * وحباه أعظم قدرة وسطاء
أعطاه أن يسطو على كل وأن * يستخدم الاشياء بالاشياء
أعطاه فهما أدرك الاشياء به * وأبان ذا عن ذاك بالاسماء
أعطاه ذكرا يستطير به على * جنح الضمير الى أشم سماء
ذكرا بقوته يرى في قلبه * صور الحوادث في الزمان النائي
فمن الذي قد صاغ هذا كله * من حيث ليس سوى سكون فضا
ذا خالق متحجب في ذاته * ويرى الجميع وماله من رائي
رب كبير قادر متسلط * منه الحياة ومنه كل مضاء
فبه استغثت على جميع مصائبي * وعليه قد ألقيت كل رجائي
وكذاك أرجوه يمن علي أن * أطفي بماء دقويق حر ظمائي
وأعاف نهر السين فهو لذي الظما * ملح أجاج معطش الاحشاء
حيث الغريب يرى الجنان بعينه * وفؤاده يصلى بنار لظاء
لا ناقة أبدا له كلا ولا * جمل ولا حصباء في بطحاء
فمتى أرى الأظعان تعدو بي على * سمعان حيث مطالع الشهباء
وأرى رؤس السرو تدعوني الى * أن أستطيب نسائم الزوراء
كل يميل الى مساقط رأسه * ميل الرضيع الى لقا الاثداء

فانا الى حلب أميل صبابة * أبدا وان أك فى سما الدنياء
بلد لرأسى مسقط وبها أرى * أهلى وأصحابى وآل ولائى
للوحش أوكار وللاطيار أشجار وللا سما كلج الماء
لا برأرن الليث فى دوح ولا * يترنم القمرى فى البيداء
والجرف للظبى الغرير أحب من * قفص من البلور ذى اللألاء
كل لنغمة أرضه يصبو ولا * يلوى سوى ذى قطرة صماء
فتى أرى جبل اللكام يمدلى * باعا يطول على جبال النائى
حيث الطبيعة بالطبيعة زينت * حتى اغتنت عن صنعة وعناء
حيث السما وفت الفصول فما أتت * بشتاء صيف أو بصيف شتاء
حيث المناخ كسا الثرى بل والورى * ثوب النعيم فكان خير كساء
ان المليحة من تحل بحسنها * عن صقل عرقوب ورثم رداء
وبكل أرض آفة تجرى على * قدر المؤوف وقدرة الاجراء
فالعمر سوق والخطوب بضائع * والدهر فيه يبيع دون شراء
ان الغذوبة فى الحياة عذابها * كوعود معشوق بدون وفاء
فتبسم المفقود رمز خلاصه * وتوسم المولود رمز بلاء
والدهر أعمى وهو دالول الورى * وأصم وهو يرن بالارزاء

(وقلت ندبا لفعل الحوادث)

هل عاد عندك يا زمان تعادى * خطب تعاندنى به وتعادى
لا عدت أجزع منك اذ قد أفرغت * كل الكنانة فى صميم فؤادى
لم يبق عندك ماتروعنى به * غير المنية وهى جل مرادى
أشكوك يادهرى وانى عالم * شكواى تذهب صرخة فى وادى
وكذا أنادبك الدوام واننى * أدرى بأنك لا تجيب منادى
لى معك يوم العرض وقفة مشتك * يا ظالما وعديم كل رشاد
يادهر لم كسرت كل ظباك فى * عنقى لحاك الله من جلاد
أترى أنا وحدى عدوك فى الملا * يا من له كل الانام أعادى

أعدمتني كل المنى وتركتني ❊ متغربا عن معشري وبلادي

وحكمت أن أقضي الحياة شقا وأن ❊ أرعى الأسى كمدا اليوم معادي

ومنعت عني المجدين فلو بدوا ❊ لي في المنام لرمت منع رقادي

سحقا لعمرك كل يوم منه لي ❊ موت وفاقعه بلا تعداد

ما أجتني فيه سوى سحب وما ❊ نفسي سوى لهب وقدح زناد

يبدو الصباح لكل عين أبيضا ❊ ولعيني متوشحا بسواد

والشمس عند شروقها تلقي على ❊ كل الطبيعة حلة الاسعاد

لكن أبت تلقي على سوى اللظى ❊ وأبى يراها الطرف غير رماد

واحمر في نفع الزمان بلمتي ❊ شيبا تداخل في شباب بادي

واعمر في زمن الصبا زهر الربى ❊ للكل لكن لي كشوك قتاد

قد كنت خلو البال لا أهوى سوى ❊ قبضي لأقلامي وبسط مدادي

وقطوف أغصان الشباب دوانيا ❊ وتنقلي من زينب لسعاد

فغدوت أروغ من ثعالة في العنا ❊ وأضل من مهر بغير قياد

لم أدر قط من الشقا الاسمه ❊ حتى تعرف فعله بفؤادي

قد كان يحسدني على دهري الورى ❊ والآن صرت أنا من الحساد

وأشد ما قاسيت من ألم البلا ❊ دهر يرافقني بكل عناد

فكأنه ملك يروم وقايتي ❊ لكن من الاصلاح لا الافساد

أيان سرت أراه نصب لواحظي ❊ أبدا وأين ظعنت فهو الحادي

وهو الكرى وخياله في أعيني ❊ ولربما هو مضجعي ووسادي

من لي به بطلا يطاردني بلا ❊ حلم وما أنا من رجال طراد

قرد قبيح لم يحز قفصا سوى ❊ قلبي ولم أك قط بالقراد

بعدا له نغلا شنيعا أمه ❊ بنت الشقا وأبوه ابن جهاد

أوذاك حظي منك يا باريس يا ❊ دار الهناء ودارة الأعياد

وعلام أسند أن أقل هنالي هنا ❊ والحكم مردود بلا اسناد

ما هذه الدنيا وما هذا الملا ❊ ما القصد في الاعدام والايجاد

ماذا الحياة وما الممات وما الوجو ❊ دوما النفوس تضج في الاجساد
اني رأيت الكل شيأ واحدا ❊ يجري كصوت واحد الترداد
مع ان ذا ضد لذا والكون ان ❊ يثبت فذا بتنازع الاضداد
فعلمت ان عناية علوية ❊ للكل مثل الام للاولاد
واذا وفاق قام في أجناسه ❊ فالخلق في الانواع والافراد
لكن مللت دوام صوت واحد ❊ ملل السماع مطارق الحداد
ورأيت أن الارض تيه مظلم ❊ وبه الورى تسعى بلا ارشاد
ياصاحب الدنيا حذار حذار ان ❊ عادتك يوما فهي شر معادي
أنثى فلا يرجى ثبات عندها ❊ تبغي الوداد ولم تقم بوداد

❊(حال العلم)❊

ولما كان العقل مطبوعا على الاكتساب وحاويا ملكة التمييز بين الخطا والصواب أوعزت اليه دواعي الحركات الذهنية وبواعث الحياة البدنية واللوازم الدينية أن يرتب تصوراته ويهذبها ويجمل دلائلها النطقية ويؤديها وأن يبحث في الموجودات ويستقصيها فيدنيها اليه أو يقصيها حتى يستخدم ماطاب له وسر ويطرد ماخبث وضر فيستعين بالجوامد على حيوياته وبالماديات على روحياته وأن يعرف الخالق من المخلوق والصانع من المصنوع والموجد من الموجود كمعرفة الوالد من المولود وهكذا فقد نشأ العلم وقام الفهم فالعلم ريحانة النفوس وروح قدوس به تنشر الافكار وتبصر الابصار وتكشف الاسرار وتجلى السرائر وتبرز الضمائر وتسموا العنايا وتصفوا النوايا وبحسنه تحسن الصفات وبكماله تكمل الذوات وهو الكنز الذي لا يفنى والجمال الذي لا يثنى قوة الكبير سند الضعير ذخر الفقير فمن حازه حاز الجلال ولو كان حقيرا والتكبر ولو كان صغيرا والثروة ولو كان فقيرا والعتق ولو كان أسيرا والسطوة ولو كان ضعيفا واللطف ولو كان كثيفا والعز ولو كان ذليلا والصحة ولو كان

عليلا والقبول ولوكان رذيلا والدخول ولوكان دخيلا فبه ارتقى
الانسان ونجح وتهلل وفلح وأصبح أعظم الكائنات وأجود
الموجودات والخيرات اتسعت والاضرار امتنعت والنفوس
غلت والحياة حلت والممالك تشيدت والمداين تسيدت والصنائع
عمت والفلاحة نمت والمتاجر انتشرت والاخطار اندثرت والطبيعة
خضعت ودنت والعاصيات طاعت وعنت والآفات غلبت
والنوائب سلبت والمعاملات شاعت والمعامل زاغت والسياسة
صلحت وتحملت والاحكام عدلت وتكملت ولم يعد للظلم مدار ولا للجور
جوار فما العلم الا جمال الانسان وكمال الاذهان أما العالم فهو لذة
ثابتة للعالم وتعزية له في آلام العوالم وبينا ذلك فلا يخلو من النكد
والنفث في العقد على أن العالم لا يبرح متبلبل البال قلق الحال
لا يسكت لبه ولا يسكن قلبه ولا تهجع أفكاره ولا تصمت أذكاره
فنومه أرق وسكينته قلق وراحته تعب ووصب وجهاد ونصب
وسروره غموم وضحكه وجوم فيرى الدنيا مطارح تعاذيب ومسارح
أكاذيب فاذا اعتبرته لا يعتبرها واذا عرفته ينكرها لانه لا يحفل
بكل الاشياء ولا يعبأ بحركات الاحياء فالمراتب عنده مكارب
والمناصب مغاصب والاموال أثقال والاحسان قيل وقال

(وهاك مقالي الى طالب علم)

عرفت أصلك مما فيك من ثمر * يا غصن فضل بدا من أطيب الشجر
تجنى أجل ثمار منك ناضجة * وأنت في الدوح تجني جودة القدر
فكن الى كبد العلياء متصلا * يا أيها الغصن واخطر آمن الخطر
لمثل شخصك حق المدح من رجل * يرى النقا والتقى خيرا من الدرر
فالمرء يذكر بالآلاء جانبه * لا باللآلي ويدري التاج بالشعر
أتيت تسترجع العلم الذي شردت * به المقادير من مصر فخذ وسر
تبلبل العلم من مصر الى عجم * للروم للعرب للافرنج فليـ[illegible]

وان تفكر بالآراء لاضرر * فرب نفع أتى من موقع الضرر
فالنيل وهو عكير الوجه يطفح فى * مصر ويودع فيها أروق الأثر
فاستقبل العلم مفتوح البصيرة كى * يمر فيها مرور الطالع فى الزهر
فالعلم فى رأس من ضاعت بصيرته * مثل السراج بايدى ضائع البصر
هنا قد افتحوا دنيا العلوم بلا * شؤم نظير افتتاح الشام من عمر
فاغنم فلاح افتتاح عز مطلبه * وكن عليه على نصر على ظفر
عهدى بمثلك يقضى الليل معتنقا * عطف الكتاب ولم يسأم من السهر
وأنت غض الصبا كالغصن واعجبا * لا تنحنى تحت أثقال من الثمر
هذا سلوك عجيب ماله مثل * كابدالى من أمثالك الكثر
فكن اذا مستريح البال سوف ترى * عليك يهمى جزاء الجد كالمطر
ولا معاب لاقبال الديار سوى * صول وطول وكف هامل همر
يشكون فى مصر دهر النائبات ولا * أرى بمصر سوى الخيرات والبدر
كل على الدهر بالشكوى يضج ولا * دهر سوى بشر ضجت على بشر
وكم من الناس يشكو الانكسار على * خبث وكم كاسر فى زى منكسر
ياصاحبى ياصديقى ياأمين على * عهد الولا وارد النعمى بلا صدر
كن شامل الأمن من ارصاد ذى نكد * ولا تخف قط سحر الحاسد الخطر
فمن صباح الغنا ياأنت فى سحر * وليس يثبت فعل السحر فى السحر
وان ظهرت لدى الحساد ذا قدم * بلا قدوم فذا من آفة النظر
وتحسب الارض والاجبال جامدة * بينا تمر مرور السحب والغدر
ها أنت فى رتبة علينا وفى شرف * سام وفى سيرة من أحسن السير
رمت التصاغر لما قد علوت فسم * أوجا فهذا اتضاع موجب الكبر
فالبدر يصغر ما يعلو ويكبر ما * يدنو وفى الحالتين الاوج للقمر
علمت حقك فاستحسنت مدحك ما * بين الورى فاغتنم وصل ابنة الفكر
ولا تقل بئس شعر جاء من رجل * فى دينه أقبل الوجن فى صور
يسلى أنا من بنى عيسى وما منعت * هذى الكناية كونى ناظم الدرر

قل لي متى غير الدين الطبيعة أو * حبا اعتبارا لشئ غير معتبر
هذا والاخير الدين يؤخذ من * خير الانام وحكم العين بالاثر

﴿حال الجهل﴾

أما الجهل فهو عدم العلم وآفته وقاعدة التوحش ودعامته وعلامته ورايته. وما الانسان انسان الا بالعلم. ووحش ضار بالجهل الملم فالجهل عثرة السائر وعكة الحائر وعماء الناظر وتيه الضائع وخرس الناطق وصمم السامع وأينما حل وحلت الملائح ونزلت القبائح وسقط الغار ونهض العار وسكتت صوادح الفطن والفكر ونطقت جوارح العي والحصر ونكس رأس المعلوم والمقبول وشمخ أنف المجهول والمرذول ووقح الاجدع وتسلح الاكتع. وسبق ذو القول وأصاب ذو الشغل واغتنى اللئيم وافتقر الكريم وهار الهدى والصواب ونتأ الخطأ والمعاب وتتوج رأس الاسير وتقيدت رجل الامير

اذا حكم الخطا قتل الصواب * فلا شرع هناك ولا كتاب
وأعلم ذا الملا يعنو ويدنو * وأجهلهم يسود ويستهاب
فلا عجب اذا ما السحب هارت * ولا بدع اذا شيد الضباب
والحصباء في البطحاء ترى * وفي العلياء للشهب التهاب
ولكن الحضا للوطئ عدت * وللجليان قد عد الشهاب
فما للجاهلين سوى افتقار * ولو تبرا لهم عاد التراب
وما لذوي النهى الا ارتواء * ولو أجرى اللظى لهم السحاب
فان يقع الجهول غدا خطب * وأين نراه ان جد الطلاب
اذا حاز الغني أضحى لئيما * وليس بروقه الا الخراب
يجذو راء كل ودي وشر * وينصب كلما خفضت رقاب
لان الجهل يورث كل طبع * قبيح فالجهول اذا مصاب
وان أعطى السيادة وفق ذهر * بغي وابغيه شباب الغراب
فتغضب يوم ميتته المعاصي * وتنبح يوم مولده الكلاب

فيمسي آثماً ويموت كفراً * وينشر كي بداهية العقاب
ولكن ذو النهى غوث لكل * وغيث لا تكف له انصباب
اذا خان الزمان هو الموافى * وعند المشكلات هو الصواب
وان فقراً غتنى واذا اغتنى لم * يعد سوى مكارمه يعاب

أما الجهل فهو مصيبة الجاهل وعطشه فى المناهل ومع ذلك فلا يبرح الجاهل صاحب الفرح عدو الترح ساكن البال رائق الحال مرتاح اللب خالى القلب يبسم مدى الدهر ويقهقه فى كل أمر ولا يعبأ الا بالمحال ولا يفكر الا بالمحال فتراه هائماً بالأموال وضارباً فى وادى الآمال يتوقع المراتب ولو بعدت عنه ويستعطف المناصب ولو نفرت منه ويستحب الباغض ويستفتح القابض وربما تقلد السيف وهو الجبان وطلب الكرامة وهو المهان وقد جرى ما جرى فقلت لمن درى وفى كل ميدان مجال ولكل مقام مقال

أسير ينادى العتق يا دهر لبه * جهوه على التشريف لكن لسبه
أرى الظبى لا يشتاق الا كناسه * وذا الجنح لا يلتذ الا بقضبه
ففى قفص البلور للطير سجنه * وللظبى فى صرح العلا كل كربه
وهبك وثاق الاسر صيغ من النضار * فهل لاسير غل فيه روى به
فبالامرء عيش سوى بين قومه * ولا محسن للمرء غير محبه
أيخدعنى خصمى بحلو كلامه * اذا كان من البغض يجرى بقلبه
وما هو الا الغبن أن يقبل الفتى * سلام الذى لا يرتضى غير حربه
ومن صغر فى النفس بسط امرء يدا * لمنحة من لم يسع الا بسلبه
وكم سارق أغرى صغيراً بفلسه * ليغتال ديناراً رآه بجيبه
اذا كان لى يوماً لسان أقل ولا * أخاف وما تخوف الفتى غير شجبه
ولا ريب ان الموت خير لعاقل * يعيش أسيراً للعدو وصحبه
اذا كنت ذا عضب فكن رب ساعد * والا فخل المشرفى لربه
ومن لم يكن للسيف اهلاً فلم يكن * على جنبه زان السيف الا لضربه

﴿حال التمدن﴾

كل حال تدور على هذه الحال فهي قطب كل الاحوال ولا باسط لحقائق التمدن الجليل أبلغ من تلاوة الانجيل فهنالك التمدن وقراره ومحوره ومداره هنالك يقوم تأديب الطبيعه وتهذيب الشريعه واصلاح السيره وفلاح السريره وتبادل الحب والولا وتراضي البغض والقلا ومحبة القريب واجارة الغريب وصلة الفقير ومواصلة الصغير وعيادة المريض ومواساة المهيض وزيارة الاسير وجبر الكسير وتعزية الحزين والرفق بالمسكين واحتقار المال واعتبار الاعمال والتزام الخالق واطراح الخلائق وطلب الصالحات وترك الطالحات فهذا اختصار التمدن المطوّل وما عليه المعوّل فلا تمدن بين أولئك الذين يتعرون من هذه الصفات وينفرون من تلك الكمالات فلا يقوم التمدن لدى من اغتنى عن فعله بالاسم واقتصر عن حده بالرسم ولا تمدن بين أولئك الذين يخيطون الثياب ويمزقون الثواب ويحسنون المسير ويسيئون المصير ويجلون الخطا ويجعلون الخطا ويمسكون العصا ويرتكبون العصا وينصبون الميزان ويكسرون الاوزان ويحجون لسانهم ويرجون انسانهم فيتفاصحون بالعجمات ويتعرفون بالنكرات ويتداولون المجهولات ويتجاهلون المعلومات وينظمون الموضوعات وينثرون المحمولات ويحبون الظواهر ويبغضون الضوامر ويحفلون بالمسعى ويفجعون بالرجعى ويتغايرون بالرذائل ويتغابرون بالفضائل ويجحدون الى الاموال ويجنحون عن الاعمال ويلبسون الخطل ويتحلون بالعطل وأين التمدن من أولئك الذين يتخذون دون ربهم رب المطروق ويلهون عن الخالق بالمخلوق فيحفلون بالابدان ويخلفون بالاديان اذ يعبدون الملابس ويكفرون بالمقادس وهم في جهلهم يعمهون وفي طغيانهم يتيهون فكل منهم لا يعلم علماً ولا يفهم فهماً وهو يشتم الدين وقضاياه ويرفض الناموس ووصاياه

ويلغو بالرعاة وهو الضال ويرغو بالرشد وهو الخال ويتفاصح بلسان معقود ويحاج ويصغي بنطق مفسود وسمع مسدود فهنا السباق الى المهاوي ومضمار المساوي وعناق الرذيله وطلاق الفضيله حيثما تحتبك المعاصي وتشتبك النواصي فان التمدن من هذه الاطوار بين أولئك الاشرار آل التوحش وأولوا التحرش

(حال المال)

ولما كثرت جموع الملا وآنسوا وحشة الفلا وعلق الخاطر بالخاطر وانضم البادي الى الحاضر هفا الجار الى الجار وذكت النار بالنار واشتغلت هيئة بهيئة واحتاجت فيئة الى فيئة فتبادلت الناس صلات الخدم واشتف كل الى كل والتزم واذ كان الانسان يحب خيره ويمقت غيره ويسأم السؤال ويسوم الاستقلال لم يمكنه استخدام الغير مالم يف الخير جرت الامور بمجرى الاجور وهكذا كان الناس يتقايضون المتاعات ويتبايعون البضاعات فالبهائم بالبهائم والغنائم بالغنائم والمحاصيل بالمحاصيل والمثاقيل بالمثاقيل وما زالوا على هذا السلوك حتى ابتدعوا المسكوك فأبدى الذهب لمعانه وأطال شوكته وسلطانه واهتز كل لسطوته وارتعد وخضع الكل له وسجد على أن الحياة صارت تدور عليه ومجد الانسان يقوم لديه فبقدره يقدر الانسان وبكثره يكثر الاحسان وبوجوده وجد المفقود وبفقده فقد الموجود فهذا ما يقال له المال وما عليه مدار الاعمال فالمال رب قدير وسلطان نصير تندك لهيبته الجبال وتعنو لديه الملوك والاقيال ويخشاه الزمان ويرهبه الحدثان وتنطق منه النوائب وتختفي الشوائب فبه الجاهل يعقل والخفيف يثقل والجبان يشجع والبليد يبرع والفهيه يفصح والمعتوه ينصح والاخرس يسجع والاصم يسمع والعبد يسود والاعمى يقود والحقير يعظم واللئيم يكرم والممقوت يرد والمهمل يعد أما بدون المال فالعاقل يحسب

جهولا واللبيب مهبولا والعزيز ذليلا والاصيل دخيلا والنبيه فهيها والفقيه سفيها والصحيح سقيما والكريم لئيما والطيب خبيثا والقديم حديثا والشجاع جبانا والوفي خوانا والمستقيم معوجا والحي مسجى والمحب مبغوضا والصديق مرفوضا وكل ذلك يعلمه الجاهلون ويجهله العاقلون

﴿هذا حال الغني والفقير﴾

فجلس الغني على ذلك الديباج العظيم واحتوقف الفقير على مخاوق الاديم أما الغني فكان متسربلا بالارجوان مزرورا بالجمان وعلى رأسه اكليل مرصع وفي أصبعه خاتم يسطع والجفد يطوف حوله والحشم يمتثل قوله أما الفقير فكان ملتفا بالاسمال والاطمار ومنطقا ومبرقعا بالاتعاب والاكدار وعلى رأسه عمامة خلقه وفي أصبعه خاتم حلقة فرفع الغني الى الفقير نظره وحملقه وشذره ثم قال له بلسان جزي وصوت جهوري (الغني)

﴿ ماشأنك والجلوس أمامي والحضرة في مقامي يا أيها الرجل الحقير والانسان الفقير فكيف جسرت على الدخول في هذا البنيان وشجعت على هذه الاعتاب ومن أنت وما أنت وكيف وجدت ومتى كنت أما تدري ان الاغنياء سلاطين الزمان وأرباب الاوان وهيبتهم تهول الحدثان اذا تحركوا اخركوا واذا نطقوا استنطقوا واذا خاطبوا خطبوا واذا طاروا طرحوا فهم الذين يسودون الجماعة ويتصدرون في كل قاعة يخطرون في أعظم الثياب ويسحبون مطارف الاعجاب لهم المقامات العليا ولاجلهم خلقت الدنيا فيجتنون مسراتها ويقتطفون ثمراتها ويهصرون كل عود ويجتذون كل جود الفقير﴾ لا تفتخر أيها الغني بغناك ولا تعجب بجمال مغناك فما ذلك بصالح الاعمال وما كان الا للزوال ولو كنت دهقان الزمان وفي زمان الحدثان فستبتظلم بسراجك ومستبرح بديباجك وأنت

في الاكابل مكبول وفي الغلائل مغلول تحيي قلقا وتحيي أرقا وأنت غريق بلجج الاعمال وحريق بنار الآمال لاينعم لك جنب ولو توسدت النعام ولا يترحم لك منزل على الرخام فلا تعتز أليف الجهاد وحليف الاحتشاد بينما لا يبرح قلبك متمزقا بانياب المطامع ولا تزال مجامعك متفرقة بين المجامع فكلما أعطيت استعطيت . وأينما استعصيت عصيت وكيفما بخلت بخلت وكلما بخلت خبلت وحيثما حسبت حسبت وأيان نسبت نسبت فانت المثري المرثي والذهب المغشي أما سلطانك فعلى نفسك وتجنيك على جاني فلسك وهيبتك على أهلك والافتهالك فما اعتبروك الا ليعبروك وما حمدوك الا ليحمدوك وما اصطفوك الا ليقطفوك وما صدروك الا ليردوك حتى اذا ما فقدت استقفوك وقالوا أملك وأبوك

(الغنى) اخس اخس ولمدرك انس فنحن القوم الكبار وأنتم الناس الصغار ونحن الاعيان الرفاع وأنتم آل سوقة الرعاع فهل تقومون الا بنا وهل تمطرون الا بسحبنا فطالما غيضنا منكم البكا وفيضنا عليكم الوكا وأنتم تدرون ولا تفعلون وتفعلون ولا تدرون فكلكم أهل متلوف وما منكم رب معروف فلتعش الامانه ولتمت الخيانه

(الفقير) أصمت صه اسكت مه فما دعواك هذه الا ابنة الجهل آفة الاغنياء وحليفة الكبرياء فاذا راجعت النفس ترى العكس اذ أنتم بنا تحيون ومن مناهلنا تروون فنحن الفئة الكبرى وأنتم الفرقة الصغرى ونحن فعلة الطبيعة وشغلة الارض الوسيعة نحرث الارض ونشتغلها ونسكن الرحاب ونأهلها فلا نحتاج اليكم ولا المثول لديكم اذ نقتات من النبت والشجر ونلبس الصوف والوبر ونستضي بالشمس والقمر ونتوسد التراب والحجر على نعيم البال وخلو البلبال وصحة البدن وطيب الفدن أما أنتم فماذا تعملون اذا لم نرفدكم وكيف تعيشون اذا لم نفدكم يا نسل البليد وأهل التليد فهل يغنيكم التبر

عن التراب والا كان عن الرحاب والياقوت عن القوت والبحر عن الحوت انما الدر من الصدف والانتظام من الصدف فاذا أطمعتمونا بما لكم فلنيل آمالكم واذا عاملنا كم بأعمالنا لتخفيف أحمالنا فانتم تحيون بنا ونحن نشتغل بكم فلا تحيجونا لثلبكم أو لسلبكم

(الغنى) فنهض الغنى على قدميه وبسط جفون عينيه وكشر أسنانه ودلع لسانه لماذا أكثرت شتمي وأطلت رجمي وأنت تغيظني بخطابك وتعدى عن الحدود خطابك هاتكا حرمة الادب وفاتكا بسطوة النشب . فلا أعتبن عليك اذ لا تهذيب لديك على ان الفجور من شأن الفاقة وما أقبح الفاقة والحماقة فلا يجود الفقير ولا يسود الاسير

(الفقير) الشتم بالشتم والرجم بالرجم ولولم تخط الادب ما استنطقتك العتب فانت المبتدي والمبتدي معتدي والادب من خلق النفس كالنور من الشمس لا يأتى بالكتاب ولا بالجد والطلاب . فمن لم يكن ذا استعداد لم يفز بالمراد فلا علم يفيد ولا معلم يقيد والتربية فى الاقلال أعظم منها فى الاموال فالفقير يثقفه الكد ويهذبه الجد وتربيه الايام وتصلحه الانام فتحسن صفاته وتحمد أوقاته ويأمن شر النكد وضر اللدد ووقائع المباراه ومواقع المداراه وشوائب المناجاه ومعائب المداجاه فيعيش بلا كدر ويموت بلا حذر تاركا حسن الاثر اذ لا يتعنى فى لعل وليت ولا يتمنى خراب بيت ولا يتهنى بانقلاب ميت ولا يتسكى بالخريت فيكون كل كنزه فى الحصول على خبزه حتى لا يخامره مرض المطامع ولا ممضض المسامع فيخلو من الحسد المفترس والطمع المختلس والكبرياء الوحشيه والاميال الفحشيه أى كل الانفعات لاالتى تحرق الانسان ولو كان فى الجنان

❊(حال الحرب)❊

خربت الارض خرابا وانقلبت الجماعة انقلابا لان الحرب انتشبت

والفتنة

والفتنة انتصبت فتباعدت الشعوب وتنافرت القلوب وخيم
سحاب البغض واكفهر محيا الارض حتى اذا ماكثرت مضارب
السيوف وتطنبت مضارب الحتوف جرت الدماء كالجواري وتضورت
الناس كالضواري فهبطت جواشن النظام وانقلعت شواجن
الانضمام وانثلت عروش الصنائع وانسدت مسالك البضائع
وسقطت التجارة وانقطعت الاجاره وتقوضت البلاد وانجزر الامداد
وذهب الجار يعوث بالجار والمزار يشط عن المزار وراح كل يزيغ
في وعث البلى ويروغ في وعكة القلى فما هذا الدثار العام والدمار التام
الا ما هو الحرب والطعن والضرب حيثما الفيالق تحمل على الفيالق
والبنادق تسطو على البنادق والكتائب تجاذب الكتائب
والركائب تغور على الركائب والقنابل تصادم القنابل والذوابل
تستميل الذوابل فتتكسر السنابك على السنابك وتلتطم المسالك
في المسالك اذ تلعلع المدافع باهوالها وتهال الارض فتزلزل زلزالها
بينما تخيف القماقم وتتطاير الجماجم وتتساقط الهيا كل المتحركه
وتنهدم المباني المدركه يوم يصفر البحر بالامواج وتلغط الاودية
بالوجراج ويلبس الجو جلباب القتام وتغور السماء في حجاب الظلام
ترقد عيون الذراري وتدلهم وجوه البراري فظلمات بعضها فوق بعض
وبلابل تبلبل السماء مع الارض فما ذلك من شأن الصواب وما هو
الا رجسة الخراب ووقوع العذاب والمصاب فكيف تنزل البشر منازل
البهائم المعاريه ويفعل الانسان فعل الوحوش الضاريه اذ ينثر عقد
شمله ويفرق مجامع جمله شاهراً حسام القراع وساهراً باعين النزاع
على عزيمة الصراع ليختلس جيرانه ويقتبس أقرانه محرضاً من
عدوا لطمع الالد ووساوس الحسد الاشد يستزيد ذاته بنقص الغير
وينسج خيره بنقض الخير ولذلك لا يفتر مشتغلا بتتميم العدد وتكثير
العدد فسوف ينجم النقصان عن التمام ويستقر الوجود عن الاعدام

والحسام يبطل الحسام فالضرب يغلب الضرب والحرب تقلب الحرب

﴿حال السلم﴾

ولما وقعت دول الحروب وسكنت حركات الشعوب تبسم ثغر السلم عن شنب الهدو وطافت كؤس البشرى على الآصال والغدو وأسفرت الارض عن محيا الابتسام فاغتبطت الناس في بشائر الامن والسلام حتى اتشحت البوادى بجلابيب التهانى وامتصت الصوادى أنابيب الامانى وعاد الورى ينضم الى الورى والقوم يحمد السرى وازدهت البلاد وازدهرت العباد وتمكنت مبانى الاعمال وتوطدت مغانى الاشغال وبذخت قصور العمار واستقرت متون القرار وانتظمت سلوك الوفاق وانفصمت عرى الشقاق نخرس الفم الفاغر وانكسر الذراع الكاسر وانقهر الطبع القاهر حتى نام الطرف السهود وطاب الفؤاد المفؤد ونعم عوف الجبان وأمن خوف الزمان وفك الغنى طلاسم كنوزه وأخذ الذهب ببروزه فرنت الاغانى فى المغانى وغنت الاوانى على الاوانى وقلص نهار الافراح ليل الاتراح واستظهرت الاقلام على الصفاح فما هذه الحالة الهادية والعيشه الراضية انما ذلك طلوع السلام ووقوع الخصام حيثما تنعم الناس ويتبادلون الايناس آمنين على بيوتهم وظافرين بقوتهم فيعيشون حسب خوفهم يموتون حتف أنوفهم فليعش السلم المبتغى وليمت الحرب والوغى

﴿حال الحب﴾

انما الحب رباط الجمهور ووفاض الامور وصديق السراء وعدو الضراء به تتفق الشعائر وتلتصق العشائر وتبلغ الاوطار وتغلب الاطوار لا تقوم لديه عنجهية ولا يسطو عليه صليت أينما حل رحلت الشرور ونزل السرور ونهض الوفاق ووقع الشقاق لا يتوطد بيت الا به ولا يثبت قوم بانقلابه فهو الاساس المتين والعضد المعين وهو البطل

المغوار والعسكر الجرار لاتنزل راياته الخافقه ولا تنذل غاراته الدافعه
له الغار كلما غار والغور أينما سار والسطوة حيثما ثار وله الاعتبار
والكرامه والمجد والفخامه لايقبل الشين ولا يرضى المين ولا يصحب
خلقا ذميما ولا طبعا لئيما ولا يلامس متصلفا ولا يداني متحرفا
ولا يرافق الكبرياء ولا يواصل الرياء ويرفض النفاق ولا يقبل
الصداق فهو السماحة والحق والدعة والصدق والتواضع
والاناسه والشرف والنفاسه والكرم والجود والرفد والوفود
والغوث والاعانه والاحسان والامانه ويقسم الحب الى خمسة أقسام
وهي الابوي والبنوي والاخوي والودادي والعشقي أما الابوي
فهو حب الآباء لابنائهم ولا يوجد أصدق وأثبت من هذا الحب فلا تغيره
الايام ولا تعارضه الاعوام أما البنوي فهو حب الابناء لآبائهم
وهذا الحب ينحط الى المرتبة الثانية انحطاط المعلول عن العلة فلا يبادل
الابن والديه مساواة الحب على أن الابن لا يشعر بمحبة والديه الا بعد
تربيتهما له مدة طويلة أعني كل سن الفتوة والاغلبية للمتقدم وبينما
يعقل الابن ويبتدي أن يحب والديه يعود مشعرا بالصعوبة تربيتهما له
والتزامه بالطاعة لهما فاذ يكون مطبوعا على حب الحرية يرى نفسه غير
حاصل عليها فلا يمكنه أن يحبهما بمقدار حبهما له لمعارضتهما اياه في سلوكه
واذا كان نشأ على خوفهما فلا يجتمع حب الشيء والخوف منه معا فيكون
اذا الحب الابوي طبيعيا والبنوي أدبيا هذا اذا لم نقل ان الحب
نتيجة المؤالفه
أما الاخوي فهو الحب القائم بين الاخوة وهذا هو نتيجة المؤالفة
أيضا وقد ينقص ويزيد بمقدار هذه المؤالفه وقد يشتد في البعض
وينقص في البعض وقد لا يوجد أبدا تبعا لآداب الاخوة وتربيتهم وما
تعودوه من آبائهم أما الحب الودادي فهو الحب الذي يوجد بين الاقارب
والاصحاب وهو نتيجة المؤالفة أيضا وهذا اما أن يكون مخلصا واما أن

يكون لغرض فالمخلص نادر والغرضي كثير ومتواتر وربما انقلب الغرضي
الى مخلص والمخلص الى غرضي تبعا لقرائن الاحوال ومواقع الاعمال
أما العشق فهو حركة تشمل القلب وتشغل الخاطر أما حصولها فيكون
أولا على طريقة الوداد أو الميل البسيط ثم ترتقي الى درجة الحب وهو
الميل الثابت الى المحبوب ثم تصعد أخيرا الى درجة العشق وهنالك اذا
أفرطت تدعى بالهوى أو الجوى أو الغرام وذلك بحسب قوتها
فاذا نزل العشق في قلب الشخص رحل صوابه وصارت كل أفكاره
تدور على هذا الاسم وهكذا فتعود كل تصرفاته منصرفة الى وجه الحبيب
بحيث لا يعود ساعيا الا في سبيل مرضاته ولا يطالب الا شهوده حينئذ
يغدو موقعا للاعب الآلام ومهبا لعواصف الآمال فهيم دينا
ويروغ ويغار واذا تبدل شهوده بالغيبة تلاعبت به خمرة الاشواق
وعبثت بقلبه نار الاتواق فيحن ويئن ويضيق صدره ويضطرب فكره
ويأخذه القلق ويشمله الأرق ويتصعد ويتنهد ويهيم الى الطرقات
ويرصد الطاقات ولا يلذ له سوى ترداد ذكر الحبيب واللهج به
ومن عادة العشق أن يلطف طباع العاشق ويجعله سميرا ونديما ولبيبا
ويرقي طبيعته ويرقص أفكاره ويدعوها الى رقة الغزل والتشبيب
بالجمال حتى يعود يمكنه التلاعب باحوال كل الوجود فيصير مصورا
للطبيعة اذ يتوهم فيها الصور المحبوبة لديه ويشاركها لكل الحركات
والظواهر المحيطة به اذ يرى ان لكل منها خدمة في بيت الحب ولعبا
في مشهد الهوى على انه يرى ان الخليقة تتنفس لديه بالحياة وتتنفس
كربه وترعرع مثواه فيناجي الافلاك ويرسم الرياض ويخاطب
الازهار ويطارح الاطيار ويشخص الليل والنهار ومن ذلك ما أقول

نفض الشرق على وجه المغيب * عنبرة الديجور
وسعى الصبح على العود الرطيب * بكؤوس النور
فانثنى يرقص والامر عجيب * رقصة المخمور

بقوام خلته قـد الحبيب * أسكرته الحور

(دور)

والنسيم العنبر يجري في الصباح * حامل الرند
وعلى الازهار فوق الدوح صاح * بلبل السعد
وندى الفجر على النسرين لاح * طالب العقد
قد حكى درا على جيد ربيب * أو على كافور

(دور)

ومهاة أقبلت اثر النهار * تحت ظل الليل
أقبلت بعد عتو ونفار * تستعيد الميل
وهي تدنو بحياء وافترار * والهوى كالسيل
زورة قد أولت الصب الكئيب * بهجة المسرور

(دور)

حبها القاسي وقلبي ارتبطا * برباط العهد
انما عقد اصطباري انفرطا * بالجفا والصد
وفؤادي لم يزل مختبطا * في الجوى والوجد
وأنا بين عذول ورقيب * أنجز المقدور

(دور)

سمحت لي كلما مدت يدا * صاد قلبي القلب
ذات قد برد اللين ارتدى * ليت ذا للقلب
وأنا عنها ولو ذقت الردى * ليس لي من قلب
آه كم جار على قلبي السليب * جفنها المكسور

(دور)

دمية عجماء ما بين الدمى * تفضح الغيدا
رعة ترتع في قلبي فما * تعرف البيدا
ذات عقد يزدهي كلما * يلبس الجيدا

وعيون كيفما دارت تصيب * نيلها المحذور

(ومن ذلك)

بالله قولي لنا يا نسمة السحر * من أين جئت بهذا النافح العطر
ومن أمدك كل اللطف والعجب * حتى غدوت نشير الصبح للبشر
وما فعلت مع الروض الانيق فما * خطرت الا وفاقت أعين الزهر
وأي سر ترى فيك الطيور فما * سريت الا وغنت في ذرى الشجر
فهل سبقت عروس الصبح وهي على * نار فقبلت خد الورد من قرى
وهل ضممت رقيق الخصر منه وقد * ثملت بالراح بين الطلع والدرر
وهل شرحت لخود الروض يقظته * عند الصباح أمام النرجس النضر
وهل رويت لاسماع البلابل عن * وساوس الحلي بين الورد والصدر
فما جنيت على كل الانام بما * جنيت من ذلك الوسنان في السحر
بالله ياريح ان مكنت ثانية * من صدغه فاقيمي فيه واستتري

(ومن ذلك القبيل)

اذا خطرت نسيم من سعاد * أثارت كل شوق في فؤادي
وان لمعت بروق من حماها * همى من أعيني صوب العهاد
نجوم الليل هل تدرين أني * نظيرك لم أذق طعم الرقاد
فقصي بالنجوم على مما * علمت من المواقع والجهاد
فليس سواك لى أبدا سمير * يعزيني ويعلم ما مرادي
ويروي لى حديث ذوى التصابي * ويسعفني على حمل السهاد
ويا ورقاء فوق الايك ناحت * أمن هجر نواحك أم بعاد
أراك ترددين على الحنا * يذيب سماعه قلب الجماد
فقد هيجت مهجة كل صب * وقد رنحت معطف كل شاد
ويا قضب الاراك أراك سكرى * لعلك شممت ثغر سعاد بادي
فميلي يا غصون على ميلي * نعم بك للهوى لعبت أيادي
ويا زهر الربى من أين آت * عبيرك هل شممت شذا سعاد

فعدت بأعين سهرى وجسم * نحيل واهتزاز وارتعاد
ويا ماء الغدير أراك مثلى * تأن ولست مفقود الفؤاد
فانت على فراش الوصل تجرى * طوال الدهر من دون ابتعاد
رويدك يا غرام فكل خلق * غدا بيديك مطروح القياد
فكم يا فاسدا لك من صلاح * وكم يا صالحا لك من فساد
وكم يا داعيا لك من مجيب * وكم يا ظالما لك من منادى
فامن دولة دامت ولكن * لدولتك الدوام على التمادى
وكل فتى له عبد ولكن * نظيرى ليس يوجد فى العباد
فوا عجبا لقلبى كيف يقضى * شروط الاسر وهو بلا رشاد
وغانية علقت بها غراما * بدت لى كالزلال لقلب صادى
فهمت الى ورود الثغر منها * عسى الجريال يروى ذا اتقاد
وعيس صبابتى تسعى اليها * على لغب وداعى الشوق حادى
أسير ونصب عينى نار سلمى * وبين جوانحى قدح الزناد

ومن ذلك الوجه موشح

لاح بدر الحسن من برج الحما * فنضى بالنور سجف الغلس
وسقانا اذ رنا متبسما * خمرة قد عصرت من نرجس

دور

قرضاء سنا طلعته * فى دجى الشعر فلا غاب القمر
وبدا الورد على وجنته * فغدا للقلب يحلو والنظر
كتب الحسن على غرته * لا ينال الوصل الا من صبر
وعلى قلبى هواه رسما * صور الشوق بنار الهجس
وأعاد الطرف يرعى الظلما * والدرارى صرن لى كالحرس

دور

هز من قامته رمح الهوى * وانتضى من جفنه سيف القضا
وأتى يسلب روحى والقوى * بعدما قد كان عنى معرضا

ليت يدري مابقلبي من جوى * عله يبكي عليه ان قضا
صحت مذ أورث جسمي السقما * بالجفا وهو شفاء الانفس
ياغزال الحي رفقا بي فما * تركت عيناك لي من نفس

(دور)

أيها الغالب بالطرف الكحيل * مغرما يرعى الصبا والوصبا
تهت ما شئت فلي صبر جميل * اذ أرى الدنيا لمن قد غلبا
لك ثغر باللمى يشفي العليل * وبأبي أفديه ثغرا أشنبا
ورضاب ليته يطفي الظما * من فؤاد فيه نار القبس
وذلال بعذابي حكما * فانا اليوم كثير الهوس

(دور)

زارني والليل كالبحر اعتكر * وبه الشهب جرت كالسفن
والدراري قد حكت فيه الدرر * أو عيون الغيد اذ تغمزني
وعلى كل الورى ألقى القمر * حزم النور وهم في الوسن
فلثمت الخد منه والفما * وهو يسبيني بلطف الميس
والدجى مد علينا خيما * ليت لاتطوى خيام الحندس

(دور)

وانثنى عني وقد لاح السحر * والتهى كل بتوديع الحبيب
والندا كالل تيجان الزهر * وشدا الطير على الغصن الرطيب
وضياء الصبح في الشرق انتشر * وانطوى الديجور في وادي المغيب
فلكم ذاق فؤادي ألما * حينما ودعت كرها مؤنسي
ولكم أجريت دمعا كالدما * من عيون في الهوى لم تنعس

(دور)

جرد الافق على عنق الظلام * صارم الانوار والقطب يدور
وغدا للصبح في الشرق اضطرام * وجيش الليل في الغرب فتور
فبكت للبين أجفان الغمام * أدمعا الاحت بأفواه الزهور

ونجوم الاوج غارت في السما ❊ وتوارت في حجاب الاطلس
وفؤادي قد غدا مضطرما ❊ مذ تقضي طيب ذاك المجلس

❊(دور)❊

سطر الفجر على لوح الجلد ❊ بيراع النور أحكام النهار
فازدهى وجه السما بعد الكمد ❊ اذبدت شمس الضحى والنجم غار
وكذا الثور جرى خلف الاسد ❊ راكب الحوت ودب الاوج طار
وصبت روحي الى ذاك الحمى ❊ حيثما يرتع ظبي الانس
فهناك الحظ لي قد قسما ❊ في ليال قد مضت كالعرس

❊(دور)❊

يا أخا الاشواق سم صبرا على ❊ ذلك الوجد الذي فيك جرى
واحمل العشق ولا تشك البلا ❊ فالهوى يجري على كل الورى
ان كاس الحب يحلو للملا ❊ وبه كل فؤاد سكرا
بئس قلب لم يذق حب الدمى ❊ فهو أحلى من مذاق الاكؤس
ورعى الله فؤادا ختما ❊ بدم العشق و بالشوق كسى

❊(دور)❊

غرد الحسن على دوح القدود ❊ فغدت ترقص أعطاف الجوى
واستوى الورد على عرش الخدود ❊ لا دسا حلة سلطان الهوى
والعيون السود بالسحر تسود ❊ ولها تخضع أرباب القوى
حدق تفعل بالقلب كما ❊ فعلت كاس الطلا بالأرؤس
ونهود غادرتني أبكما ❊ دهشة وهي شفاء الخرس

❊(ومن ذلك النمط)❊

حتام ياذات الجمال الاعظم ❊ تهوين تعذيبي فحسبي أعظمي
مهلا فقد بلغ الجفا ماشئت من ❊ جسدي ورفقا بالشجي المغرم
قسما بحسنك وهو خير ألية ❊ عندي وقط بغيره لم أقسم
لا أبتغي الاعتاق من أسر الهوى ❊ أبدا ولو سفكت بواتره دمي

أفدي التي أبدت لعيني وجنة ❊ تزهو بحسن تضرج وتضرم
فنواء اذهزت قناة قوامها ❊ ناديت واتلفي وفرط تألمي
ياقلب هذا الحب فاحمل ضيمه ❊ علنا ولا تسمع لهذر اللوم
واصبر على البلوى فكيف تردها ❊ دفعت اليك يد القضاء المبرم
قل للذي يشكو الهوى وهوانه ❊ سلم أمورك للاحبة تسلم
ياربة الحسن التي سبت النهى ❊ يكفيك ما فعلت عيونك فارحمي
حللت فصلي وهو غير محلل ❊ وحرمت وصلي وهو غير محرم
عودي المحب فسقمه لك شاهد ❊ عن صحة الحب الذي لم يسقم
لا تشكون لك الصبابة والجوى ❊ حذر المخيبة فارحمي أو فاظلمي
فاذا رآك القلب ضج كأنه ❊ لك يقصد الشكوى على كره الفم
لا تحجبي عني جمالك ذا السني ❊ فبغير منظره أنا لم أنعم ❊
واذا حجبت بهاء ذاك الحسن عن ❊ عيني فانظره بعين توهمي
والوهم يجلي للفتى مالم يكن ❊ طوع العيان فكم به من مغنم
أفدي بروحي ذلك الوجه الذي ❊ جمع الجمال ولطف ذاك المبسم
زيحي لثامك يا ابنة الصبح التي ❊ قد أصبحت شرفا لكل الانجم
فمتى ترى عيناي ما فتنت به ❊ روحي عسى تحيى بمنظره السمي
فلو انجلت كل الغواني لي ولم ❊ ألك ناظر السنا لك لم أتنعم
ان كان لا يبنى لغيرك منزل ❊ في مهجتي فصبابتي لم تهدم
فاذا انبسطت القلب بسط مشرح ❊ وفحصت عضو العقل فحص معلم
تجدي بذا غي الهوى عوض الهدى ❊ وبذاك نيران الجوى بدل الدم
قومي انظري حوض المياه عسى اذا ❊ عاينت حسنك ترحمين تتيمي
فلقد حويت من المحاسن ما به ❊ أصبحت ذا قلب بحسنك مغرم
لك قامة قامت بها طرف الصبي ❊ خلقت وطرف كالظبا والاسهم
ولو احظ ماغازلتني خفية ❊ الا وأخفت في كل تألم
حلق أحلن دمي وكل عناصري ❊ بقوى الجمال الى الغرام المرغم

حتى غدوت بغير أنسك لا أرى * حظا ولو قد حزت كل تنعم
هذا هو الشرف الذي لسواك لم * يسمح به فتدللي وتحكمي
شرف لديه كل قلب خافق * أبدا وكل فم يرى كالابكم
أبعل في شرع الهوى لك هجر من * لم يرج منك سوى محادثة الفم
فأنا وان كان الهوى بي محدقا * عف نفيس النفس لم أتجرم
ولقد صبرت على تباريح الجوى * صبرا تعجب منه كل متيم
ضعي يديك على ضنا صدري عسى * تدرين ما فعل الغرام بأعظمي
واذا الغرام أماتني كمدا فذا * حق قد استوفاه حسنك فاسلمي
ليت القضا يحتال أن يلقيك في * وادي الهوى لترى عذاب المغرم
من المحال على خلي القلب أن * يدري صبابات الشجي المكلم
أذني عن العذال واللوام في * صمم وطرفي عن سواك غدا عمي
يا لائمي دعني فلا أسلو وهل * يصغي المحب الى الملام المظلم
عبثت أيادي الدهر بي فأذبنني * وأعادت العبرات مثل العندم
حتى كأن جميع أعضائي غدت * غدرا لافراز الهيام الاعظم
كم ليلة قد بات طرفي ناثرا * درر الدموع لذي دراري الديجم
أرعى مسير الشهب في كبد العلى * وأنا أنادي أيها الفجر اهجم
اذ يجتلي المريخ كالدينار في * كف السما والمشتري كالدرهم
وكأن جبار النجوم على الدجى * جبار قوم فوق صهوة أدهم
حيث المجرة نهر نور في السماء * يسقي حديقة نرجس من أنجم
فاذا نظرت الى السماء وجدتها * بنجومها مثل الطراز المعلم
فيا ناظر الافلاك راقت كل ذي * سهر فيا أشقى عيون النوم
فالسهد مثل الشهد للعشاق قد * يحلو وللخالين مثل العلقم
يا للهوى كم قد أرقت دياجرا * بهوى غزال راح يغزو كالكمي
ظبي اذا ما لاح صحت تشوقا * يا مقلتي هذا نعيمك فانعمي
يا أيها الرشأ الذي سلب النهى * مني وغادرني ألف تظلم

كن راحما من قد سكنت فؤاده * صب لديك رجت أم لم ترحم
واذا صرمت حبال ذيالك الولا * فانا لحبل صبابتي لم أصرم
ضحك الحسود شماتة لما رأى * منك القطوب فبكه بتبسم
ليس الحسود يسود قط فقلبه * متعذب أبدا بنار جهنم

ومن ذلك النسق

ما زال يعصي الهوى والحسن يخضعه * حتى جرت في لهيب الحب أدمع
صب الى كل حسناء صبا ولها * لكن اليك وقالك الله مرجع
هيهات يعشق قلبي يامناي سوى * هذي العيون التي بالسحر تصرع
لو احظا فوقها بالحسن قد كتبت * يد الصبا جاذب لا شيء يدفع
فان أكن عنك أظهرت السلو فذا * تظاهر كان يشقيني توقع
أين السلو وطرفي كان يسرق من * مرآك اذ لحت ما في القلب موقع
عودي الى قشوب الميل يحولك لا * يبلى ولست مدى الايام أخلع
واسترجعي ذلك الانس القديم ولا * تنسى هوى في أقاصي القلب مرتع
لا تنكري الحب أو نحي اصفرارك اذ * أبدو فوجه المعنى ذاك برقع
لحسن وجهك فعل لست أدركه * على فؤادي فكم في السر يصنع
لم أدر هل قد أراني البرق ثغرك اذ * يبسمت أم ذاك ماء الظرف ينبع
كأنما بين عينيك الجمال دعا * قلبي الى فتنة فانساب يتبع
صرعت ذا القلب بالالحاظ ظالمة * فظل يخفق حتى ضاع موضع
مدت له عينك الكحلاء سلسلة * خفية نحو أوج العشق ترفع
هناك مرآك عند القرب يوسعه * وجدا وذكراك عند البعد تفجع
اليك كل كمال ينتمي ولذا * عليك كل جمال قام مجمع
لذاك لا أنثني نحو السوى فانا * واف وثوب غرامي لست أنزع
هذي يدي ووثاق العهد يربطها * وذا فؤادي وعضب الشوق يقطع
وذي دموعي وخوف المقت يمسحها * وذاك نوحي واذن الليل تسمع
قومي بنا يا ابنة الصبح المنير الى * روض به الزهر يخلو لي تنوع

حنث الغدير رأى غدر القضا فجرى * يثنى والشط يلويه ويدفعه
كأنه راكض يبغى قتال عدى * والريح بالزرد الفضى تدرعه
فوقه لغصون الحور مشتبك * يحكى ضراع عفاريت توقعه
البدر من خلل الاوراق يطلب أن * يلوح والريح تعطيه وتمنعه
كغادة نظرت معشوقها فغدت * تلوى الازار قليلا ثم ترجعه
الشهب تلقى على ظهر الغمام سنا * كأنها بحبال النور ترفعه
البرق مثل حراب النار يرشق من * قوس السحاب وبطن الجو يبلعه
دنى اذا ما الدجى ضمن الوهاد هوت * قبابه وانزوى فى الافق مجتمعه
الشرق من فه المفترش على * وجه السماء نور رواق منبعه
الغرب جمع جيش الليل فيه وقد * أحاطه بذراعيه نودعه
قد سرت نسيمات خلتها سحرا * روح الظلام الذى قد تم مصرعه
الصبح أرسل تلك الروح تسرق من * زهر الربى ما على الدنيا تضوعه
بت عيونى الى وجه التى سلبت * لبى وملت على صبرى أشيعه
لك التى كلما لاحت لدى نظرى * ضج الفؤاد بصدرى وهو يقرعه
لك التى ان أكن صارمتها غضبا * فكل مر عذاب كنت أجرعه
لك التى حيثما زارت عقيب قلى * ترنو الى بطرف سال مدمعه
الحسن يطفح من أقطار طلعتها * والوجد يقطر فى قلبى فيوجعه
ضعت فى يدها ذات الغرام يدى * والعهد بينهما يحيا توقعه
لت وقد ذبلت ألحاظها خجلا * كنرجس جاء حر الشمس يلذعه
ى الذنوب جرى منى وهبك أنا * أذنبت فاذكر جنونا كنت تصنعه
ى أشعت سلوى حيث لا سبب * وكيف قلبك فى غيرى تضيعه
يا التى لك قد خصصت قلبى اذ * لبست ثوب غرام رحت تخلعه
التى فى الدجى أصبو لشخصك عن * شوق وفى مهجتى الحراء أطبعه
التى بك أيدى الشوق قد ربطت * طرفى وطرفك عنى السهو يقلعه
خنتها ولهيب الوجد متقد * وفى فؤادى أسياف تقطعه

الذنب مني فكفي أدمعا حييت * برق الشباب بطرف خل مبدع

يا مهجتي يا مرادي يا حياة دمي * يا من بغيرك طرفي لا أمتع

اليك ما زلت مجذوباً بغير يد * وفي حشاي الهوى ما زال مربع

وكلما كنت أنهى القلب مني عن * ذاك الهوى كان يعصيني ويتبع

فأي سحر عليه قد رميت وما * هذا الذي لك غنفاراح مخضع

ان قلت حسن فكم بين الورى حسن * أو قلت طبع فاني لا أطبع

ها قد عرفت السر فهو على * عينيك يغشيه احماش ويطلع

أنت التي لك ميل لي اليك دعا * ميلي بعنف فهلا كنت أقنع

✻ ومن ذلك الصدد ✻

ما للمليحة غضبى لا تكلمني * كأنها بي لم تسمع ولم ترني

غضبى ومالي من ذنب كما علمت * سوى افتتاني بمعنى وجهها الحسن

ما بال أعينها في الارض مطرقة * وكلما أطرقت عيناي ترمقني

ونحن في مجلس قد قام من نحب * فمن حسود ومن واش ومن خشن

عسى العيون التي قد أتلفت كبدي * كلت من القتل أو ملت من الفتن

أو أنها علمت ما قد جنت فغدت * من الخجالة ترنو مثل ذي وسن

هذا اذا لم تكن من غيرة غضبت * علي وهما فعادت تغازلني

ليت المليحة تدري أنني كلف * بها الى غيرها ما ملت في زمن

ولي ثبات عجيب في الهوى عجبت * منه الجبال وحار الدهر ذو المحن

على عهودي وودي قد ثبت لذي * صدم الزمان ولم أنقض ولم أخن

رويد جورك يا غضبى بلا سبب * مني الرضاء وهل للآن لم يحن

أطلت اعراضك الرعبى فالتفتي * كالريم نحوفتى أحيي الهوى وفني

حتى يراك فيغدو والحشى قطع * والعقل في ذهل والقلب في حزن

ما زال يهواك حتى صار يحسب ما * بين الملا من عباد الشمس والوثن

مهلا أيا صنم الحسن الذي سجدت * له قلوب الورى من سالف الزمن

فهم يوم داود جنون ابنه تبعا * كذا سليمان رب العقل والفطن

لله

لله درهم كل غدا البنى * حواء قدوة طهر الروح والبدن

(وقال أيضا)

أسبلت فوق صحاح مراض * وجلت تحت سواد بياض
غادة فى ليل طرتها * مدمعى والنوم فاض وغاض
وجهها الراضى رياض البها * آه واشوقى لتلك الرياض
وخدود جعلت قلبها * قاسيا فظا وهن بضاض
مارنت كالظبى الاوقد * خلت حال الامر فى القلب ماض
* واذا قامت بأردافها * ضاق صبرى بين تلك العراض
عجل لولا نهوض الصبى * كان لم يسمح لها بانتهاض
أيها الحسن العجيب أنا * لك عبد فاقض ما كنت قاض
صل وطل واحكم وته واتمر * فأنا راض بما أنت راض
أنت لى كل الرغاب وما * أنت فى الدنيا بشئ تعاض
كل أهوائى انقرضن وما * لاهتمامى فى هواك انقراض
خضت منذ الحمل بحر الهوى * والى الآن أقاسى المخاض
ها أنا فيه على سفر * بادى الانفاض خالى الوفاض
فى الاشجان زادى ومن * مدمعى مائى متى شئت فاض
يا أحباى أفاعى النوى * فى فؤادى لاتكف العضاض
حكم الدهر لفرقتنا * ما على حكم القضاء اعتراض
ذكركم زلزلة فى الحشى * ولها فى كل جسمى انتفاض
وهواكم بى صحيح ولو * عندكم عل ودادى وهاض
لا تظنوا اننى مثلكم * أذكر العهد متى الديك باض
ذلك البين ليال على * عاشق شق الليالى وخاض
يا سراة السفح لازلتم * فى انبساط والعدى فى انقباض
مارعى المفاف غيطانكم * وسقى الرجاف تلك الغياض

(وقال)

تهعاشقت بالهوى وتحكم * واظلم الصب ماشكى وتظلم
ان تكن ظالما فظلمك عدل * لمحب عنى لديك وسلم
لك سلمت ياحبيبي أمرى * فلك اليوم إن تجور وترحم
ياهلالا لاسي العيون ببدر * لاح من هالة الجمال المعظم
سد بطرف له لسان وسيف * بهما كلم الفؤاد وكلم
وكذا جرعلى اذليس لى من * ذاك واق ولا الزمان اذاهم
ما استجار المحب بالدهر من جو * رك الا كالمستجير من الوم
سفكت بالفتور أعينك السو * د دمى فالامان ياسافك الدم
قد قضى الله أن أكون عميدا * بك فارفق ان القضاء لمبرم
كم وكم عن هواك حاولت سلوا * نا فاقضى منك انتقاما وكم لم
فصوابى ذو العدل يدعو الى الثا * روقلبى ذو الحلم يعفو ويرحم
ذاك ثاران يحل فالعفو أحلى * وكلا الخلتين فى الحب علقم
ليس لى حيلة بها العدل يرضى * غير أخذى على ذنبك فاسلم
ان ذنبى ذنب عظيم ولكن * لك عفو عن ذلك الذنب أعظم
ان أكن قد سلوت عنك فما كا * ن سلوى الا سحابا بجهم
كيف أسلوك يامعذب قلبى * لا ومن يدرى بما بقلبى ويعلم
فانا ما بدلت تبرا بترب * مذ بدلت الدينار أنت بدرهم
وعلى كل حالة ان أحل بو * مافانى أتوب حولا وأندم
أنت غصن الهناء فى العين لكن * أنت والله فى الحشا شجر الهم
بجفاك العريض أقتل من سم * وصبرى المريض أضيق من سم
وأنا فى الحالين ميت وحى * بالجفا والرجاء والله أعلم

ومن ذلك المنوال

ياسعاد لاتسئلى * عن بكاى ذا شغلى
لو علمت سفك دمى * ما بعدت عن مقلى
كيف حلت عن كلف * عنك قط لم يحل

وابتعدت عن مقل * عدن بعد في علل
في نواك يا طلبي * قد بليت كالطلل
صرت فاقدا رشدي * مثل شارب ثمل
والهوى على مهل * والصبا على عجل
فالشباب زال وما * للشباب لم يزل
والجمال منك اذا * لاح فاز بالمقل
فاغنميه قبل فنا * فالجمال كالدول
وابتلى الفؤاد ولو * لا الرجا لكان بلي
انني على أمل * باللقاء والقبل
والممات أحسن من * عيشة بلا أمل
يا بكا مودعي * نحو أعيني انتقل
أعيني معودة * في الهوى على المطل
ذا الوداع أودعني * حرقة الى الازل
قد أضعت عهد يدي * اذ قطعت متصلي
يا سعاد لن تصلي * للعهود أن تصلي
ما أنا سوى رجل * يستسير كالرجل
رغم ذا الزمان وما * في خطاه من خطل

وقد يخامر الحب النكد ويداهمه الحسد وتسعى فيه الوشاة وتحدق به اللحاة فينقلب الحب الى سلوان والود الى عدوان ويتبدل الوصال بالصدود والارق بالهجود ولا يعود للعذل مقال ولا للتسبب مجال وحينئذ يهتف المجد بصوت السلو ويتكلم بلغة الخلو شارحا أسباب سلوانه وبواعث عدوانه ويحدث عن الانقلاب كما قلت في هذا الباب

أأذوب لا والله لست أذوب * ان قال ترك قلت ذا المطلوب
اني امرؤ عف الطباع وليس لي * يهوى الذي لم يهوني تشبيب
لا أنكرن عليه حق دلاله * فجماله للناظرين عجيب

ولكل عين أعين ترنوله * ولكل قلب في هواه قلوب
لكن قلبي لايرن بحب ذي * قلب أصم الطبع ليس يجيب
وكذاك لم أنكر اناسة وجهه * لكنه شرس الفؤاد غضوب
مالم يكن بين القلوب تبادل * في الحب لاحب ولامحبوب *
رح يارسول الى الحبيب وقل له * مات الغرام لك البقا فتطيب
ان المحب سلاك فابشر بالمنا * واذهب فانت لمن تشاء حبيب
وليهن واش ولتسر حواسد * وليرض لاح وليقر رقيب
والله لولم يدعني هو أولا * بوداده لوداده فأجيب *
ما كنت لا والله همت بمثله * حبا ولم يك مضني التخبيب
لكنما لايعرف الدنيا سوى * من راح يكشفها له التجريب
ياظبي بل يانافرا عن ودمن * قد كان منك لوده التسبيب
والله لم تضرب فؤادي بالهوى * لولم يثن فؤادك المضروب
وكذلك لم يسكب بحبك مدمعي * لولم يبن لي دمعك المسكوب
والآن أنت رميت بي سهم الجفا * فرددته لك والمسبب يصيب
أبت المروأة أن يقيم على الهوى * قلبي وقلبك للسوى مقلوب
أما فلا عاد الجمال يصيدني * حتى يصيد أبا العرين ربيب
منذشبت عشقا عفتني فاغظتني * فلسوف من غيظي عليك تشيب
ولكم شحيت بذا الى سهر الدجى * هائمت فاسهر أيها المشجوب
قد تبت عنك فلست أرجع لاومن * يهب الندامة ذا الخطا فيتوب

(ومن ذلك)

دع ذكر حادي السرى والوخد والابل * وخل عنك حديث الطل والطلل
وزر مواقع هوج اليعملات على * عوج الاباطح بين السهل والجبل
ولاتضج على سجف ولاحدج * ولاتعج على ظعن ولاجمل
واهجر ربوع خشام لايجاورها * غير الرغام ولاتحوي سوى الهمل
مالب والطنب الممدود في وتد * يقوم بالسبب الزحاف ذي العلل

عاد يحسن لى ذوق التغزل فى * منازل غرقت فى أبحر الغزل
دانحنى المنحنى من ثقل ماوضعوا * عليه من لاعجات فن كالقلل
كذا اللوى قد لوى من وجدهم سأما
وقد ذوى البان من أشواقهم وبلى
كذا الغضا من زفير الهائمين به * ناداهم بلسان الحال واشعلى
قد غدا بالدماء وادى العقيق على * طفح فكم قد أذابوا فيه من مقل
عنى فلست أنا ان كنت ذا كلف * ممن يشوب صحيح القول بالزغل
لست ممن اذا جد الغرام به * أضحى يكابده بالرمز والحيل
هل اذا طعنت قلبى قدود بنى * حسن أطيب بذكر البان والاسل
هل اذا مارمت ألحاظهم كبدى * أقول هذى رماة النبل من ثعل
هل اذا ثغر من أهوى تبسم لى * أطارح الابرق البراق بالقبل
لا والذى خلق الانسان مكتسبا * بالذوق غير عقيم العقل والعمل
لكل عصر رجال حسب دولته * فالآن ما الرجل العبسى بالرجل
كذا لكل زمان ألسن نطقت * بكل معنى جديد غير مبتذل
قد كان بالنازحين العيس تعسف فى * قفر الفلا لاظالعات الخب والرمل
واليوم لم يبق للاقفار من رهط * ولم يعد لظهور النجب من دخل
ولم يعد فى خيام العرب من سكن * غير اللصوص وسقط الناس والسفل
فهل اذا ماجرت بالعجب باخرة * فى البحر أو فى الثرى أشكو الى الابل
ومن اذا الشمس فى لوح الضحى رقمت * بياضها قال هذى صفرة الطفل
هذى عصور علينا فى الجاجدد * فلا نبليلها بالاعصر الاول
وقد أصاب بهذا الدهر كل فتى * بحر الكمال فلا يهفو الى الوشل
ورب طالب شئ ليس يدركه * أمسى وفى قلبه لذع من الامل
إذا بدا لى شأو لا وصول له * فلا أقولن عمرى ليت ذلك لى
وان أزم وتقلب غير منقلب * فاننى رمت ظلا غير منتقل
تأبى النفوس العوالى أن يخامرها * حب الاسافل كره الاعين النجل

قوله بالزغل كذا بالاصل وليس له فى القاموس معنى يناسب هنا ولعله محرف عن الدغل وهو دخل فى الامر مفسد كما فى القاموس

وكيف يرعى كرام الطبع دون أذى * عهد اللئام رعاة الخون والخطل
والله ان خان ميثاقى الحبيب سلا * قلبى وحليت جيد الحب بالعطل
قولوا المدامعة والورد يطبع فى * أخذاقها شيم الحيران والثمل
ضربت بالغدر قلب الصب فاندملت
جراحه من ضراب الغنج والكحل
وقد أخذت باركان الهوى فهوت * وقعا بما أحدث الغدار بالبطل
قومى أرينى أيامن بالهوى عبثت * وجها كسته يد الابرام بالهبل
مالى أراك بلا لطف ولا خجل * من بعد ما كنت ملء اللطف والخجل
مالى أراك الى كل على طمع * وكنت لى بالحيا مكحولة المقل
مالى أرى النفس منك الآن قد سقطت
على الحضيض وكانت فى ذرى القلل
مابال وجهك هذا القبح ملتفت * لكل داع وذاع كل ذى شغل
مهلا فلم تدعى نفسا على طمع * بالوصل منك ولا قلبا على غلل
قل هذا وذا أقوى وذا أسلا * وأنت أنت بلا اسلوى ولا ملل
وعنك كل فتى قد عاد مجتنبا * سوى فتى من بنى الاوباش والهمل
كالمعت ذا الكاشح النذل الهوى فغشى * وراح عن دبر يروى وعن قبل
من الاعاجم لا أصل ولا حسب * ولا صفات سوى الفحشاء والزلل
وحش من الحيوان السقط مفترس * وان بدا بشرا فالمسخ ذو نجل
ما كان قط ليرضى أن يرى شرفا * فطبعه من طباع البغل والوعل
يرى بشر المساوى والفساد لكى * يرمى الصلاح ولكن قط لم ينل
وان يكن بك قد تمت رمايته * فانت ممن أصابتهم يد الفشل
أغنيته عن جميع الناس فافتخرى * بذاك يا فخر فرد قام عن جمل
حسب الذباب افتخارا أنها شبعت * من الفقاع وجاع النحل فى العسل
قد كنت لى فى مراح العز سارحة * تمشين كالليث اعجابا على مهل
والآن صرت تجاه النذل مجفلة * تسرين كالضب خيرى فى يد الوجل

فسوف

فسوف تلقين أهوال الاسى ندما

من حيث ألقى الأسى عن ناظري *حلى

قد كنت أندب حظي منك نضو جوى * وها أنا الآن في ضحك وفي جذل

قد كان يلقاك طرفي مطرقا خشعا * والآن تلقين طرفي غير محتفل

واليوم تبكي عليك العاذلات كما * قد كنت أبكيك بين العذر والعذل

فلا برحت بأفواه الملا مثلا * ومنك لا برحت نفسي على جفل

بشراك بشراك بالصيت الذى لك قد * بدا فقد سرت بين الناس كالمثل

واستبشري بوقوع الود عندك فذا * حمل عليك ثقيل غير محتمل

لا تأسفي ان يكن منك الجمال مضى * فان دولته من أقصر الدول

وهل مرادك الا خدع ذي بله * فاستبضعي رقع التمويه واشتغلي

باللبز وال خدود الورد قد ذبلت * كذا كغارت عيون النرجس الخضل

وقد هوت كل أركان الشباب سوى * قلب توطد بالوسواس والخبل

تبادل الصبح والديجور لونهما * فابيض هذا وذاك اسود بالعجل

ولم يعد من ملي الجسم منك لنا * سوى جلود على عظم بلا عضل

فلا يغرن قومي البارزات فما * هذي سوى خرق شدت على قصل

ولا يغش فتى هذا الجمال على * ذا الجنا فهو يحكي ألسن الشعل

وهكذا كل نبراس يضيء له * جوف يضم ظلاما بالدخان ملي

تلك الخصال التى زينت قباحتها * والحسن قبح على مستقبح الخصل

وجود مثلك في الانثى أتاح لها * مقتا وقد يؤخذ المنقود بالدغل

انى وماضم قلبي من سلوك لم * أعتب عليك فكم لي عنك من بدل

لكن عتبي على قلبي فعادته * أن يصحب الناس والدنيا بلا دخل

خذوا من الناس يا ذا الناس حذركم * فكم من الناس ذيب في كسا حمل

ما عدت أخشى الضواري بعد غدركم * أنا الغريق فما خوفي من البلل

جنيت ذنبا أرى فيه معاقبتي * من لي بتمحيص ذنب باهظ الثقل

بنات حواء ما أنتن غير بلا * على بني آدم كل بكن بلي

لكن فضل فكم منكن لي أدب ※ وربما صحت الاجسام بالعلل

※ومن ذلك أيضا※

لاتدعي ببقاء العشق والتمسي ※ غيري فاين مزاج الكف والنفس
العشق لايدع الانفاس فاترة ※ ولا تغادر لمس الكف كالقبس
علمت أنك قد خنت الغرام فلا ※ تخادعيني بلين القد والميس
ولا تظني ابتسام الثغر يخدعني ※ فليس لي خاطر في ذلك اللعس
سلكت طرق الهوى عسفا كذي ذنب
من السما أو من الشطرنج كالفرس
لذا خلعت ثياب الحب مكتسيا ※ ثوب السلو ولم ألبث على هوس
وقد جلت سلاح الصد عنك لكي ※ أرد شوقي فانجو من يد الرجس
كوني بغيري في حظ كذا اليكن ※ ذا الغير مستهديا فالتيه في الغلس
فسوف يرجع مغدورا على ندم ※ يبكي الدجى وينادي آه واتعسي
ما أنت الا كريش طاردته بلا ※ رفق يد الريح بين الاربع الدرس
تذكري حينما أقسمت لي شرفا ※ بان قلبك عني غير منعكس
يوما وضعنا بلا خص يدا بيد ※ وقد عقدنا عهودا عدن في ترس
اذلم أكن عالما أن العهود جرت ※ من كف مستأنس في كف مفترس
فلم يكن منك قبض الكف لي علنا ※ للعهد لكن لخنق الحب بالخلس
نعم لخنق الهوى واحسرتاه نعم ※ لقتل ودي نعم للنكث والنحس
مالي أراك تريقين الدموع بلا ※ ذيلي وتبغين مني مرجع الأنس
هلا علمت بأن الرأس مني لم ※ يخضع ولي قدم في الذل لم يدس
لا عاد يخطر في بالي الهوى فدعي ※ هذا الفتى آمنا من خلقك الشكس
أنذرت قلبي بما أوحى السلو لذا ※ سقطت منه كارطامس من زفس
يكفي فؤادي ما قاسى وما احتملت ※ جوارحي من وقود الشوق والهجس
آها وواأسفي كم قد نثرت على ※ هواك لؤلؤ دمع راح في البخس
وكم سهرت الدجى شوقا وعينك في ※ نوم فها الآن طرفي عنك في نعس

وها عيونك قد أمست مسهدة ❊ ترجو الى ً وصولا وهي في الدلس
وها غدا اليوم منك القلب ملتمسا ❊ ترجيع عشق وقلبي غير ملتمس
لا تفرحي ان نظرت الوجه مني ذا ❊ بشاشة فالهوى تحت البشوش نسي
ولا تظني اصفراري في قدومك عن ❊ خطور حب ولكن عن ظهور مسي
فلا يغرك لين الطبع مني أو ❊ بشاشتي فأنا قاس كنبل قسي
كذاك للنظر المرآة تظهر من ❊ ماء ولكنها الملس من يبس
دعي دعي ذلك الصب الذي فعلت ❊ به طباعك فعل الظالم الشرس
فلست ألقي على باغي الاسي نظري ❊ ولو يكون بأنوار البدو ركسي
قد كان يدوي بصوت الوجد قلبي اذ ❊ أراك والآن أضحى جامد النفس
وكان ينطق فكري بالغرام بلا ❊ صمت فبدل ذاك النطق بالخرس
وكم سفكت دموعي أو دمائي على
رجليك أرجو الرضا من وجهك العبس
قد كنت حزن القلبي والهوى نكد ❊ والآن صار له السلوان كالعرس
بغضت عشقك حتى لو تجسم لي ❊ شخصا لكنت أريه الشنق بالمرس

❊ ومن ذلك أيضا ❊

سلوا فذا كبر عهدتك يا قلبي ❊ ألم تر أن الحب أشرك في الحب
ألم تر من تهواه مال الى السوى ❊ وعنك تخلى ريثما صرت في الركب
لحى الله حبا روحه في يد النوى ❊ فما هو الا رمة في يد القرب
وما هو الا خدعة لا محبة ❊ وما أصله يا صاح الا على الكذب
فلا عدت أمشي في طريق الهوى فذا ❊ طريق به من يمشي أصبح كالضب
طريق العنا والبؤس والضيم والضنا
وسهد الدجى والسقم والنوح والندب
رأيت الهوى مغرى بضربي على المدا
فأضربت عنه الصفح والضرب بالضرب
سعاد أما والله أنت وطيدة ❊ على الحب لكن طالما الشمل في الصحب

وأنت على الميثاق ساهرة بلا * رقاد ولكن طالما الشمس فى القطب
اذا كنت ياسعدى كبرت فأنت هل
صغرت ولم يبرح صباك هوى الصب
وان تصدغ بك الغضون لدا الصبى * مجار وفى صدغى للكبر والكرب
كأنك بالمرآة همت صبابة * فلم تنظرى فيها سوى الحسن والعجب
لعل ذبول الورد عن وهج الصبى * نشا فيا ه الورد حلت عن النضب
تعلة من ظن الشباب كنجمة * على القطب ما زالت تضئ بلا غرب
وهبك شباب العمر دام فهل فتى * يدوم على عهد الشباب بلا قلب
وهيهات فالاكوان سوف تحل فى
قبور الفنا والارض تحرق كالعشب
فذا مشهد لابد من سدل حجبه * زوال الابيد وغيره من ورا الحجب
اذا كان فى باريس كل العلا يرى * ففيه لقنسرين كل العلا مخبى
فكل عمار فيه رمز خرابه * وكل خراب عن عمار له ينبى
وفى حزن بعض الناس للناس فرحة * وفى قومة المربوب منقلب الرب
وان دخول النفس فى الخطب مخرج
لحزم النهى فالحزم يحصل فى الخطب
وللناس أخلاق وعاد وأنفس * يطاوعن حكم الاين والحين والحقب

(ومن ذلك أيضا)

اياك اياك تأويبى وتقريبى * ولازمى لازمى بعدى وتغريبى
وحاولى كل صد عن محادثتى * واستقبلينى بتزوير الاحاجيب
وان حضرت فخطى فى الثرى عوضا * عن القيام بتسليم وترحيب
وان نطقت فقولى فاه ذو حصر * وان رويت فقولى ذوا كاذيب
وفضلى كل ذى نفس على فلا * أزل منى بين المرد والشيب
والله لولم أكن شر الانام لما * أحببت مثلك يا أدنى المحابيب
قابلت خيرى بشرى والوفا بجفا * كذاك طابقت تعبيرى بتجريبى

هيهات يحسب انسانا الديك فتى * يرعى الذمام بقلب غير مقلوب
قد كنت أهواك صافى القلب طيبه * فلم يرقك صفائى لا ولا طيبى
ورحت تهوين نكس القوم باذخة * به وبدلت مقبولا بمثجوب
فخان عهدك مقلوبا عليك ومذ * سمعت ذا قلت راح الذيب بالذيب
فسوف تبكى عليك الشامتات كما * على أبكيت عذالى بتعذيبى
وما فترت بسوق الشوق مرخصة * ما كان نغليه انشادى وتشبيبى
حتى جعلت عرين الاسد مكلبة * ومنزل العهر أخدار الرعابيب
لذا غدوت أروم البعد عنك بلا * صبر وقد كنت أرجو كل تقريب
وللفتى طلبات يختلفن على * قدر اختلاف الدواعى والمطاليب
هاتيت عنك وعن كل الهوى أبدا * وأنت عنى وعن كل الهوى توبى

(غيره)

يا عاذلون استريحوا فالشجى خلا * ويا وشاة تهنوا فالمحب سلا
سلا وبالغ بالسلوان خاطره * حتى جرى فى الملا سلوانه مثلا
سلا وأصبح لا يشكو صروف جوى * ولا سهاد دجى ولا عذاب قلا
نعم سلوت نعم عفت الغرام نعم * فر الولوع نعم كل العنا بطلا
وارتحت من كل مهذار يلح فقد * زال الهوى فأزال العذر والعزلا
تلك التى خلبت عهدى وقد خلبت * على ودادى لها ما يصدع الجبلا
حسبت أن ودادا عندها ووفا * حتى اختبرت فلا ود هناك ولا
خيانة مزقت صبرى مرارتها * كل الخيانات أضحت بعدها عسلا
بالأمس كنت على قومى أتيه بها * واليوم قد أصبحت عارا على علا
وكنت أهتز فخرا كلما ذكرت * فصرت ان ذكرت لى انحنى خجلا
لا بدع أن أستحى من ذكر من ولعت * بالقدح بى بعد ما أوسعتها غزلا
فلا رعى الله يوما عاهد خائنة * قد أشمتت من درى أمرى ومن جهلا
أنا الذى بيدى أوقعت نفسى فى * تلك الفخاخ فان أعتب فذاك على
تعلموا أيها العشاق واتخذوا * أمثولة لم تروا يوما لها مثلا

قضيت كل شبابي في محبة من * مذ شاب فودي راحت تطلب البدلا
وما درت ان عصر اليأس داهمها * وانها قد غدت بين الملا هملا
قد عوضتني بمن دوني لذاك غدت * دونا فيا ويح من يخط بغد علا
وأنكرت قدر معروفي ومعرفتي * فصار انكارها في قلبها وجلا
كأنما الذوق يأبى أن يقوم على * انثى فليت الاناثى لاترى رجلا
لأصبرن على تجديد دولتها * فالدهر من شأنه ان يقلب الدولا
فسوف يضحكني صرف الزمان على * أحوالها وسيبكيها أسى وبلا
كم أضحك الدهر من باك ينوح وكم * أبكى ضحوكا وكم رقى وكم خذلا

غيره

يليق لذي العجباء ان تتدللا * وفرض عليها أن تتيه على الملا
وحق لها أن لاتكلمني ولا * تراني ولاتلقي السلام اولا ولا
وحلم لنا منها اذا عف حكمها * ولم تجعل الاعلى على الارض أسفلا
فمن قدرها أن تكسف الشمس في الضحى
وتخسف وجه البدر في كبد العلا
وتهبط بالسبع الشداد على الثرى * وتفصم شمل الكائنات وتفصلا
وتستوقف الافلاك عن دورانها * وتقلب أبراج السما وتزلزلا
وتهدم أركان الطبيعة كلها * وتجعل تنظيم الوجود مبلبلا
وتقلع أطناب السحاب وتنسف الـ * ـجبال وتبقي واسع البحر جدولا
وتبطش بالاقدار والخطب والقضا * وتضرب شرع الكون فردا ومجملا
وتجدع بالاذلال أنف الفتى ولو * أناف على الجوزاء شأوا ومنزلا
وتسحق أحكام الزمان برجلها * وتكسر رأس الدهر ان صال واعتلا
لها البدر نعل والسها فص خاتم * وكل الدراري والنجوم لها حلى
فما كل هذا حقها غير منكر * نعم كل هذا حقها ولها ولا
نعم كيف لا وهي التي خانت الوفا * وبالغدر والابرام قابلت الولا
وقد قذفت بالنكس عهدي ومزقت * بنيل الهوى عهدا ومدت يد القلا

لذلك

لذلك قلبي قد سلاها وعافها ※ وها هي بعد العز تعنو تذللا
فيا حسرة اسم كان يسند بالثنا ※ فاصبح جرفا مجسم الحكم مهملا

※(وقال أيضا)※

طرقت خباها بغتة يوم تبكير ※ فصبحني وجه كرقعة تصوير
هنالك على المرآة كانت مكبة ※ تموه خديها بصبغة جنجور
فأيقنت أني في الهوى كنت والعا ※ بمسحوق تبييض ومحلول تحمير
وكنت أرى أني بمقصورة جو ※ اذا أنا أهوى راجيا ضمن جابور
※ مظنة نبل في محققة هجنة ※ حكت عزف زنبور على وطنبور
ولما رأيت الشيب في فودها غسى ※ عجبت لصبح لاح في ظل ديجور
وقلت عساها أمسكت أم ضجيعها ※ حقاها فذا تاج على رأس مهجور
جبال على فرش الهوى مات والشقا ※ أحال له مسك الغداف لكافور
لك الله من هذا الذي كان طالعا ※ مع الصبح من مغناك يجري كمذعور
فهل خلف لي ذا على فتن الهوى ※ ثم فاعشق يوما خلا خلف شحرور
فهلت أنا ماء الصبي منك كله ※ وخلفت للاغيار ماء الحناجير
أنا نحلة الازهار أجني نفيسها ※ خليقا وأبقي غثها للزنابير
غدرت وهذا الغدر يح امامه ※ أنا والهوى طود وريشة عصفور
فيا أنا من غدر مثلك مضيه ※ وأي كريم في الورى غير مغدور
اذا قلت فالافعال تتلو مقالتي ※ ولو كنت مطبوعا على كل تقصير
توهم قوم أنهم أسد الشرى ※ وعند التلاقي أجفلوا كالسنانير
اذا قام شاهين الطيور مشمرا ※ على ساقه خابت ظنون الزرازير
وان هب يبر الجو فيه محوقا ※ تفرق في الاجحار جمع العصافير
يحاول ضرب اسمي الحسود ودونه ※ زحام الليالي واقتحام الاعاصير
تبوأت باز الدهر في حومة العدى ※ فرازا فرارا يا صفوف الفرافير
أنا بينكم لكنني ضعت بينكم ※ ورب صحيح ضاع بين مكاسير
وفي وفم الباغي يصيحان انما ※ بمأذنة هبذا وذلك في بير

قوله الفرافير جمع فرفور كعصفور اسم طائر اه قاموس

يحوقل خصمي اذ يراني وصاحبي * يروح بتهليل على وتكبير
أنا صخرة الوادي ازاء معاندي * وأعظم خطب للذي رام تحقيري
على أنني غيث ثجاج لذي الوفا * وملح أجاج للخؤن ابن خنزير

﴿وقال أيضا﴾

تشاءمت اذ في النوم طيفك وافاني * فياليت نومي لم يعد بعد سلواني
حلفت يمينا لا أراك فان أكن * جرحت يميني في الكرى فالكرى الجاني
وماذا يريد الطيف مني وانني * سلوت سلوا عنك ليس له ثاني
فلو مثل الماء القراح لأعيني * خيالك لم أشرب ولم أطف نيراني
سلوتك والدنيا تضج بسلوتي * عليك وأهلي يعجبون وخلاني
فكل له علم بأني كنت في * هواك صريعا ضائعا مدنفا فاني
وكنت اذا أنشدت فيك قصيدة * ترامت عليها أنفس الانس والجان
فياليت قومي يعلمون الذي جرى * من الغدر والابرام منك لاحساني
وفيتك حتى خنتني بخيانة * تحير من فحشائها كل خوان
فها وجهك المنكود يشهد بالذي * فعلت وها ما بين عينيك عدواني
على أن ذاك الجمال قد انمحى * ولم يبق من ملح سوى لمح انسان
الام الام العجب اذ لم يعد سوى * شنار وفي المرآة عندك برهاني
قضى حسنك الباغي وحز به القضا * وأدرجه من ذا المشيب بأكفان
نظيرك دهر ساحريك غشني * وحير أصحابي بأمري وأقراني
لحى الله أياما بوجدك جزتها * فياليتني ما كنت فيها بوجدان

﴿وقال أيضا﴾

ماغريمي في الحب غير ثباتي * وثبات المحب عين الشتات
ليتني كنت كالحبيب بلا قلب فلا كان منبت الحسرات
لحفاظ الحياة قد خلق القلب ولكن قلبي لسلب حياتي
أيها القلب قد قضيت مراما * فالام الولوع بالشهوات
تب عن الحب والعنا وعلى السلوا * ن ثب وانج يا أخا الوثبات

كيف يا غالبا أسود الردى صر * ت أسير الهوى بعين مهات
عجزت أسيف المصايب عن كسـ * ـرك حتى انكسرت باللحظات
أنت أبكيت أعين الدهر ذي الغد * ر فأنى يبكيك غدر فتات
ذلك الحسن يصرع الاسد السا * طي ويغزو الكمي ذا الغزوات
انما الحر لم يخر حسن ذات * قط ما لم يزن بحسن صفات
فسلوا يا قلب ان كنت حرا * عن قبيح الصفات باهي الذات
ذا حبيب عيناه لم تخلقا الا * لرشق الجميع بالنظرات
كلما شاب لمة شب لؤما * فشباب ناء وشيب آتي
ما عليه فقد هصرت صباه * داني القطف طيب الثمرات
ثم غادرته فضالة لون * سر سما في صحائف الطيبات
يا خليقي في حبه فاتك العهـ * ـد فوات الحبيب عند الفوات
كن أمينا عليه من رجعتي حر * مة أمن من أحسن الحرمات
فلمثلي الثبات في كل شوط * ولغيري التردد في الرجعات
طائر كان في يد الشهم نسرا * وبغاثا غدا بأيدي البغاة
هكذا الشاة في حمى الليث ليث * وبوكر الذباب جيفة شاة
رب ميت كأنه في حياة * عند حي كأنه في ممات

وربما كان السلو هجعة رقاد وهدنة جلاد حتى اذا عرض حادث أو زال باعث تيقظ المحب للحال ورجع الى جهاد الجمال مستعطفا برجعته ومستعذرا عن غفلته ويستسمح عما مضى ويستبيح عود الرضا وهكذا يرجع بعد نفاره ويقع بعد فراره وعلى هذا الحال قلت هذا المقال

رجع المحب اليك بعد سلوه * ودنا يروم رضاك بعد عتوه
صب رأى برجوعه كل المنى * وكذا رقي كل العلا بدنوه
وغدا وضيع النفس بعد علوها * وهوى على قدميك رغم سموه
والله ما بالغبت بالاعراض لو * لم يدع ذلك منك فرط غلوه

وإذا غضبت فلم يكن غضبي سوى * ثورات هذا الحب حال تموه
لم يخل منك وعنك لم يك معرضا * قلبي فإن الفك كل خطوه
شعر الحياة وفيه حبك قد جرى * مجرى الحياة فلم أعش بخلوه
لا يألف السلوان صب دأبه * يلفيك في آصاله وغدوه
عودت خاطره الصحيح على المدا * بهواك حتى زال كل هدوه
فإذا انتبه عنك فترة صدقه * وارتد بعد علمت بعد سلوه
فاليك يدنيني الهوى بدنوه * مني ويقصيني الرجا بعلوه
عادى الرجا قلبي وصادقه الهوى * فاحتار بين صديقه وعدوه

(حال البغض)

البغض خصم الصلاح وعدو الاصطلاح وحليف الفساد وأليف الاضطهاد ومخل الخير ومحراث الضير فهو الداهية الدهما والبلية العظمى حيثما وجد وجد الشر وأينما تحرك تحرك الضر وهو اما يكون خلقا اما يكون تخلقا فاذا كان خلقا ادعى البغض الغريزي ويكون صاحبه باغض الناس في كل لباس فيبغض عموم البشر ويشتهي لهم كل ضرر فلا يصادق صديقا ولا يرافق رفيقا ولا يواخي ولا يخاوي ولا يدانى ولا يداوى واذا استعطف نفر واذا استلطف نهر وغمغم وزجر واذا حولف مان واذا عوهد خان واذا وعد أخلف واذا قال أجحف وهكذا فذو البغض يكون من الكل مبغوضا ومن نفسه مرفوضا فيستنزل عليه لعنة الجميع ويستجلب اليه مقت الرفيع والوضيع اذ يصبح هملا مهمولا وسقطا مرذولا ويغدو ذكره عارا واسمه شنارا ينفر منه الجنان وتقشعر الابدان واذا كان البغض تخلقا انما يدعى البغض الاكتسابي وهو يكون نتيجة غيره من الصفات كالكبرياء والحسد والغضب والحقد فالمتكبر يبغض الذوات والحسود يمقت الخيرات والغضوب يبغض الرضوان والحقود يمقت الغفران وقد يكون هذا البغض اثر خلاف في دين

النفس وافتراق فى النوع والجنس أو أثر وفاق الاعمال واتفاق الاشغال فيستنهض أمة على أمة ومملكة على مملكة وبه يردى الزارع بالزارع ويؤدى الصانع بالصانع ويفتك التاجر بالتاجر ويضر الآجر بالآجر وتثور العلماء على العلماء وتهب الشعراء على الشعراء وهكذا تنهش هناك أنياب المثالب وتنشب مخالب المسالب وتسعى أفاعى الضغن وتزأر وحوش الفتن فينثل عرش الانتظام ويتقوض ركن الانضمام حتى يهبط كل عمار ويتشيد كل دمار فلاريب أن البغض آفة الكل والبعض

﴿حال الجمال﴾

الجمال هبة الهية ومنحة طبيعية فهو مشهد يلذ الناظر وبروق الخاطر ويستميل الجنان ويشغل الاذهان ويستغزر التحبيب ويستثير التشبيب فيشمل الاح علقت الخواطر وعشقت النواظر وأحلاه ماسلم من الصناعة كليا وكان جمالا طبيعيا فلا ينزل التمليح منزلة الملح ولا يقوم الترجيج مقام الزجج ولا يحل التكحيل والتدعيج محل الكحل والدعج ولا يظهر التوريد مظهر الورد ولا يبرز التنهيد بروز النهد وهذه الصفات الباهية تغلب فى البادية

﴿البدوية﴾

سقى الجانب الشرقى من حلب الشهبا
غمام حمى من شهب ذاك الحمى الشهبا
وحيا الحيا تلك الربوع وجادها * فلا وجدت جدبا ولا عدمت خصبا
ولا برحت تلك المروج زبرجدا * ولا زال ذياك الندى لؤلؤا رطبا
هناك من الاعراب لى بدوية * غزت بالعيون الترك والعجم والعربا
مهاة أبت الا السراح مع المهى * فتوحش من حاب وتؤنس من حبا
لها فى فؤاد الضب مرعى ومرتع * ولو رتعت فى البيد أورعت العشبا

غناها بياض الجيد عن بهجة الحلى
وعن حسن ماء ماء حسن أبى النضبا

فما وردت خدا ولا بيضت طلى * ولا حمرت ثغرا ولا سوّدت هدبا
ولا جعدت شعرا ولا صقلت يدا * ولا عرضت ردفا ولا ضيقت جنبا
فقد دبج الرحمن ألوان حسنها * وقد نحتت أيديه قامتها العجبا
ترائب ساج تحمل الصبح لا الحلى * وأرساغ عاج تلبس القلب لا القلبا
ونسرين وجه لا يحول بياضه * وان يستحل وردا فذا ان رأت صبا
أضاربة فى مهجتى مضرب الهوى * عليك به لا بالفلا فهو لا يسبى
وضاحكة والرفق أنت بمدمعى * فديتك من ضحك ولو زدتنى كربا
وبادية فى طلعة بدوية * يروح لها دمع الحضارة منصبا
فما خضبت منك الخدود وسادة * ولا نظرت مرآتك الصبغ والخضبا
ولا شربت عيناك أدمعها ولا * أبت شفتاك الحمر فى محضر شربا
وما اعتضت عن ردف بقوس وعن ثدى
بحشو ولا أوقعت فى وجهك الكذبا

جمال طبيعى حوى كل بهجة * ولطف بديهى سبى العقل والقلبا

وللجمال سطوة كاسر وهيبة آكاسر وحكم صائل وسودد طائل يذل الكرام ويعز اللئام ويخفض الكبير ويرفع الصغير أينما لاح خطف الابصار وأخذ بالافكار فترتعد لديه الجوارح وتهتز منه الجوانح وتكثر الدموع ويقل الهجوع وأيان تملك كانت فرائضه الآلام وجزيته الأسقام وأوضاعه الوساوس وشرائعه الهواجس فهو ملك ظلوم وبطل هجوم يطلب على الكل السياده ومن الكل العباده ولذلك لا يفتر ثوران القلب عليه ولا ينكف عجيج الخواطر لديه مع أن دولته أقصر من يوم الفرج وزواله أسرع من مرور النسيم فما هو الا عرض مفارق وطيف طارق *وسطوة الجمال*

للحسن حكم لا يرد وسودد * يغزو القلوب وما على [illegible]

فاذا بدا برق الجمال لذي الهوى * لم يبق فيه سوى فؤاد يرعد
سبحان من خلق الجمال فانه * ملك لديه كل قلب يسجد
كن يا فؤاد على الصبابة ثابتا * فلكم بها من لذة تتجدد
واخضع لاحكام الغرام ولا تطع * حكم العذول فانه لا يحمد
واذا الفتى ما ذاق آلام الهوى * لم يدر لذات الهوى اذ توجد
لابد من ألم يضيم ولذة * عرضان بينهما الجواهر تفسد
طعنت فؤادي قامة ودمي به * طرف فذي رمح وذاك مهند
كبدي بنار الحب قد ذابت ولا * عجب فكم في الحب ذابت أكبد
غلب الغرام علي حتى أنني * أبغضت عيشي وهو عيش أرغد
لا أبتغي صبرا على ألم الجوى * فالصبر يسلب همتي ويبدد
أفريدة الاوصاف رفقا بي اذا * غلب الهوى فأنا المحب المفرد
كم في الطبيعة من عجائب جمة * لكن أعجبها وجهك يوجد
لك طلعة غراء قد نفت الكرى * عني فويح نواظر لا ترقد
لا تنكري في الحب طول تسهدي * فالبدر يشهد لي به والفرقد
لم يحل غيرك لي فهيا تأمري * أفعل فاني بالهوى مستعبد
اني سجدت لشمس حسنك فاسجدي * يتقي لنار هوى بقلبي توقد
فانا اله العشق حيث مولعا * بك يا اله الحسن وهو الاجود
لك في الهوى قلب كقلبي واحد * وعليه يوم الشمل عينك تشهد
قلبان منا يخفقان على اللقا * والشوق بينهما يقوم ويقعد
نخفوق قلبي مكمد ومصفر * وخفوق قلبك مبهج ومورد

(ومن ذلك)

ملكت فؤادي ربة الحسن البديع * والحسن سلطان يصول على الجميع
تلك التي اعراضها أبدى الخفا * مني بدمعي وهو ضمن خبا منيع
عذراء عودها النفار تدللا * أبدا وعودني مداومة الخضوع
واذا الفتى هوى الملاح تهذبت * أخلاقه وغدا أخا طبع وديع

واليوم انى قد هويت بديعة * فاقت محاسنها على القمر الرفيع
غرس الجمال بخدها وردا الصبا * وأحل فوق جبينها ورد الربيع
يا عاذلى ذر عنك لومى اننى * قد ضقت ذرعا بالمحبة والولوع
حتام أنت تلومنى بهوى التى * لعيونها ضعفت قوى الاسد الشجيع
يا من أشعة حسنها اندفعت الى * عقلى وكان القلب زاوية الوقوع
لا تحجبى أنوار ذاك الجيد عن * عينى فكم حلته من درر الدموع
بالله ما هذى القساوة والقلا * شردت صبرى والهوى ملء الضلوع
لا تسمعى من الوشاة فكم وشوا * بك يا ضيا عينى ولم آلك بالسميع
ذو الحب لا يثنيه عن محبوبه * واش ولا عذل أتاه من الجميع
فبحق قتلاك بالصدود أخا الهوى * عن أى شئ جئت بالهجر المريع
هل عن دلال أم ملال أم قلا * أم رمت تجربة لعبدك ذى الخضوع
أو تجعلين الهجر تجربة لمن * يقضى به حاشاك من هذا الصنيع
لا تحسبى انى سلوتك منيتى * كيف السلو وما لجفنى من هجوع
قسما بنهدك والترائب والظما * لم أسل طلعة ذلك الوجه البديع
فكفاك ذا الهجران للصب الذى * غادرته بهواك ملقى كالصريع
من بالهوى خلع الحياء وعافه * خلع الحيا فى وقته شان الخليع
جودى على هذا القتيل بنظرة * بحمايها من ذلك الوجه المليح
لما رأت ذلى لها وتخشعى * ضحكت وقالت ما وراء هذا الخشوع
ان كنت تصدق بالمحبة يا فتى * فاصبر على هجر الحبيبة بالقنوع
فعساك تحظى بالوصال وربما * قلبى الرفيع يرق للصب الوضيع
ذو العقل لا يك مسرعا بمسيره * فى كل شوط يا أخا القدم السريع
والشمس فى رأد الضحى تمشى على * مهل وتسرع فى المغيب وفى الطلوع
وأجبتها والله انى صادق * بالحب مالى عن ودادك من رجوع
ان الهوى مثل الهواء زحامه * من كل ناحية بقلبى والضلوع

ولا يحسن جمال الذات على جميع الصفات على أن جمال الخبر قبل

جمال المنظر وحسن الطباع قبل حسن الرقاع فلا يروق الناظر بياض المحيا اذا اساءه سواد العمل ويضحك بياض السجايا على سواد الكحل وهل يطيب ورد الوجنات على شوك الحركات وجودة الاسنان على خبث اللسان وفصاحة الالحاظ على ركاكة الالفاظ وحسن المبانى على سوء المعانى فلا جمال قبل الكمال ولا أقوال قبل الاعمال

دع رونق الخلق وانظر رونق الخلق * حسن بلا أدب زهر بلا عبق
واعشق بياض المزايا والصفات ولا * تحفل بعشق سواد الشعر والحدق
فهل يروقك ثوب لائق منظره * يوما اذا كان مصنوعا من الورق
اليك عنى جميلا لا جميل له * ان روّح العين أبقى القلب فى قلق
هيهات ينطق قلبى بالغرام على * حسن أصم بلا حس ولا نطق
اذا اقتصرنا على عشق الجمال فكم * لفينس صنم مستوجب العشق
والجمر للعين تحلو منظرا واذا * لم تحل فعلا فالتهويع والحرق
وكم قلوب بدت كالنحل فى سعة * وضيقة وهى عظم قام فى خرق
هيا كل من عظام لا لحوم لها * تلحمت بجلابيب ولم تطق

(حال الحياة)

الحياة مصدر يشتق منه نظام الاكوان الطبيعية وأصل تنبعث منه حركات الكائنات العضوية اذ به تحفظ الجامدات نواميسها وشرائعها وتحرس الناميات أشخاصها وطبائعها فهو التثاقل والتبادل للاجرام السماوية والنمو والتغذية للاكوان الآلية والحس والانتقال للخلائق الحيوانية والاشعار والادراك للطبيعة الانسانية فبالحياة يدخل المتحرك فى العلاقة مع المحيطات الاجنبية ويستبضعها اغراضه الحيوية فبقدر الادراك تتسع الشقة وبمقدار الاشعار تعظم المشقة ولما كان الانسان جامعا كل الادراك والاشعار كان أعظم حامل لاثقال تلك الآثار وهكذا تكون حياته حية عليه ووجوده عدما لديه

حتى اذا ما بلغ حد الانصرام رأى ذاته خيالا مرّ في ضغث الاحلام على فراش الاوهام أما بناء حياة الانسان انما يتوقف على أربعة أركان وهي العمل والملل والصحبة والامل

(العمل)

كل يعمل لحث راحلته ولكل عمل على شاكلته فلما انتقل الانسان من الوحشية الى الانسية ومن الطبيعة الى الادبية أثبت له ذلك الانتقال وجوب الاعمال وقادته الجماعة حتى على التعامل فمن لا يؤثر أن يعمل لا يأكل فاندفع كل الى الخبط في مهنته والغوص في حرفته فذهب يعارك الجامدات كل كثيف ويباشر الصنائع كل خفيف ويمارس العلاقات كل عليل منقطع ويتاجر بالبضائع كل كامل مبتدع ويستقصي الموجودات كل دقيق مخترع وهكذا قد انخرط الجميع في سلك الارتباط وغرق الكل في لجج الاختباط فكل طائر على أجنحة الطيش ليقطع آفاق العيش فترى البعض يشكو الكلل والبعض يندب الملل وهذا يتوجع في التعب وذاك يتفجع من الوصب فأعين تبكي من العسر وأفواه تضحك من اليسر والزارعون يتمحلون بشح الجدب وعليه يأتمرون أو يتبجحون بسح الخصب فيغتبطون به ويتطوبون والصانعون يستنظرون الطالب فيحمدون الشبع أو يذمون السغب والتاجرون يحشرون البضائع ويرقبون الطوالع ويعومون في السوق ويغرقون في الصندوق ويرصدون أفلاك الدوائر ويرتصدون طوالع الدفاتر فكم أخطأت استهم الحفرة ولم يصب سهمهم الثغرة

(الملل)

وبينما يكون الانسان لاهيا عن نفسه بأعماله ومشتغلا عن رمسه باشغاله يداهمه شيطان الملل ويوسوس في صدره عند كل عمل وربما يغلب عليه هذا الروح حتى يغدو ويدعه في الغبوق وفي الصبوح وسميره

في الهجر والوصال ورفيقه في الحل والترحال فاينما ارحل رمح أمامه وأينما حل كان خيامه وحيثما التفت وقف قدامه وهكذا يكون الملل المنافي الملذات وغما في المسرات وترحا في الافراح وفرحا في الاتراح هو حادي الاجل وشادي الوجل وابن الاعمال وأبو الآمال

(الأمل)

واذ يكون الانسان ساقطا تحت ثقل الملل وهابطا في وهدة الوجل تبسط له الآمال يد الخلاص وتلقي له الاوهام حبال المناص فيضطجع على سرير الاحلام ويضرب في وادي الاوهام فيصعد بفكره من غرفة الى غرفة وينتقل من حرفة الى حرفة ثم يرتقي من صغرى الى كبرى ومن نتيجة الى أخرى حتى يبلغ من غناء الى غناء ومن سناء الى سناء ولم يزل الى أن يرى ذاته مالكا كل الاشيا وسلطان كافة الدنيا وبينما يكون طائر فكره حائما في تلك الزوره ومفردا بهاتيك الثروه اذ ينقض عليه باشق البطلان ويرجع به الى حيث كان فيغيب عنه كل خيال وينغلق دونه مرسح الآمال فكلما ذهب أمل جاء أمل وكلما غنت خيبة رقص وجل وعز الدهر وجل وبالآمال يعيش الانسان وبالاوهام تحيي الاذهان ولكل سن مأمولات وعلى كل مأمول مقولات أما الامل فهو تسلية الانسان وتعزيته في الاحزان والحدثان وحلاوته عند الزعاق وغناه يوم الاملاق ويسره في العسر وكسبه في الخسر وسميره وأنيسه ونديمه وجليسه ولا تفرط سلسلة الأمل الا في بيت الازل

(المحبة)

لما كان ليس يحسن أن يعيش الانسان وحده اتخذ له امرأة تكون عونه ورفده فيخدمها في العيال ويستخدمها في البعال فالمرأة خير الاصحاب وأطيب الاحباب ولا تطيب الحياة الا بها ولا يحصب سرور الا باصطحابها وهي الشريكة في تقويم الحياة الطبيعية والرفيقة

في تثبيت الحياة الادبية فاذا كانت صالحة كانت فخرة لاهلها ونعمة لبعلها وأساسا لدارها ومركز المدارها وتهذيبا لذويها وتأديبا لبنيها وغنى في الاقلال وراحة في البلبال وستراللطالحات وكشفا للصالحات واذا كانت شريرة انما تكون ذلا لاهلها ونقمة لرجلها وزلزلة لدارها وزعزعا لمدارها وشكالذويها وعثرة لبنيها وفقرا في الغنى وعما في المنا وفضيحة للمعائب وغيمة ومثالب وهذرا ومذرا وغمزا وشزرا وانتقالا من وجلة الى طمس ومن رذيلة الى دنس فهي تناجي بارماز الميل وتحاجي بالغاز الليل حتى اذا ماجاشت فاجهشت وبشت فهشت رجعت مخادعة بلحظ يغزل رموزا ومخادثة بقلب يحيك نشوزا فمخفوض ينصب شراكا ومقصور يمد شباكا فتكون شر الاصحاب وأخبث الاحباب الالبباغي والطارق واللاغي والمارق ومن شأن الانسان الميل الى الاصحاب والولوع بالاصطحاب ليتأسى في الشدة ويستأنس في الوحدة على انه لايستطيع اللبوث على الانفراد والقرار في الامور الشداد

فمن الاصحاب الصاحب الوفي * وهذا يكاد أن لايوجد لشدة ندارته فهو الموافق في الشدائد والموالي في العوائد والمقترب في الابتعاد والمصلح في الفساد والصافح في الذنوب والسامح في العيوب والمسعف لدى الاقتضاء والمعين في روع القضاء والثابت على كل اضطراب والراسخ في كل انقلاب ومنهم الصاحب الغرضي وهو من يصحب لغرض متى بطل بطلت صحبته وربما انقلب الى عدو مبين وداء دفين غيرقد على صاحبه بالاضرار وباذاعة الاسرار ليهتك كل ستر مسدول ويمزق كل حجاب مسبول فيثلب وينم ويقدح ويذم حتى يكون فمه مملوأ مرارة ولعنة وقلبه يتقلب على ضغينة ونقمة فحذار حذار وبدار بدار

(وقد قيل)

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب
وربما أعقبت ألفة زوال أغراض وقام جوهر عقب أعراض فيتلو ذلك صحبة جديدة وتنشأ صداقة جيدة الى أن ينقلب القلب العديم الثبات ويغفل الود الكثير السبات ومن أصحاب الاغراض يوجد الملق والراهن والمطرى والملاسن والناصح بالاباطيل والمنادى بالاضاليل والساعى بالخير على قدم الشر والمهم بالنفع على هم الضر ومنهم الصاحب البسيط وهو من لا يفى ولا يخون ولا يهتك ولا يصون ولا يحب ولا يبغض ولا يقبل ولا يرفض فلا يتقاعس ولا يغفل ولا ينشط ولا يكسل و يتوجه حسب البواعث و يتحادث طبق الحوادث فلا تهمه حضرة ولا معاينة ولا تمضه غيبة ولا مباينه فهو يصلح للمنادمة والمجالسه والمفاكهة والمؤانسه على انه نعم نديم مسامر وخير جليس محاضر

فهاك حياة الانسان ومافيها من الاركان هذا عدا ما يتخللها من العاهات والاسقام والهموم والآلام على ان الحياة هى عرضة المصائب والبلايا وغرض المتاعب والرزايا حتى يكاد أن يكون وجود اللذة فى عدم الألم وحصول النعم فى زوال النقم وربما كان أعظم اللذات طليعة لهجوم الحسرات ونذيرا يهتف بالمضرات

(غرور الحياة)

أهذى حياتى بئس عمرى وأيامى * عذاب هموم فى عذوبة أوهام
وماهى لذات الحياة وكلها * بكور خطوب أو أصائل أسقام
يروم الفتى نيل الرضا كلما ارتجى * وطالب معدوم كطالب اعدام
بهم سريع وقوع ظن أن مطيره * يدوم فغنى كالسهام من الرامى
فما هو الا الخلد يبصر عندما * يموت وفى ربع الحياة هو العامى
أرى الناس فى الآمال غرقى وكلهم
سيمضون أشباحا بأضغاث أحلام

فما هذه الدنيا التي عين خبرتي * سوى مرسح والكل يلعب قدامي
نعم مرسح لكن وراء ستاره * تساق البرايا للفنا سوق أغنام
عناصر في دور الوجود تسلسلت * فتنحل من جسم لتركيب أجسام
هو الموت يلوى فاه كي يمضغ الملا * وفي جوفه لم ينهضم غير أعوام
تسير بنا الايام وهي تضلنا * مسير لميع الآل بالتائه الظامي
فما خلق الانسان الا لجعله * على هذه الدنيا ملاعب أحكام
فتخرجه الدنيا ليسعى لمابها * خروج بخار السفن من بحره الطامي
ومهما أذاع المرء ضوضاء نفسه * فذاك الا زعدة بين آكام
وليس يعيش المرء الا لغيره * ولا يجهدن القوم الا لأقوام
يذوب الفتى عماله بيد أنه * يذوب مداسا تحت أرجل أيام
وتحمي من اللثم المليحة وجنة * سيأكلها في حفرة دود اعدام
تخالفت الاطوار بين الملا على * طريق البلا والكل يجرى بالهام
فذاك أخو بؤس وذا ذو هنا كذا * هناك صفاء عرس ونوح هنا دامي
فيا خطة خطت على كل خاطر * سطور ملذات باقلام آلام
ويا لمة قد طيشت كل ذي نهى * وهبت بأذهان وطارت بأفهام
عقول حيارى في الوجود وأعين * سهارى وأرواح سكارى بلا جام
فصبرا بني حواء صبرا وانني * أقول لكم صبرا ولا صبر قدامي
حياتكم موت زؤم وموتكم * حياة وما أعمالكم غير آثام
وما حظكم في الارض غير العنا وما * حقا ثقكم الاعوارض أوهام
صحبت بني الدنيا فلم أر عندهم * سوى نقق ساعات على جمع أرقام
وفي صحبة الارواح مدرسة ترى * جهولا سوى فهامها كل فهام

(حال الموت)

الموت خاتمة كل الاحوال ونهاية الاعمال والآمال فلم تزل الفواعل الطبيعية تصادم مجال الحركة العضوية ولم تبرح الاكوان الخارجية تعارض مجرى الاعمال الحيوية حتى ينقطع الواصل ويتفرغ الحاصل

قوله زؤم هو في القاموس زأم كمنع زأما وزؤاما مات وحيا اه

ذ يكون الظاهر عاث بالباطن وعبث الراحل بالواطن فينحط الركن العضوى وينذك الوطد الحيوى حتى اذا ما تغلب التحليل على التمثيل وترجح التفصيل على التوصيل بطلت عوامل الاحساس وهبطت سواعد الانفاس وسكتت ضجات الافكار وسكنت حركات الابصار ولم يعد فى الذهن تمثال ولا فى اللسان مقال اذ يبرقع العدم محيا الوجود ويطفئ الجمود أعين الوقود ويضرب السكون هام الحراك ويصفع السدر قزال الادراك وهكذا تستولى ظلمات الحتوف وتجدع شوامخ الأنوف فلا سيف هناك ولا نجاب ولا تبهنس ولا اعجاب حيثما يبتلع الكل فم القبر الفاغر ويهضم الجميع جوف التراب الداغر فهناك تخذل الرؤس المترقية وتعفر الوجوه المتنقية وتغور العظمات وتمور الكرامات ويتمزق البرفير والارجوان وينكسر كل قضيب وصولجان وتتساقط الاكاليل والتيجان فترى الارامس تنطبق على القصور والسرادق تنطوى فى القبور والتابوت يحمل المحركات والدركات تعلو على الدرجات هناك تسكت ضوضاء النفوس وتخرس رنات الكؤس وينتثر عقد الاعمال وتنفرط سلسلة الآمال وترد جوامح الجوانح وتصد طوامح الجوارح هناك يروى الجود عن الهيبة وتضحك على الشهود أفواه الغيبة وتبكى على المطامع عيون الخيبة وهناك يقبح منظر الجمال وينقص كل كمال فيسيل على ورد الخدود كافور المنون ويأخذ سكون الموت بحركات العيون ويشمر الاقنى وينشدق الالمى ويكفهر الاسنى حتى يعود اللطيف كثيفا والظريف مخيفا والانيس وحشيا والجليس شنيا والمعشوق مهجورا والصديق مغدورا هناك تسلو العشاق وينفر المشتاق ويتقاعس الطالب ويقشعر الراغب ويسبك الكل فى قالب النسيان ولا يعود يذكر الانسان وهكذا يسترجع الجماد الى حوزته بالاستعارة الحيوان فى عوزته

﴿خاتمة الكتاب في الحقيقة﴾

الحقيقة معلوم وجودي أو تصديق تصوري وكل حقيقة لابد من كونها اما أولية أو قضية فالاولية هي حكم لا يحتمل الرد والقضية هي حكم يحتمل القبول أو الرد فاذا قلنا القمر جرم انما يكون ذلك أولية لعدم احتماله الرد واذا قلنا القمر مسكون انما يكون ذلك قضية لاحتماله الرد اذ لا يوجد حجة قاطعة والحقيقة تنقسم الى طبيعية وأدبية أما الحقيقة الطبيعية فهي أمر ثابت الوجود في نفس الطبيعة أو متجدد بين حوادثها كثبوت وجود الشمس وتجدد حصول الفصول أما الحقيقة الادبية فهي أمور يؤخذ على التصورات العقلية وحوادثها أو عن شرائع النظام البشري كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل ❊ والحقيقة الطبيعية تنقسم الى أصلية وفرعية وفاعلية وانفعالية ولازمة ومتعدية وذاتية ونسبية وآلية وعضوية وجوهرية وعرضية والحقيقة الادبية تنقسم الى وجودية وعدمية وأصلية وفرعية وحقيقية ومجازية

﴿في الحقيقة الطبيعية الاصلية﴾

ان الحقيقة الطبيعية الاصلية هي معلوم يستمد حكمه من أصله الطبيعي وذلك كما اذا قلنا المغناطيس يجذب الحديد والهواء يحمل الصوت والعصب آلة الحس فان جذب المغناطيس للحديد وحمل الهواء للصوت والعصب للحس هي حقائق طبيعية أصلية لعدم استمداد أحكامها من غيرها فتأمل

﴿في الحقيقة الطبيعية الفرعية﴾

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لكون حكمها مستمدا من غيرها أي من حقيقة أصلية وذلك كما اذا قيل لا تميل الابرة الا الى الجنوب ولا صوت في عدم الهواء واذا انقطع عضو بطل حسه فان هذه الحقائق تدعى فرعية لكون أحكامها مستمدة أو متفرعة من الحقائق الاصلية

المتقدمة وهي وجود كثرة المغناطيس في القطب الجنوبي وكون الهواء يحمل الصوت والعصب آلة الحس فيبصر

﴿في الحقيقة الطبيعية الفاعلية﴾

الحقيقة الطبيعية الفاعليــة هي معلوم متى ذكر أحدث في الذهن صورة معلوم طبيعي آخر لوجود عــلاقة فعليــة بينهما كما اذا قيل الحرارة تذيب أو الخمرة تفرح فان ذلك يستــوجد في الذهن حصول صورة جسم يذوب ونفس تفــرح عــلى ان الاذابة والتفــريح أفعال تستــوجب لهـا مفعولات يدركهـا الفهم من طبيعة الفعل بنفسه وقس على ذلك

﴿في الحقيقة الطبيعية الانفعالية﴾

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لانها معلوم متى ذكر أقام في الذهن صورة حقيقية فاعليــة لوجود تلك العلاقة الفعلية نفسهـا وذلك كما اذا قيــل الارض مستنيرة فان ذلك يحدث في الذهن صورة الجرم المنير لهـا وهكذا في قولك الثمر مأكول والزهر مشموم ونحو ذلك

﴿في الحقيقة الطبيعية اللازمة﴾

ان هذه الحقيقة الطبيعية اللازمة هي معلوم يستقر حكمه في نفسه بدون أن يتعدى الى غــيره لانقطاعه عن كل صلة أجنبية كقولك جبل عال وواد عميق وماء حار وصخر جامد فكل ذلك حقائق طبيعيــة لازمة لا يدخل في قيامها أشياء أخر وأحكامها مستقرة فيها

﴿في الحقيقة الطبيعية المتعدية﴾

ان الحقيقة الطبيعية المتعدية هي معلوم يدخــل في حكمه أمور أجنبية عنه بحيث لا يمكن قيامه بدون اتصاله الى غيره وذلك اما بأداة أو بغير أداة فالحقيقة المتعدية بأداة هي كقولك السحاب مخيم والنهر حائل والجذب وسيط فان تخيم السحاب يستــوجب أشياء يقوم عليهـا ويتم بأداة الاستعلاء وهكذا النهر الحائل يقتضي موضوعات يحول بينها ويتم بأداة الفصل وكون الجذب وسيطا يلزم كونه واسطة لجمع الاجسام المتفرقة

ويتم ذلك باداة ذهنية وهي الربط أو الضم وعلى ذلك تعرف كل حقيقة متعدية بالاداة وما يتعدى بغير أداة أي رأسا هو كقولك سم قاتل فان القتل يتوجه من الفاعل الى المفعول رأسا بغير واسطة فتأمل

﴿في الحقيقة الطبيعية الذاتية﴾

ان الحقيقة الطبيعية الذاتية هي معلوم يؤخذ حكمه من ذاته لا بالنسبة الى غيره كما اذا قيل الارض كروية فان الحكم بكروية الارض قد أخذ من ذات شكلها من دون وجود أدنى نسبة

﴿في الحقيقة الطبيعية النسبية﴾

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لانها معلوم يؤخذ حكمه بالنسبة الى غيره وذلك كقولك أشرقت الشمس وغربت فان شروق الشمس أو غروبها انما يتم بالنسبة الى حركة الارض على محورها بحيث لولا هذه الحركة لما حدث شروق ولا غروب لكون الشمس تعتبر ثابتة على مركز دائرة البروج وما يدور من الشرق الى الغرب الا الارض على محورها ولذلك فالمسير اليومي للشمس انما هو حقيقة طبيعية نسبية وقس على ذلك

﴿في الحقيقة الطبيعية الآلية﴾

الحقيقة الطبيعية الآلية هي كل معلوم يحتوى في طبيعته عمل الآلات الصناعية وهذه الحقيقة تقوم اما بالاسناد أو باضافة السبب الى مسببه أو بنعته به أو بغير وجوه كما لو قيل الكهرباء ممزقة أو زلزلة كهربائية أو تكسير كهربائي فلما كانت الكهرباء تحوى في طبيعتها هذه الاعمال الآلية وهي التمزيق والزلزال والتكسير كان كل من تلك الامثال حقيقة طبيعية آلية

﴿في الحقيقة الطبيعية العضوية﴾

ان هذه الحقيقة هي كل معلوم يؤخذ من حصول مؤثرات وتأثيرات بين الطبائع العضوية وذلك كما اذا قيل الخمر مهيج والافيون مسكن

والنوم

والنور منبه فان كل ذلك تراه حقائق طبيعية عضوية مأخوذة مما يشاهد من تأثير طبيعة الخمر على طبيعة الاعضاء بالتهيج وهكذا الافيون والنور بالتسكين والتنبيه وعلى ذلك تجرى كل حقيقة طبيعية عضوية اما بالاسناد كقولك الخمر مهيج أو بالاضافة كقولك تسكين الافيون أو بالوصفية كقولك تنبيه نورانى أو بغير وجوه

﴿فى الحقيقة الطبيعية الجوهرية﴾

ان الحقيقة الطبيعية الجوهرية هى كل شئ يقوم فى ذاته بدون أن يكون عارضا عن غيره وذلك كما اذا قيل هذا ذهب فان الذهب جوهر قائم فى ذاته غير عارض عن شئ آخر وهكذا فى قولك انسان وحيوان وشجر ونحو ذلك

﴿فى الحقيقة الطبيعية العرضية﴾

ان هذه الحقيقة هى كل أمر يعرض عن غيره ولا يكون موجودا بذاته فيكون عكس المتقدم وذلك كالثقل والبرودة والظلمة فان الثقل ليس له وجود ذاتى فى الطبيعة بل هو أمر يعرض عن جاذبية الارض للاجسام التى على سطحها وهكذا البرودة والظلمة فالاولى تعرض عن ذهاب الحرارة والثانية عن ذهاب النور ولذلك فالثقل والبرودة والظلمة هى حقائق طبيعية عرضية

﴿كلام على ما تقدم﴾

لما كان مدار الحقائق الطبيعية يقوم على المعلومات الوجودية الخاضعة للادراك الحسى والعقلى كانت منزلتها أعلى من منزلة الحقائق الادبية التى لا تدور الا على التصديقات التصورية الخاضعة لاحكام العقل المغوى وأوهامه بدون علاقة مع أحكام الحس المعصوم وهكذا فالحقائق الطبيعية تشتمل على الصحة والقبول بديهيا غير محتملة ما تحتمله الحقائق الادبية من النضال والجدال والقبول والرد فلا يسع العين انكار وجود النور ولا تحتمل الاذن جحد رنين الاصوات ولا

يمكن الشم رفض وجود الروائح ولا يطيق الذوق نفى الطعم ولا يستطيع اللمس تجاهل الملموسات ولذلك فأصحاب الحقائق الطبيعية لا يختلفون فى أحكامهم الاعرضيا لانهم لا يأخذون أحكامهم الا من طبيعة المحكومات الراهنة ولا يقبلون حقيقة ما لم تقم لهم الحجة على صحتها من نفس طبيعتها ولا يبنون براهينهم الا على المشاهدة والعيان فتكون كل قضاياهم أوليات أساسية بحيث لا يحفلون أصلا بما تحتفل به تصورات العقل وتبتدعه أغراض الاوهام

ويدخل فى مبحث الحقيقة الطبيعية كل الحقائق الحسابية والهندسية والمنطقية والفوق الطبيعية لثبوت أصولها ورسوخ قواعدها وصدق نتائجها المطردة فانه يستحيل أن لا يصدق قولنا ثلاثة فى ثلاثة تسعة وقولنا حاصلا مضروب فيه متساو ومتساويان فى خارج قسمتهما عليه ومتناسبان وقولنا حاصل ركنى الوسط يعادل حاصل ركنى الطرف فى النسبة الأربعية الاركان وقولنا فى الهندسة منفرجة وحادة تعدلان قائمتين والمخنى يصنع قوس دائرة والاقطار المارة من المحيط فى المركز هى متساوية ومن كل ضلع معلوم وزاوية معلومة يخرج مجهول وقولنا فى المنطقية المتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان وفى الفوق الطبيعية الله موجود والنفس بسيطة وكل الحقائق الدينية المدرجة فى الوحى الصادق والمسندة اليه فكل هذه الحقائق لها أن تدخل فى مقام الحقائق الطبيعية لاشتراكها معها فى الثبوت والرسوخ والصدق

﴿فى الحقيقة الادبية الوجودية﴾

ان الحقيقة الادبية الوجودية هى تصديق تصورى يستنتجه العقل من تصورات يستفيدها من الحوادث المخبورة والمسموعة وذلك كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل فان تصور العلم المستفاد من الخبرة أو السماع وتصور النفع المستفاد منها أيضا ينطبعان فى الذهن تصور علاقة أدبية تضم النفع الى العلم ضم المعلول الى العلة وهكذا يحكم العقل بكون العلم نافعا

ويكون حكمه هذا حقيقة وجودية أدبية فقولنا حقيقة انما هو لكون نفع العلم صحيحا وقولنا وجودية انما هو لكون هذا النفع موجودا وقولنا أدبية انما هو لكون هذه الحقيقة قد توالت تصوّراتها تولدا وهميا غير مشتمل على تماثيل حسية نظير الحقائق الطبيعية

﴿في الحقيقة الادبية العدمية﴾

ان حصول هذه الحقيقة هو عين حصول الحقيقة المتقدمة ولكنها تختلف من جهة كونها مأخوذة عن حوادث كاذبة غير حقيقية وذلك كحقيقة ظلم الدهر واصابة العين والارتباط ما بين أعمال الانسان وحركة الفلك وزوس اليونانيين وأبو هول المصريين وبرهمة الهند وما شاكل ذلك فان كل هذا كان يعتبر عند أهله كحقائق وجودية صحيحة مع انه عدمي لا أصل له فان الدهر كلمة لا يوجد لها معنى لعدم دلالتها على شئ وجودي لان الدهر ليس شيئا وهكذا ظلمه وكل الحوادث التي ينسبها الناس اليه انما هم يخلقون باستعداداتهم فلا دهر الا أعمالهم وشرائع مثلهم وهكذا في اصابة العين وهلم جرا فان العين موضوعة للبصر لا للاصابة والفلك للأزمنة والأوقات لا للسعد والنحس وزوس وأبو الهول وبرهمة الهند لا وجود لها وربما كانوا بشرا تألهوا على بشر

﴿في الحقيقة الادبية الاصلية﴾

ان مدار هذه الحقيقة يتوقف على مباد وأوضاع تنشأ عن احكام الاتفاق أو صواب العقل وذلك كقولك في الوضعيات الكل أعظم من جزئه ومساوي المساوي مساوي وكقولنا في الادبيات كل انسان انسان وكل حال تزول فالمثلان المتقدمان هما حقيقتان مأخوذتان من صواب العقل وأصليتان لكونهما منشأ حقائق فرعية كثيرة والمثلان المتأخران هما حقيقتان مأخوذتان عن احكام الاتفاق أصليتان لكونهما مقياس عدد وافر من الحقائق الادبية وقس على ذلك

❊في الحقيقة الادبية الفرعية❊

ان هذه الحقيقة تأخذ صدورها من الحقيقة المتقدمة لانها تتفرع عنها وذلك كقولنا النهر جزء من البحر فالبحر أعظم منه والحيوان كلي للانسان فهو أعظم منه وزيد مساو لعمرو وعمرو مساو لبكر فزيد مساو لبكر وفلان يتكلم بلسانين فهو بعدل انسانين وحال زيد في نعيم أو في شقاء فهي تزول فان كل ذلك يدعى حقائق أدبية فرعية لانه قد تفرع عن الحقائق الاصلية المتقدم ايرادها

❊في الحقيقة الادبية الحقيقية❊

ان الحقيقة الادبية الحقيقية هي التي يعبر عنها بالاسناد الوضعي الحقيقي وذلك كما اذا قلنا الصدق ثابت والكذب زائل والقدح شر والمدح خير وزيد شجاع وعمرو جبان فجميع هذه الامثال هي حقائق أدبية حقيقية اذ يعبر عنها بكلام وضعي لمعانيها لان اسناد الثبوت الى الصدق هو اسناد حقيقي وهكذا الزوال الى الكذب والشر الى القدح والخير الى المدح والشجاعة الى زيد والجبانة الى عمرو وقس على ذلك

❊في الحقيقة الادبية المجازية❊

ان هذه الحقيقة هي عكس المتقدمة لانها تقوم بالاسناد المجازي أي بكلام غير موضوع لمعناه وذلك كما اذا قيل الصدق غالب والكذب هارب والقدح جلاد والمدح صديق وزيد أسد وعمرو أرنب فان كل ذلك يدعى حقائق مجازية لاشتمالها على الاسناد المجازي بوجود وجه معنوي بين ركني الكلام كالوجه الموجود بين الصدق والغلب وهو القوة والوجه الموجود بين الكذب والهرب وهو الضعف وهكذا فتش الصيت بين القدح والجلاد والموالاة بين المدح والصديق وكذلك حصول وجه الاستعارة المجازية بين زيد والاسد وهو الشجاعة وبين عمرو والارنب وهو الجبانة وعلى ذلك تجري كل حقيقة تتضمن مجازا اسناديا أو استعاريا أو مرسلا فتأمل ويدخل في هذه الحقيقة كثير من

الحقائق التي تكون طبيعية لفظا وأدبية معنى أو طبيعية المادة وأدبية الصورة وذلك كقولي من قصيدة مطلعها

دارت عليّ من الصفاح كؤوس * وبدت لديّ من الرماح شموس
بابي كؤوس هوى تطوف بها على * قلبي شموس دمى لهن نفوس

(الى أن أقول)

قسى فؤادك ما استطعت فان لي * سحرا يقود زمامه ويسوس
هذا فؤاد من حديد بارد * أبدا وذاك السحر مغناطيس

فهنا ترى في البيت الاخير حقيقة كل ألفاظها طبيعية محضا وأدبية معنى لأن المراد هو معصية الميل المعبر عنها بفؤاد من حديد والاستعطاف المعبر عنه بسحر من مغناطيس أي حسن البيان والوجه في هذه الحقيقة هو الشبه الحاصل بين الحديد والقساوة وبين المغناطيس وحسن البيان على انه كان المغناطيس يجذب الحديد هكذا احسن البيان في التكلم يجذب الخواطر القاسية

(كلام على ماتقدم)

انه لما كانت الحقائق الادبية مشيدة على التصورات والاوهام أو على الصواب والاستحسان أو على الحوادث الاجتماعية والمبادي العرفية كان حوقها خاضعا لاحكام العقل عليها وتصرف الزمان بها ولذلك كان علمها يتقلب حسب تقلب أهواء البشر ويتغير حسب تغير الظروف ينتقل تبعا لتنقل الازمنة والاجيال وهكذا فاننا نرى كثيرا من الحقائق الادبية التي كانت تعتبر قديما كحقائق صحيحة راهنة صارت تعتبر اليوم كخرافات وأراجيف وكذلك يوجد من هذه الحقائق ما يختلف اعتباره بين البشر اختلاف أجناسهم ونواميسهم وأذواقهم ومن هذه الحقائق ما يختلف مقامه اختلاف عقول الافراد بأحكامها فما يراه الافرنج صحيحا يراه العرب عليلا وما يراه الفرس صادقا يراه المغول باطلا وما يحكم عليه زيد بكونه صوابا يحكم عليه عمرو بكونه

خطأ وهكذا فاننا نرى عددا وافرا من هذه الحقائق الادبية قد صار سببا لكثير من الحروب بين البشر والفتن والقلاقل والبلابل والاضطهادات حتى لكثير من الانقلابات والدثار والدمار وطالما نرى بين أصحاب الحقائق الطبيعية وأصحاب الحقائق الادبية نزاعا وقراعا لا يفتران على أن كلا من الفريقين يكافح ويقارع الآخر بأسلحة حقائقه لديستظهرها وتستنصرها فهذا يهجم بقوات الطبيعة والهيولى وذاك يهجم بقوى العقل والصواب هذا ينقض بأجنحة المشاهدة والمعاينة وذاك ينقض بأجنحة الاستقراء والاستنتاج وخاصة حزب الحقائق العدمية فان ايقادنيرانهم ضد حزب الحقائق الوجودية لا يفتر شراره ولا يخبو أواره ولا يزالون ساعين فى تدمير معاهد الحقائق الوجودية وتهبيط كل مشاداتها لايجاد المعدوم واعدام الموجود وحسبنا شهادة كل التواريخ على ذلك

بيان

أنا على ما أنا من الخلق *	باق على مذهبي وفي طرقي
أصون عرضي وان نطقت فذا *	بالحق فالحق لي يفي ويقي
مالي عدو سوى الكذوب فلم *	يزل عدوا لصاحب الصدق
لا أكذب الله ان لي شيما *	تحمي في من شوائب الملق
فلا كبير سطا علي ولا *	يدلها منة على عنقي
ولا تسابقت في المفاخر بل *	سرت الهوينا وفزت بالسبق
ولا اشتريت الثناء من أحد *	بالمال بل بالجهاد والارق
ولا تقاعست قط عن طلب *	لكن دهري على في نحنق
أسقي غروسي فان أجد ثمرا *	أقطف والا رضيت بالورق
والقنع للنفس راحة وغنى *	فلا طما غيمة بلا قلق
هذي العنايا وهن بحر شقا *	أخوض والناس أو خبوا غرقي
ان كان لي حكمة فلي همم *	تشهدي تهادون كل ذي حمق

أقول والقول في فمي لهب * يسطو على الاغبياء بالحرق
قوم يرومون قفل كل فم * لذا يلومون كل ذي نطق
يباركون انغلاق منفتح * ويلعنون انفتاح منغلق
سيرت أخلاقهم فليس لنا * الا شقي يريك وجه تقي
يا أيها القاصدون غلق فمي * خبتم فهذا فم بلا غلق
هذاي برق وجهلكم سحب * مهلا فلا برق غير منطلق
لدولة الحق سطوة قهرت * بالعزم أهل الصفاح والدرق
ليخفض الليل رفع رايته * فذاك جيش الضحى على الافق
ليل فشا الصبح شهبه واذا * ذي الشهب بهم كسين بالغسق

ايضاح

دارت على همتي هموم عداتي * وجرت على كلمي كلوم وشاتي
هذا عدو بانكسار ذاهب * عني وذا واش بعثرات
ليت العداة علمن أن الدهر لم * يبرح بهن منفذا نفثاتي
ان كان دهري خانني فلأنه لي * فضلا ولكن لم يخن كلماتي
يا أيها الباغون سد قريحتي * مهلا فليس يهون سد فرات
أو تطرقون عزيمتي وأمامها * رضوى يرض وطارق الأزمات
لا يشمتنكم سكوني بالردى * ان الفتى لمقدر الحركات
عودتموني ذمكم وأنا على * ما قيل لست أحول عن عاداتي
قمتم على كأنني مالك لكم * ان الملوك تحل بالقومات
هل قد أضر بكم جميل فعائلي * معكم وهل ساءتكم حسناتي
لا تحسدوني ان أفق افاقكم * بل سابقوني والحقوا خطواتي
كل له فعل يناسب عزمه * ما كل ذي سيف بذي غزوات
شاؤل بالالاف أقبل فاتكا * لكنما داود بالربوات
جئتم بشمشوم وجئت بهرقل * والله يعطي النصر في الوقعات
ان كان باخ ذو العمود نصيركم * خبتم فلي روس أبو الصعقات

﴿وقلت﴾

مالى وللفضل والجهال لى * أولى فذى لذة وذا ألم
ان كان بالفضل رفع مرتبة * لم يخفض ما جرى به القسم

﴿يقول المتوسل بالنبي الامجد محمد البلبيسي بن محمد﴾

تم بحمد الله طبع هذين الكتابين الجليلين اللذين صفيا في فنهما صفو اللجين ولعمرى لقد أغرب فيهما مؤلفهما وأغرب وأودع فيهما وأبدع بما يحتوله كل سميدع وشنف الأسماع بمحاسن الاوضاع وقرط الآذان بلآلئ الادب وكحل العيون وأزال الغيون وأنال الارب وأقام الحجة وأبطل المحجة بالفاظ

يهتز سامعها لطيب حديثها * الا الحسود اليس يعجبه العجب

تغنى النديم عن المدام وتطفئ غليل المستهام من قريحة وقاده وبصيرة نقاده وبالجملة فهما حريان بأن يطبعا بماء العيون لا بالنقوس على نحور الحور لا على الطروس ولذلك انتدب لنشر عرفهما الشذى بالديار المصريه بعد أن ملأ عبيرهما الذكى أركان البلاد الاوروباويه الفطن النبيه الشيخ أحمد عثمان الليثى بالمطبعة الميمونة الشرفيه التى هى من أجل المطابع المصريه فجاء بحمد الله يرفل فى حلل الكمال آخذين من التصحيح بما يطمئن له الخاطر وينشرح له البال بمشاركتى فى ذلك للفاضل الشيخ سيد حماد أصلح الله لى وله والمسلمين المعاش والمعاد وبدر بدرا لتمام أواخر ربيع الثانى من عام ١٢٩٨ ثمان وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من شرف بالسبع المثانى عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه واحشرنا معهم يارب فى دار السلام بسلام

